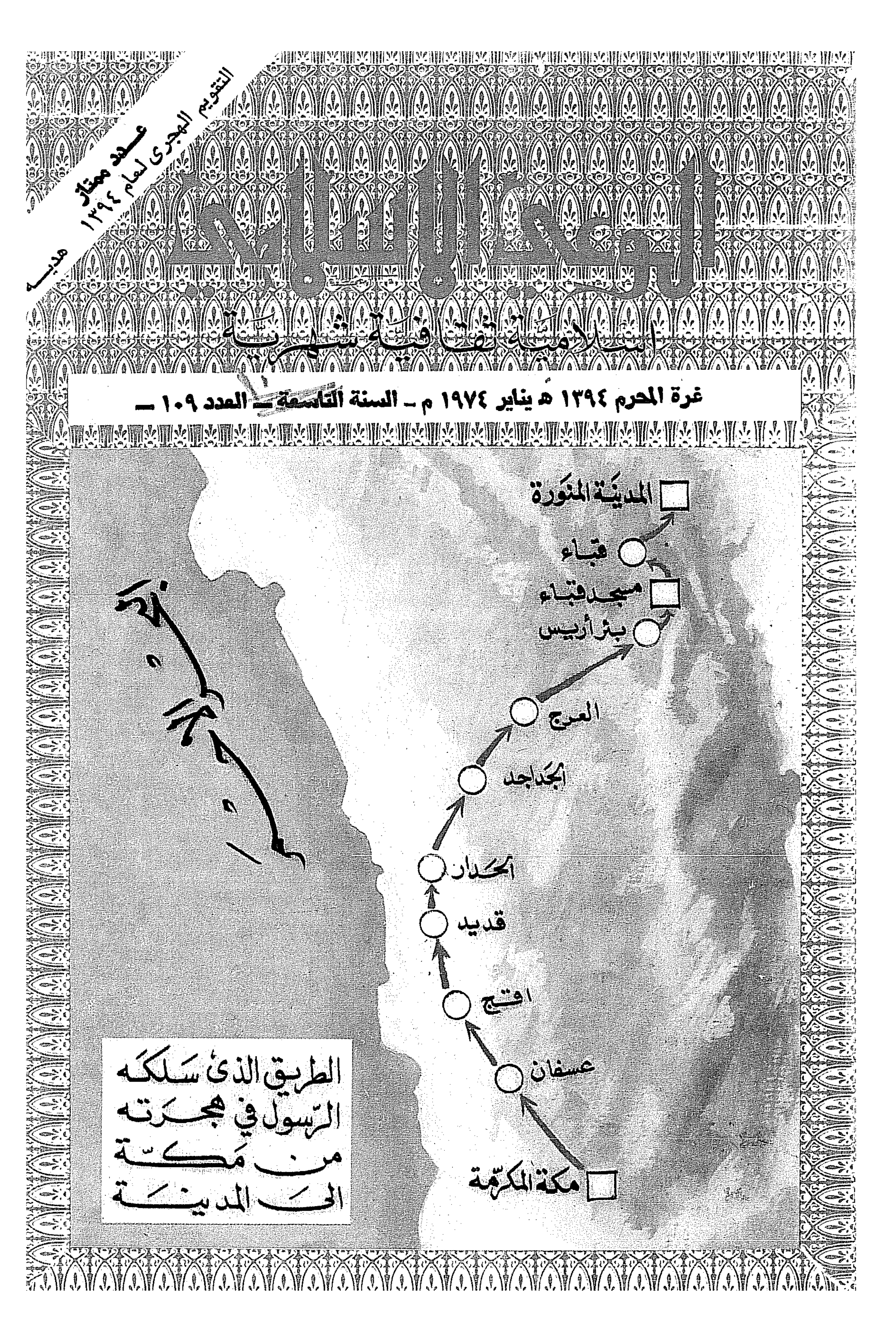
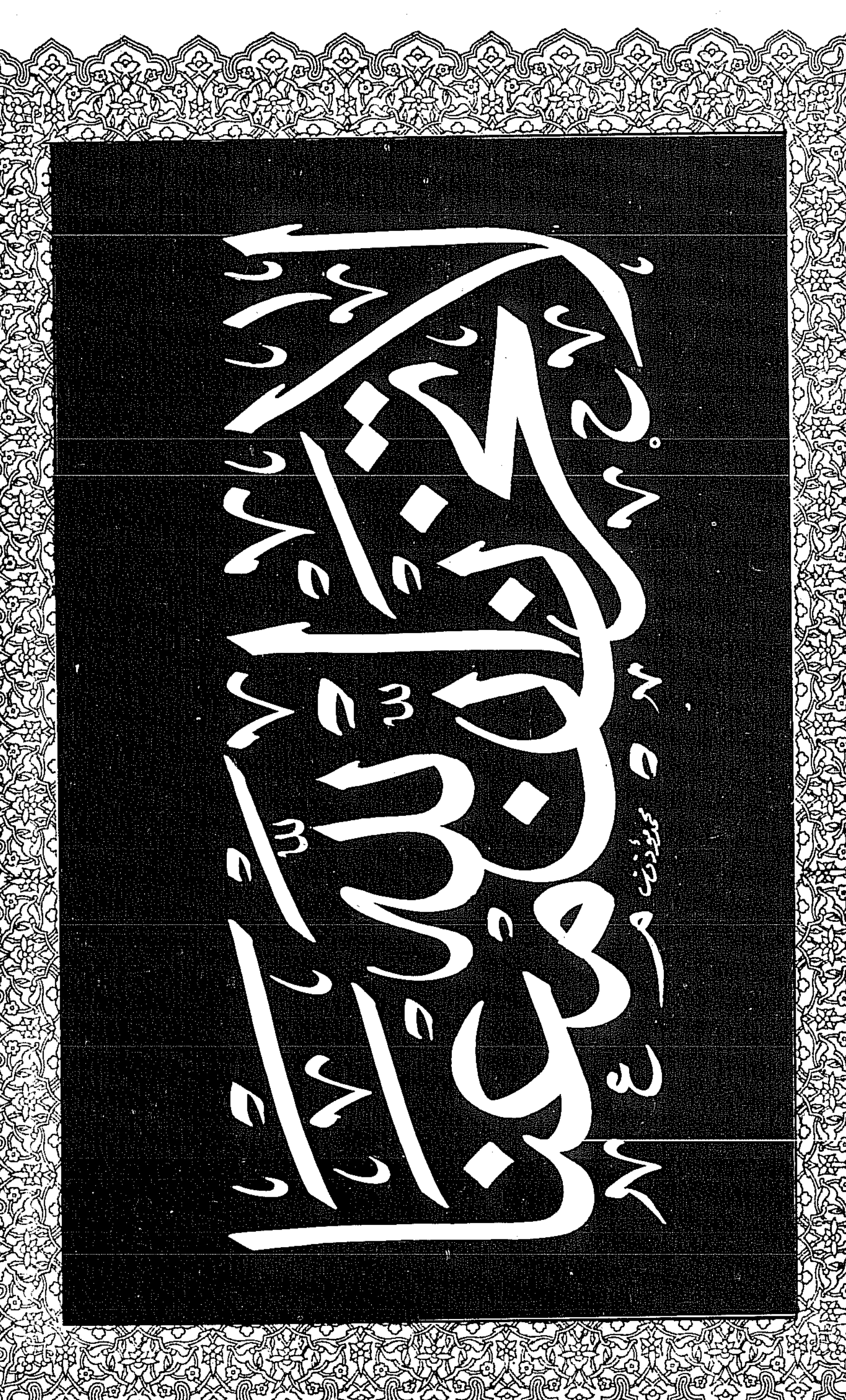
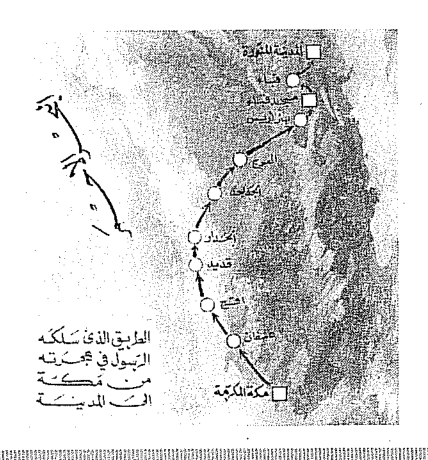


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
غرة المحرم ١٣٩٤ هـ يناير ١٩٧٤ م ـ السنة التاسعة ـ العدد ١٠٩ ـ
عدد ممتاز
التقويم الهجري لعام ١٣٩٤
هديـــه
المدينة المنورة
قباء
مسجد قباء
بئر أريس
العرج
الجداجد
الحدار
قديد
عسفان
مكة المكرمة
الطريق الذى سلكه
الرسول في هجرته
من مكة
الى المدينة





الطريق الذى سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم فى هجرته من مكــة المكرمة الى المدينة المنورة .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العــــدد ١٠٩

غرة المحرم ١٣٩٤ هـ

ينــاير ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالــكويت فى غــرة كل شــــهر عــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشــتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

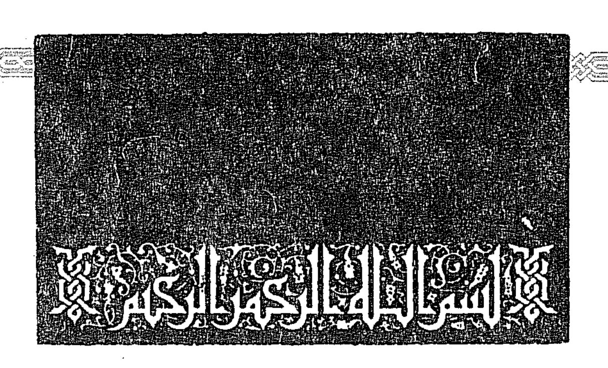
الثمــن :

الــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريــال
العــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجــزائر	دينار وربع
المغــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنــوان المراســـلات :

مجــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشــئون الاســلامية

صــندوق بريد : ١٣ ــ كــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨



الهجرة
بين ماضينا وحاضرنا

للدكتور محمد بيصار

في مستهل هلال شهر المحرم من كل عام هجري ، يستعيد المسلمون ذكريات امجادهم ، ويستحضرون معالم تاريخهم ، ويستذكرون ما اسهمت به الأمة الاسلامية في هذا التاريخ الطويل ، في بناء الحضارة الانسانية ، وما شاركت به في ركب التقدم العمراني ، ثم ما بذلته هذه الأمة من افئدة ابنائها وقلوب عمارها ، وجهود أفرادها وجماعاتها من أجل اسعاد الجنس البشري بصفة عامة ، وتقرير المصير العربي ، بل وتقييمه بصفة خاصة .

وكان مقترنا بذلك كله ، بل وأصلا لذلك كله ما أفاضت من المعاني الجميلة ، والقيم الرفيعة ، والنفوس الصافية ، المطمئنة على مجتمعها وعلى الناس كافة ، من فضائل ومثل ، ومن خلفيات عظيمة استقتها من تعاليم دينها الحنيف واستمدتها من نبع حضارتها المتدفق بالاصالة والازدهار ثم دفعت بها دفعا الى الحياة للناس تصبغها بكل خير ، وتحملها على حب الحق ، وتحضها على أداء الواجب والسمو بالنفس والضمير الى الاقتراب — ما أمكن — الى المجد المستطاع والتأسي بنور الرسالة الوهاج وصبح الاسلام الابلج ، ومشرق الحقيقة الخالدة في النفوس الزاكية الصاعدة .

هذا ما اعتاده المسلم عندما يشهد هلال شهر المحرم من كل عام هجرى وكأنه يحاول حينذاك وبايجابية خالصة مخلصة ، وعزيمة صامدة صابرة أن يحدد فى ضوء ذلك كله مسيرته الى الله اولا ، وطريقه الى الحياة ثانيا ، ولعله لا يحس حينئذ بتناقض بين مسيرته الى ربه وطريقه الى واقعيـــة فعالة فى حيـــاة تتطلب العمل بمقدار ما تنكر الكسل وتنشد القوة بمقدار ما تنبذ العجز ، وتعانق العلم والمعرفة بمقدار ما تباعد بينها وبين الجهل والقصور ، لا يحس المسلم بأى تناقض أو تناحر بين هذا وذاك لان الاسلام ليس نظرية بغير تطبيق ولا جسدا من غير روح ، وليس حياة جامدة وإنما الاسلام تعليم روحى متدفق بكـــل أسباب الحياة وعقيدة حقة بها من الطاقات البدنية والفكريـــة والروحية ما يحيل المثاليـــة الرفيعة والمبادىء المسطورة فى ضمير المؤمن الى واقع حى خلاق يثرى الحياة ، وينميها ويرقى بالوجود الانسانى فى مختلف جوانبه بل ويلبى حاجاته فى جميـــع أوجه حياته .

ومن هنا يأتى المغزى الكبير لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه معه من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ولا يقتصر هذا المغزى الكبير على هـــذه المعانى الجميلة والقيم الرفيعة والمبادىء الخالدة وانما يتعداها الى واقعيـــة حية وممارسة عملية لرسالة المسلم والحياة (١) بتنشيطها وعمارتها واستخراج ارزاقها (٢) واستثمار خيراتها والأخذ باسباب القوة المادية بشتى صنوفها وأوجه ادائها .

وبذلك يصل المسلم الكامل دينه بحياته ، ويحيى الأرض ويعمـــرها بنشاطه كما يصل نفسه بربه ويعمل ما استطاع على الاقتراب من جلاله الأسمى ونوره الأسنى وبهاتين الصلتين ـــ صلة المسلم بالله وصلة دينه بالحياة ـــ يكتمل الوجود الإنسانى ، وتؤدى وظائفه فى إطار من الفهم الدقيق ، والوعى العميق ، بل يكتمل الوجود الكونى كله حيث تنسق الصلة بين الخالق والمخلوق وتتحقق عبودية العابد للمعبود فى ثمار العمل النافع والقوة الصامدة والدأب الصابر المثابر على تطوير الحياة الانسانية وتأمين مسيرتها ودعم اصرارها .

ولم تكن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة الا تأكيدا واثقا لكل هذه المعانى وترسيخا لها فى قلب المؤمن .

لم يقتصر عليه السلام على تبليغ الدعوة الى الناس وانما أخذ مع ذلك بأوجه الحياة وبقوانينها التى لا تتخلف ادراكا منه عليه السلام ومن صفوة الاخيار بـــأن الكلمة وحدها لا تفى وبأن الحق بنفسه لا ينتصر وبأن المبـــدأ بدون تطبيق عملـــى وممارسة واقعية كلا مبدأ .

ومهما أوتى الحق وأصحاب الحقوق من بين الشواهد وقوة الحجج علـــى صدق مبادئهم مما ينحصر فى دائرة القوة المعنوية فان ذلك وحده لا يكفى لانتصار حقهم اذا ما تسلح خصومهم بالقوة المادية وحصلوا من اسبابها ما يتفوقون به على أهل الرشاد ، وكما ان نفاسة الجواهر وجودتها لا تحميها من عبث العابثين بهـــا

وكما ان بريق الماس وغلاء ثمنه لا يحول بينه وبين الاعتداء واختلاسه من خزائنه ، وكذلك الحق بحقيقته وخيريته وجودته وبكل ما يتصف به من فضل وشرف لا يحمى نفسه من أباطيل المبطلين وجحافل المعتدين .

لهذا كان لا بد للحق من قوة تحميه واعداد يصونه ودفاع صامد فعال يأخذ بكل ما يمكن من أسباب القوة .

هكذا كان التصور الاسلامى للهجرة وهكذا كان المغزى الكبير لها لذلك هاجر الرسول الى المدينة وخطط لاستراتيجية عسكرية واقتصادية وسياسية ووطد العزم على ان يأخذ بكل ما يمكن من سببه وبكل ما يستطاع من عمل يسير به خطوة نحو قهر أعدائه واعداء دعوته والانتصار عليهم وتثبيت دعائم الحق وأركان الدولة الاسلامية فى أرض الله ومن أجل نصرة دين الله .

ولم يكن أمرا عارضا ولا صدفة محضة ولا مجرد خاطر أن يختار الرسول المدينة المنورة دارا لهجرته وملجأ لدعوته ومقرا لدولته وحاشى أن تكون الهجرة فرارا من أعدائه أو خوفا على نفسه واتباعه وطلبا لشىء آخر غير نصر الله وانما كان ذلك لأهمية الموقع الاستراتيجي للمدينة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية لقد كان فى شمال الجزيرة العربية أكبر دولتين عظيمتين فى العالم حينذاك هما دولتا الفرس والروم وكان فى مكة معقل الشرك وقوة المقاومة للاسلام على يد كفار قريش فلو ان — الرسول هاجر الى اليمن فى جنوب الجزيرة أو الى شرقها مثلا لأعطى الفرصة لكل القوى المناوئة له أن تلتحم وأن تتماسك فى جبهة متحدة فيتعرض لمواجهتها ومن ورائه المحيط الذى لا يسمح لكفاحه ولجيوشه بحرية الحركة وفنية المناورة ولكنه فى المدينة يستطيع أن يكون ذا موقع متوسط بين **أعدائه** فى شمال الجزيرة وبين **أعدائه** فى مكة فلا يسمح بلقاء بينهما ، كما أنه يستطيع من هذا الموقع نفسه محاصرة قريش اقتصاديا وتهديد تجارتها الى الشام التى كانت تمثل أكثر من سبعين فى المائة من ثرواتها .

ولكن دورات الفلك لا تقف والتاريخ الاسلامي يعيد نفسه وما أشبه الليلة بالبارحة فها هى ذكرى الهجرة فى عام ١٣٩٤ تأبى أن تكون تكرارا أو أن تكون مجرد انفعال بذكريات طيبة عطرة ، وإنما تقترن بمثل أعلى ، وتتجسم فى واقع حى" لهذا المغزى الكبير للهجرة ، واقع يشمل جوانب الوجود العربى بصفة خاصة والكيان الإسلامى بصفة عامة فيصبح وكل فرد فيه مهاجر ويمسى وكل شعب فيه مرابط لا ببدنه فقط ولا بروحه فقط ولا بوجدانه فقط ولا بمشاعر فياضة ولا بشعارات فضفاضة ، ولكن يهاجر بالمغزى الكبير للهجرة ويناضل بالمعنى العميق للنضال ويفدى بالاسلوب الشريف للفداء . يهاجر من السلبية الى الايجابية ومن التفرقة الى الوحدة ومن الاحجام الى الاقدام ومن الضعف الى القوة ومن الخور الى الاصرار المصر المعاند على الجهاد حتى النصر .

يهاجر من ماله الى انفاقه فى سبيل الله ، ومن نفسه فداء لها من أجل الدين والوطن، ومن مضجعه إلى ميدان الشرف والجهاد، ومادام الهدف مشتركا والمصير

مشتركا والكفاح مشتركا والرباط القومى والدينى وشيجته ولحمته تعدل لحمة النسب ان لم تفقها فمن الطبيعى ان يملى ذلك أنواعا أخرى من الهجرة ويملى على شخصية المسلم أن يهجر الاحقاد الى الحب والوداد ، وان يهجر نوازع الشر ووساوس الشيطان الى قيم الخير ورضوان الرحمن .

وقد شاء المولى عز وجل ان يكرم عباده المؤمنين وان يبارك مسيرتهم ويسدد خطاهم وان تتمثل هذه الهجرات كلها فى السادس من أكتوبر وفى العاشر من شهر الانتصارات شهر رمضان ١٣٩٣ هـ .

لقد ربط العرب والمسلمون فى ذلك اليوم ومنذ فجره الأول بين النظرية والواقعية وحققوا ذلك التكامل بين جوانب وجودهم ونواميس كونهم الذى يحيون فيه فاتخذوا لصراعهم من أجل الحق أسلوبا جديدا وشقوا لمخططاتهم أنفاقا تحت الأرض تأمينا لسيرها وضمانا لدعمها وامعانا فى اخفاء أسرارها وحين أذن مؤذن الجهاد وانتفضت القوى العربية والجيوش العربية الباسلة لعبور القناة وتحطيم خط بارليف وانقضوا على قوى العدو فى الجولان . فما كان للامة العربية أن تصبر صبر أولى العزم من الرسل الا لكى تنتصر ولا ان تسكت الا ليتكلم الحديد والنار أو تنتظر الا أملا فى سلام قائم على احقاق الحق وسعيا وراء قضاء عادل من المنظمات الدولية يرد الحق لاصحابه ويرد المعتدى ويقر قاعدة الحق والعدل والسلام .

ويوم أن يئس العرب من كل المحاولات السلمية لاسترجاع حقوقهم المشروعة ويوم أن رأوا عدوهم قد اهدر القيم الانسانية وتنكر لمبادىء الاديان السماوية واعتدى على حقوق الانسان وداس المقدسات يوم ان ايقنوا ذلك كله لم يكن أمامهم الا أن يبرزوا أصالتهم وان يفجروا كوامن طاقتهم وان ينطلقوا الى تحرير أرضهم بالاسلوب الذى يفهمه الأعداء ولا يفهمون غيره وبالقوة المادية التى يخشاها الأعداء ولا يخشون سواها .

وقد شاء الله ان يطل علينا الهلال الجديد لشهر المحرم ١٣٩٤ هـ والمعركة ما زالت قائمة والهجرات متدفقة والاصرار متصاعدا والترصد لاسترداد الحق المغتصب وتحرير الارض السليبة والقدس الحبيبة يزداد يوما عن يوم كما وكيفا .

فالى مزيد من الاصرار ، والى مزيد من الفداء ، والى مزيد من الصمود حتى تعلو كلمة الله وينتصر الحق ، ويعم السلام أرض السلام على يد أولياء الله ، ودحضا لأولياء الشيطان .

(الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) .

نظرات في سورة الأنعام

للشيخ / محمد الغزالى

سورة « الأنعام » من السور الطوال التى نزلت بمكة تقيم قواعد الإيمان وتنصب حوله البراهين وتجادل عنه الأعداء والجاهلين ..

واسلوب السورة يتسم بالأخذ والرد ، والحوار الحى ، والنزول الى ارض الواقع واستخراج كل ما لدى المشركين من شبهات ومزاعم .

ولذلك تكررت كلمة « قل » للنبى — عليه الصلاة والسلام — أربعا واربعين مرة يتنزل بعدها التوجيه الإلهى اعلانا للحق وخذلانا للباطل .

وسورة الأنعام بهذه الخاصة من اشد السور قمعا للضلال ، واخمادا لأنفاسه ، واعلانا لمنار التوحيد وجمعا للأفكار والأفئدة عليه .

ونبدأ بالقاء « نظرة » على مراحل الصراع بين الأسلام وأعدائه فى هذه السورة المباركة ...

***

إن الحق الغريب فى البيئة العاتية يبدأ ضعيف الشأن قليل الناصر يلقاه الأقوياء بالنظر المتجهم ويتناولونه بالسخرية الظاهرة ويرفضون رفضا شديدا أن يدخلوا فيه بل أن يسمحوا له بالسير .

والله عز وجل فى هذه السورة يوجه الحديث الى الطرفين المتنازعين فيطلب من المشركين أن يحذروا المستقبل وان يتأملوا فى تاريخ الماضين لتنحسم سخريتهم : « **ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون . قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين !** »

وفى الوقت الذى ينبه المشركون فيه الى مصيرهم يقال لصاحب الرسالة ومن معه من المؤمنين : « **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم**

نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله . ولقد جاءك من نبأ المرسلين » .

أى اثبتوا أيها المؤمنون ، وتحملوا صنوف الأذى ، وصابروا الليل الطويل حتى يطلع فجر النصر — ولا بد أن يطلع — فان كلمات الله لعباده وقوانينه فى خلقه لن تتغير . ويمكن استقراء الصراع القديم بين الهدى والضلال لتعرف هذه الحقيقة ..

بيد أن حبل النزاع طويل ويظهر أن طوله يستغرق أعمارا كاملة وأن النتيجة المرتقبة تتحرك ببطء رهيب.. بطء يغرى الكافرين بالتطاول والصلف وتكاد معه أرواح المؤمنين أن تزهق .

وتستطيع أن تتبين موقف الفريقين فى هذا الحوار : **« قل : إنى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به . إن الحكم إلا لله. يقص الحق وهو خير الفاصلين . قل: لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم .. »**

إن الله عز وجل يعطى المبطلين فرصا واسعة ليؤمنوا اذا ارادوا ، ويبدو أن سعة هذه الفرص لا تزيدهم إلا ضراوة . ولقد راقبت سيرة المشركين مع النبى عليه الصلاة والسلام فوجدت أن المشركين أنفسهم هم الذين فتلوا الحبال التى شددت حول أعناقهم وأجهزت على حياتهم .

إنهم هم الذين صنعوا معركة بدر وكانوا قادرين على العودة من حيث جاءوا بعد نجاة قافلتهم لكن مشاعر الكبر التى أدارت رءوسهم وترجم عنها أبو جهل فى كلمته الحمقاء « لا نعود حتى ننحر الجذور ونشرب الخمور وتغنى لنا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا » . هذه الكلمة هى التى ألحقت بالشرك أول هزيمة قاتلة ، وأحنت رأسه احناء مذلا الى آخر الدهر وكما فعل المشركون بأنفسهم ذلك فى بدر كرروا صنيعهم قبيل الفتح الأعظم ليعطوا المسلمين حق دخول مكة بعدما نقضوا العهد المبرم ورفضوا الهدنة الممتدة .

إن الخط الذى رسمه القدر كان فوق فكر البشر وذلك هو السر فى قول الله لنبيه :

« قل : لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين » .

إن على أهل الحق شيئا واحدا أن يعيشوا به وأن يعيشوا له ..

أما كيف يديل الله لهم من عدوهم فهذا ما أستأثر العلم الإلهى به وتعجز القوى عن دركه وارتفاع أهل الحق الى مستواه فى خلقهم وسلوكهم شىء صعب ولكن ما منه بد .

ثم هم بعد هذا الارتفاع لا بد أن يخضعوا لسنن الله الكونية التى تتناول أولياءه وأعداءه على سواء ويعد التعرض لها جزءا من الاختبار الشامل فى قصة الموت والحياة ..

.. وتأسيسا على ذلك يأمر الله نبيه أن يفهم المؤمنين بأنه « بشر » لا يملك طاقات فوق المادة وانه يتعرض مع جماهير المؤمنين لتكاليف الصراع الخالد بين الإيمان والكفر فلا هو صاحب مال لا ينفد ولا هو مدرك للغيوب ، ولا هو ملك متخفف من خواص المادة الانسانية . إنه صاحب دعوة اصطفاه الله لفتح البصائر المغلقة وهداية الجماهير التائهة .

« قل : لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إنى ملك . ان اتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون » .

وقد قضت الحكمة العليا أن تغير الظروف التى يعيش البشر فيها تغييرا يرغم على الانتباه لما يطلب منهم فان الناس اذا ألفوا النعماء قل تقديرهم لها وقل شكرهم لمرسلها الكبير وقل اكتراثهم بحقه وقل

استماعهم لرسله .

ومن ثم فان الله يسلبهم ما يطغيهم لعلهم يعتدلون !

وقد صح أن النبى عليه الصلاة والسلام لما رأى كبرياء قريش وطول صدورها دعا الله عليهم فقال : « اللهم سبعا كسبع يوسف !! »

أى أرسل عليهم سبع سنين عجاف تكسر كبرياءهم وترد اليهم صوابهم .

وهذا علاج حق فان الذاهب بنفسه قد يتواضع ويعقل اذا فقد ما غره من مال أو جاه .

وفى هذه السورة الكريمة يقرر الله جل شأنه هذه السنة الحكيمة : **« ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون »** .

والبأساء : سوء الأوضاع الاقتصادية . والضراء : سوء الأحوال الصحية .

وليس أضرى بالأفراد والجماعات من هذين البلاءين وجدير بمن فقد صحته وماله أن يجأر الى الله تائبا طالبا النجدة . .

ومع ذلك فان هناك شعوبا بليدة تنزل بها القواصم فما تطلب من الله رفعها وما تقف بساحته منيبة ضارعة بل تبقى على غوايتها وكفرها « فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

وهذا لون خطير من موت القلوب وعصف الشهوات بالأمم وقد كان المفروض أن الآلام ترد الناس الى بارئهم كى يحجب سخطه عنهم فاذا أوذوا وظلوا فى عماهم فمعنى ذلك أن الفساد تغلغل فى كيانهم واستبد بزمامهم .

وقد يطول بالأمم العناء ـــ والحالة هذه ـــ كما قال تعالى فى سورة أخرى : **« ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون . ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون . حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون »** (المؤمنون ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧) .

لكن سورة الأنعام تذكر لونا آخر من مكر الله بالأمم فان الله يرفع العذاب النازل بالأمم الشاردة ويعيد إليهم ما فقدوا من نعمة ومتاع بل ربما أرسل اليهم أكثر مما ألفوا ليزدادوا ترفا وشرها : **« فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »** .

إن قطع دابر « المتكبرين » بعدما طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد نعمة تقربها العيون وتنشرح بها الصدور وتتبادل عليها التهنئة ويشكر عليها رب العالمين . .

وظاهر من وصف القرآن لمراحل التغيير من رخاء الى شدة ومن شدة الى رخاء أن الزمان طويل وأن أهل الحق خلال أيامه ولياليه يجب أن يصبروا ويصابروا (والعاقبة للتقوى) نعم زمان طويل يبدأ فيه النضال والباطل قوى مستقر والحق ضعيف منكور ثم تنشب الحرب النفسية والدموية لتتغير بعدها الأوضاع فيقوى الحق ويضعف الباطل بيد أن هذا التغيير يقطع من الزمن طريقا طويلا والى قبيل النهاية لا تؤذن الأمور بانهيار فى جبهة الضلال بل قد تظل مرهوبة الجانب محذورة الشر .

ولذلك فان المعادن الهشة تتفتت على مراحل الطريق ، وينجم النفاق ، ويؤثر الضعاف والجبناء أن ينجوا بأنفسهم ويستريحوا الى دنياهم .

من أجل ذلك يأمر الله نبيه بالثبات على الحق وتثبيت المؤمنين عليه

ويكشف له عورات الشرك ومقابحه لينفر العقلاء منها ويفروا من طريقها **((قل : أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران !!..))**

فليبق الحيارى ضالين عن رشدهم وليلزم المؤمنون صراطهم المستقيم مهما تجشموا من مشقات **((وأمرنا لنسلم لرب العالمين . وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون)) .**

لكن متى ينتهى هذا الصراع ؟ وترتفع راية الحق ؟ لا ندرى ! ولا بد من نهاية له على أية حال **((لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون)) .**

وعلى أصحاب الإيمان طال المدى أو قصر أن يعيشوا له ، وأن يعيشوا به . وهذا المعنى هو الذى سيطر على المسلمين فى العصر المكى فتكون منهم جيل اعتنق الاسلام وربط به سفره واقامته ، وتعبه وراحته ، وصداقته وخصومته وحياته ومماته.

وقد قررت سورة الأنعام ذلك فى خواتيمها لتجعل فيه منهجا خالدا لكل جيل مكافح الى قيام الساعة .

وعلى صدر الطريق نلمح خاتم الانبياء يتلو ما أمر الله به **((قل : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)) ..**

.. أجل انه الأول تجردا لله وتبتلا اليه ودأبا على عبادته وتسبيحا له وتمجيدا وركوعا وسجودا ثم .. حماية لهذا الدين بالنفس والمال . فالحياة لله والموت فى سبيله .

وعندما استوحش التوحيد فى زحام العالم وطمعت الخرافة أن تأتى عليه من القواعد . نهض الانسان الكبير ((محمد بن عبد الله)) ورمى بكل ما يملك من طاقات فى المعركة اليائسة المضطربة فاذا الشيطان يخور .. واذا الشرك السافر والمقنع يتقهقر ..

وإذا التوحيد الخالص يتقدم ويشيع ..

وإذا العدالة فى الحساب والسلوك تتقرر **((قل : أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ولا تكسب كل نفس الا عليها . ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)) ..**

إن الخلاف الدينى سوف يبقى ما بقيت الأرض ولن يبت فيه الا الله وحده ! وستنشأ الأجيال الجديدة وهى فى مهدها حاملة مظاهر هذا الخلاف .

والمهم أن يكون المؤمن بالله ورسوله رفيع اليقين والخلق معا ، طاهر القلب والسيرة جميعا . مقتفيا أثر نبيه العظيم وهو يؤكد أن صلاته ونسكه وحياته ومماته لله جل شانه.

إن هزائم الحق فى أغلب الأحيان تجيىء من تفريط المؤمنين وهبوطهم دون هذا المستوى المطلوب فمن ولد مسلما ورزقة الله هذا الشرف فليعلم أنه مكلف بخدمة الحق وتزيين صورته وتنقية حقيقته ، وحسن عرضه والقيام به وتلك هى الفريضة المنوطة بعنقه .

إنك لم تولد مسلما تفضل غيرك دون جهد مبذول وعبء محمول ، بل قد يفضلك غيرك يوم تبتذل النعمة الموروثة وتتركها للضياع أو الامتهان.

ـ ٢ ـ

فى هذه السورة الجليلة نلمح منطق القرآن الكريم فى بناء العقائد وغرس الإيمان وهو منطق بعيد عن التقعر ، برىء من الغموض يقوم على وصف الله جل شأنه بما ينبغى له من نعوت الجلال والكمال ، ويلفت النظر الى آفاق الملكوت كى يدرك الانسان

عظمة ربه خلالها . وصدر سورة الأنعام يتسق مع هذا المنهج فقد بدأ الكلام بحمد الله خالق السموات والأرض وجاعل الظلمات والنور . ثم لفت القرآن الكريم النظر الى تاريخ الأمم الأولى وموقفها من قضية الإيمان وكيف أن غفلتها هوت بها ! وأن جحودها لنعمة الله أوردها شر الموارد .

« ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم . »

بيد أن جماهير الناس ربما ضاقت بهذا المنطق ولم يعجبها أن تقاد من عقلها ، ولا أن تستثار مواهبها العليا كى تؤمن . انها تريد شيئا آخر ، تريد خوارق للعادات تشد انتباهها أو تشبع فضولها او تتجاوب مع الاتجاهات المادية فى ذوقها وحكمها والرسالة الخاتمة لا ترتضى هذه النزعة ولا تحمدها .

ومن ثم فان المنطق القرآنى مضى فى طريقه يحرك العقل الجامد ويطلب اليه أن يؤدى وظيفته المعتيدة فى البحث والموازنة والحكم .

والعرب فى جاهليتهم أصروا على مقترحاتهم فى ضرورة أن تسند الدعوة « معجزات حسية » وقاوموا النداء المتتابع بضرورة أن يفتحوا عيونهم الى آيات الله فى كونه وإبداعه فى خلقه ودلائل عظمته المسطورة بين سمعهم وبصرهم .

ونحن نرى أن اصرار الجاهلية على موقفهم إنما نشأ عن عناد كريه ، وجحد بكل ما يجب التسليم به من مقررات انسانية محترمة . ولو أنهم اجيبوا الى ما طلبوا ما اعترفوا بالحق ولا انقادوا له وهنا نجد فى سورة الأنعام مجموعة من النصوص تشرح هذه الحقيقة :

« ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا : إن هذا الا سحر مبين » فهم لا يؤمنون ولو نزل عليهم كتاب من السماء يلمسون اوراقه ويحسون وجوده !. وقد طلبوا أن يتحدث اليهم أحد الملائكة لكن كيف يتم هذا ؟!.

ان البشر جهزوا بحواس محدودة لا تستطيع أن ترى الماديات الا فى حجم معين ، وعلى بعد معين فكيف ترضيهم السماء « **وقالوا : لولا أنزل عليه ملك .. ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون** » اى أنهم سيسترسلون فى عنادهم ويرفضون الايمان بعد استجابة مطلبهم وعندئذ تعجل عقوبتهم وينزل بهم العذاب الأليم .

... على أن ذلك كله مع قدرتهم على رؤية الملك فى طبيعته النورانية. فاذا استحال ذلك وتجسد لهم الملك فان الشبهات باقية والمراة مستمرة « **... ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ...!!** »

وتناولت سورة الأنعام الخوارق مرة ثانية فى قوله تعالى : « **وقالوا : لولا نزل عليه آية من ربه قل : ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون** » .

... اى أن الخوارق المطلوبة ليستما يعجز القدرة العليا . ولكن الحكمة الإلهية فوق رغبات الطفولة. وعندما يريد الصغار الا يكبروا ...

وعندما تريد الانسانية الا ترتفع الى مستواها العقلى . فانه لا بد من ارغامها على الصعود والأخذ بيدها الى أعلى وتكليفها أن تحترم العلم . ولعل ذلك السر فى أن النبى عليه الصلاة والسلام قارن بين ما منح من معجزات . وما اجراه الله على أيدى المرسلين الأولين من آيات ثم قال : « ما من نبى من الأنبياء قبلى الا وأوتى من الآيات ما على مثله آمن البشر وكان الذى اوتيته وحيا أوحى الى .. فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم

القيامة » .

ان هذا الحديث يشعر بأن الله جل شأنه يريد أن يبنى الناس إيمانهم على حسن البحث والنظر وصدق الفطانة والاستنباط لا أن يهملوا أفضل ما اوتوا ، وينتظروا القوارع والخوارق كى يعرفوا ربهم .

والمرء عندما يجحد الخاصة التى رجح بها بقية الحيوانات ويريد أن يحيا بغرائزه البدائية وأفكاره الساذجة وحدها .. لا ينبغى أن يجاب الى ما يشتهى . وهذا سر ختم الآية بقوله جل شأنه « **ولكن أكثرهم لا يعلمون** » .

وتعود سورة الأنعام الى تصوير لجاجة المشركين فى طلب الآيات الحسية وتعليق الايمان على وقوعها . قال تعالى : « **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل : إنما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون** » .

ومن حقنا أن نتساءل عن قيمة هذا القسم من مشركين سووا بالله مخلوقاته وحلفوا أيضا على انه لن يبعث أحدا وأن الدنيا هى الحس كله ولا شىء بعده ...

إن هؤلاء المشركين كأنما يذكرون اسم الله من باب الاسترسال مع الخصم . أو كأنهم يقولون : نقسم بالله الذى تزعمونه معشر المؤمنين وتتعلقون به .

اى قسم هـذا ؟؟!!

... إن الأمر لا يعدو التشبث بما اقترحوه من قديم . اى أنهم ما زالوا متعلقين بالخوارق التى بنوا عليها إيمانهم وهى ان جاءت فلن تؤسس فى نفوسهم يقينا ولن تزحزحهم قيد أنملة عن جاهليتهم التى ورثوها وأوهامهم التى ألفوها ...

.. وما الظن بقوم يقولون لله : « **إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** » .

أما كان حريا بهم لو كانوا مخلصين ان يقولوا : **اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ...**

ولكنها الطفولة البشرية كما قلنا : هى التى دفعت الى هذه المطالب دون تقدير لها . أو ارتباط بنتائجها .

ولا بد من أن نسجل هنا خطأ سرى فى الفكر الاسلامى سريانا مستغربا هو : اهتمام المسلمين بالخوارق وربط الصلاح النفسى بها حتى أصبحت الولاية عند الجماهير لا مفهوم لها الا وقوع الخوارق على أيدى الأحياء أو الأموات !!

إن هذا الخطأ امتداد للطفولة البشرية التى أنكرها الاسلام على الجاهلين القدامى عندما تشبثوا بخوارق العادات وربطوا صدق النبوة بها . واستهانوا بقيمة العقل فى تقديرها واثباتها ..

وعلماء الكلام .. بل علماء الأديان عموما لا ينكرون وقوع الخوارق . ولكنهم يرون أن هذه الخوارق الواقعة عديمة الدلالة على ما يزعم لها إذ هى تقع من المؤمن والكافر والبر والفاجر . وفى كتب علم التوحيد عندنا تسميات شتى لخوارق العادات بحسب صدورها من الناس ولم يقل احد أن لهذه العجائب دلالة حاسمة أو غير حاسمة على صدق الايمان وقرب المنزلة عند الله .

... الولاية كما عرفها القرآن الكريم هى : الايمان والتقوى سواء حدث لصاحبها شىء من هذه العجائب ام لم يحدث !!

وقد نبه المحققون الى ذلك عندما قالوا : « لو رأيت إنسانا يطير فى الهواء أو يمشى على الماء فلا تشهد

له بخير حتى ترى مسلكه مع الكتاب والسنة » .

وهذا كلام جيد وهو يربط الكمال المنشود بالرقى المعنوى والاستقامة النفسية ولا يعطى ما وراء ذلك قيمة ما ..!.. اننا عندما نتدبر سورة يوسف نجد أنها تضمنت ثلاث رؤى كشفت عن المستقبل . فجاء تطبيقها صادقا كوضح النهار .

- اولى الرؤى الثلاث : لنبى كريم المعدن . حسن الدعوة الى الله.
- اما الرؤييان الأخريان : فهما لقوم لا يعرفون الله ولا يحسنون معاملته .

بعضهم كان سجينا وعاش بعد سجنه يسقى سيده الملك خمرا . والبعض الآخر كان ملكا غريبا على دائرة الايمان ومنطقه .

وقد بنيت خطة الدولة الاقتصادية على رؤياه خمسة عشر عاما . وأحسبنى لو صورت فكر المسلمين الآن لقلت : انهم يحسبون الرؤيا الصادقة أمارة على عظمة المنزلة عند رب العالمين ولو كان صاحبها لا يعرف صلاة ولا صياما . وقد لاحظنا ونحن نقرأ سورة الأنعام أنها زجرت المشركين زجرا شديدا لتطلعهم الى الخوارق ، وغفلتهم عن التدبر والوعى .

والسورة بهذه اللفتة الكريمة تريد أن تنبه الى أن العظمة الانسانية لها أصولها العتيدة وأبعادها المحددة . واذا كان الله قد رزقنا عقلا فيجب على هذا العقل أن يبحث ويقضى .. والأديان انما تستمد وجاهتها وتستحق القبول بما حوت من زكاة للنفوس ورشد للسلوك .. والأديان الفاشلة أو المهتزة القواعد تتحايل على اثبات صحتها وجمع الناس حولها باطلاق الاشاعات عن خوارق وقعت لأحيائها أو موتاها .

وهذه الخوارق فى الأغلب مفتعلة لا تعتمد على شىء .. انما هى الخيال أو التوهم ولو أن ما زعموه كان صحيحا ما دل هذا على شىء طائل فان الأديان تقوم على الصدق العقلى والنضارة الخلقية . وهذا ما طلبت منا سورة الأنعام ان نستيقنه وان نبنى عليه حكمنا . هل معنى ذلك أن حياة « محمد » عليه الصلاة والسلام كانت خلوا من الخوارق ؟؟ كلا !..

لقد صحت « الأسانيد » أن جملة من الآيات الباهرة ظهرت فى سيرة النبى الكريم ، ورأت جماهير من الناس كيف زاد الطعام فى يده وكيف نبع الماء من بين أصابعه وكيف هطل المطر توا استجابة لدعوته ، وكيف.. وكيف ..

.. ان عشرات من هذه الآيات الحسية ثبتت له — عليه الصلاة والسلام — ولكن هذه الآيات لم تعتبر سنادا لاثبات النبوة ولا كان بها التحدى الى آخر الدهر ..

لقد اعتبر أمرها ثانويا بالنسبة الى القرآن الكريم .. الكتاب الذى أحيا الفكر وأيقظ القلب وانهض الأمم ودفع الأجيال فى طريق حضارة يانعة وربط بين الناس وربهم ربطا يتجدد على مر الأيام اذ لا يزال هذا الكتاب منذ نزل الى يوم الناس هذا .. الى أن يرث الله الأرض ومن عليها صانع الايمان الحر . وسائق العقول بطريق الاستدلال الى معرفة ربها والانقياد له .

هذه السورة المكية حافلة بالدلائل التى تسوق الناس سوقا الى الله . وتفتح الأبصار على الآيات الشائعة فى ملكوته ، والروائع التى بثها هنا وهناك تشهد بوحدانيته وعلوه ولطفه .

ان بعض المستشرقين والمبشرين تحدث عن الأسلوب المكى فقال : انه عاطفى يعتمد على الاثارة اكثر مما يعتمد على التفكير ، وتبعهم فى ذلك

سماسرة مستأجرون فى ميدان الأدب والثقافة تحمسوا لهذه الأكذوبة وأخذوا يروجونها ..

والقضية كلها دعوى تافهة ، وسورة الأنعام — من بين السور المكية — مليئة بالبصائر التى تنير طريق الحق وتجلو الغشاوات عن سالكيه .

وكلمة « بصائر » فى قوله تعالى : **« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها »** هذه الكلمة واضحة الدلالة على العمل العقلى الذى يمزق الظلمات ويكشف الشبهات ويعرّف الناس بربهم عن طريق السريرة الصافية والفطرة الواعية .

وعلى ما ألفنا فى هذه السورة نسمع بعد كلمة « قل » سؤالا عن رب المكان يجيىء على هذا النحو **« قل لمن ما فى السموات والأرض ؟ قل لله »** أهو رب المكان وحده ؟ لا . **إنه رب الزمان أيضا « وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم »** .

إن اليقين فى تلك السورة يؤسس على النظر العقلى المتأمل المستنتج الذى يستعرض شتى الفروض ثم يرفض الخطأ ويقر الصواب ، وانك لترى ذلك فى السياحة الفلكية التى تضمنتها هذه السورة لإبراهيم عليه السلام ، وهو ينتقل من الكواكب الى مكوكبها ، ومن الشارق الغارب الى من لا يغيب تجليه ، ولا تنقطع قيوميته على العالم الرحيب **« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين »** .

ومن ثم نلحظ ان وصف الله فى هذه السورة يجيىء أحيانا بعد اسمه العلم الظاهر ، وأحيانا بعد ضمير الغيبة ، فيكاد الوصف البارز ينقل ضمير الغيبة الى ضمير حضور وقد بدأ ذلك من الصفحة الأولى فى السورة :

« هو » الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا .. » .

.. و « هو » الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم .. »
.. و « هو » القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة .. »

.. و « هو » الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار .. »
.. و « هو » الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر .. »

.. و « هو » الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع .. »

ويظل الأمر كذلك حتى آخر السورة ، فكما بدئت بضمير الغيبة الذى يبعث على الشهود ختمت به .

.. و « هو » الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم .. »

وهكذا تقف الانسانية كلها بازاء الاختيار الكبير الذى ينتظم جميع أفرادها .. تقف أمام ربها العدل الذى يكلف كل امرىء بقدر ما أوتى من امكانات مادية وأدبية ..

على أنه مهما تفاوت الذكاء البشرى بساطة وعمقا ، فلا يجوز أن يعمى عن الله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور .



مشكلات الفواصل (٢)

للدكتور علي محمد حسن

في المقال السابق ذكرت بعض الآيات التي عرض لها صاحب البرهان ، واجابته عما اشكل فيها من الفواصل ، واكتفي بهذا القدر . واذكر الآيات التي وقفت عندها ، وما قاله بعض المفسرين فيها ، ولعلي أوفى على الغاية أو أقارب في بيان السر البلاغي من التذييلات التي ختمت بها هذه الآيات الكريمة .

من ذلك قوله تعالى : « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »(١) . ربما توهم أن الفاصلة ينبغي أن تكون : (وهو على كل شيء قدير) . ولكن لما كانت اجزاء الانسان المعادة ربما تفرقت في جهات مختلفة متعددة ، بل ربما اختلطت بأجزاء انسان آخر كانت صفة العلم هنا لازمة للتفرقة بين الاجزاء الاصلية ، والاجزاء الفضلية ، فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق ، وهذا لا يكون الا من عليم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة ، محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص ، اصولها وفروعها ، وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق .

ومن ذلك قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم »(٢) . ربما وقع في بادئ الظن أن التذييل ينبغي أن يكون : (ان الله على كل شيء قدير) ، ولكن صفة العلم هنا هي الملائمة كل الملاءمة ، فهو سبحانه عليم بمقادير الحاجات ، ومقادير الارزاق .

---

(١) سورة يس ٧٨ — ٧٩ . (٢) العنكبوت ٦١ ، ٦٢ . (٣) لعلها : استوفى .

قال الفخر الرازي : وفي اثبات العلم هنا لطائف :

احداها : ان الرزاق هو كامل المشيئة ، اذا راى عبده محتاجا ، وعلم جوعه لا يؤخر عنه الرزق الا لنقصان في نفوذ مشيئته ، كالملك اذا اراد الاطعام ، والطعام لا يكون قد استوى بعد ، او لعدم علمه بجوع العبد .

الثانية : ان الله باثبات العلم استوجب(٣) ذكر الصفات التي هي صفات الاله ، ومن انكرها كفر ، وهي اربعة : الحياة والقدرة والارادة والعلم ، وقد استوفت الآيات الاربع ، لان قوله : « خلق السموات والأرض » اشارة الى كمال القدرة ، وقوله : « يبسط الرزق لمن يشاء » اشارة الى نفوذ مشيئته وارادته ، وقوله : « ان الله بكل شيء عليم » اشارة الى شمول علمه . والقادر المريد العالم لا يكون الا حيا .

ومن ذلك آيات من القرآن الكريم ختمت بالحلم والمغفرة ، او بالعفو والمغفرة ، او بالرحمة والمغفرة ، وربما وقع لبعض الاوهام ان هذه التذييلات في غير موضعها ، وان غيرها اولى بهذه الأمكنة منها ، وعلى احسن الظن ربما خفي على كثير من الدارسين سر التذييلات فيها .

من ذلك قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم »(٤) .

ومثلها قوله سبحانه : « وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما »(٥) .

فالاخبار عن المؤاخذة بما كسبت القلوب ، وعن لزوم الجناح على ما تعمدته يستدرج الذهن الى أن يكون التذييل مما يؤكد أمر المؤاخذة ، ومما يرهب ويخيف ، حتى يدعو ذلك الى الامتثال ، لأن الحكيم لا يذكر العفو مع التهديد لانه يكون اغراء بالذنب . وهنا ختمت كل من الآيتين بالغفران ، مع الحلم في احداهما ، والرحمة في الاخرى .

وقد قال ابو حيان في (البحر المحيط) معقبا على الآية الاولى : (جاءت هاتان الصفتان تدلان على توسعة الله على عباده ، حيث لم يؤاخذهم باللغو في الأيمان ، وفي تعقيب الآية بهما اشعار بالغفران والحلم عمن اوعده الله بالمؤاخذة ، واطماع في سعة رحمته ، لأن من وصف نفسه بكثرة الغفران والصفح مطموع فيما وصف به نفسه ، فهذا الوعيد الذي ذكره تعالى مقيد بالمشيئة كسائر وعيده تعالى) .

وجعل ابو السعود الكلمة الاولى من التذييل متعلقة بالجزء الأول من الآية : فالله سبحانه غفور حيث لم يؤاخذ على اللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت ، وقلة المبالاة ، والكلمة الثانية متعلقة بالجزء الثاني ، فهو سبحانه (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة .

وقيل في الآية الثانية « وكان الله غفورا رحيما » لا يؤاخذكم بالخطأ ، ويقبل التوبة من المتعمد ، ولكن لم يجر للتوبة ذكر هنا .

— ● —

ومما يقرب من هاتين الآيتين قوله تعالى : « **يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما** » .

فالمراد هنا الأمر باخفاء الجلابيب عليهن ، وامتثال الأمر انما يتحقق اذا

---

(٤) سورة البقرة ٢٢٥ . (٥) سورة الاحزاب ٥ .

وصل بالوعيد على مخالفته ، أما وصله بالمغفرة والرحمة فذلك يدعو الى التهاون فى التنفيذ .

وقد قال بعض المفسرين : وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط (رحيما) بتعليمهن آداب المكارم ، ومثل هذا الجواب جاء فى قوله تعالى — فى سورة النساء : « وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما » .

ولا يتجه هذا الجواب الا على الرأى الذى يقول ان الناس مكلفون بمكارم الاخلاق بحكم العقل ، وقد تعلق بذلك فعلا بعض المفسرين كالزمخشرى ، وهو معتزلى معروف .

وقريب من هذه الآيات الكريمة قوله تعالى : « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور »(٦) .

وقد احتفل المفسرون لبيان المناسبة فى هذه الآية بين اولها وآخرها ، وأطال فى ذلك الزمخشرى قال : فان قلت : كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع ؟ قلت : المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب ، والعفو عن الجانى على طريق التنزيه لا التحريم ، ومندوب اليه ، ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه ، وسلك سبيل التنزيه ، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ، ولم ينظر فى قوله تعالى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله — وأن تعفوا أقرب للتقوى — ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور » .

فـ (ان الله لعفو غفور) أى لا يلومه على ترك ما بعثه عليه ، وهو ضامن لنصره فى كرته الثانية من اخلاله بالعفو ، وانتقامه من الباغى عليه .

ويجوز أن يضمن النصر له على الباغى ، ويعرض — مع ذلك — بما كان أولى به من العفو ، ويلوح بذكر هاتين الصفتين .

أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة ، لأنه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده .

وقد نقل ذلك الفخر الرازى فى تفسيره الكبير — على عادته من كثرة النقل من الكشاف — ولم يزد عليه شيئا .

ويبدو لى أن كل هذه الأجوبة غير مقنعة تماما لا سيما الجواب الأخير ، فان الدلالة بذكر العفو عن القدرة لا يمنع أن يكون هنا سر لايثار هذه الكلمة (العفو) على ضدها ، وهو (القادر) مع أن الموضع لهذا المعنى الأخير .

ثم ان الله سبحانه كيف يعده بالنصر على من بغى عليه ، اذا عاقبه بمثل ما عاقب به ، ويذكر ذلك مؤكدا بان واللام . ثم يجعل هذا التصرف منه ذنبا يعده عليه بالعفو والمغفرة .. ؟!

أما الجواب الثانى ، وهو أن الله سبحانه وتعالى اشار بذلك الى انه ينبغى الصفح والعفو جواب حسن لو أن النظم الكريم : (وان الله لعفو غفور) أى بالواو ، حتى لا تكون هذه الجملة مبينة أو مؤكدة لما قبلها ، بل تكون مستقلة فيها صفتان من صفات الله تعالى ، نبه بذكرهما — بطريق الكناية والتعريض — على أن الاولى بمن اعتدى عليه أن يصفح ويغفر .

ولكن يبقى السؤال : لم أوثرت الكناية هنا ، ولم لم يقل — كما فى آيات أخر — وأن تعفوا وتصفحوا هو أقرب للتقوى مثلا .. ؟

وقد أجاب بعض المفسرين بأن المعاقب لمن اعتدى عليه كثيرا ما يغلبه ان يلتزم التماثل التام بين الاساءة والعقوبة عليها ، فأشار الله سبحانه الى انه

---

(٦) سورة الحج ٦٠ .

يعفو ويغفر لمن بغى عليه بعض ما تجاوز عليها ، فأشار الله سبحانه الى أنه مظلوم ، وفى التعبير بالنصر هنا ما يؤكد هذا الجواب .

وربما صح لى أن أضيف شيئا الى ما قاله المفسرون ..

يبدو لى — والله أعلم بمراده — أن ذكر الغفران والرحمة والحلم والعفو فى كل هذه الآيات انما هو اشارات الى أن بعض هذه المخالفات سيقع كثيرا فيما يستقبل من الزمان ، وأن هذه المخالفات ليست من الكبائر التى تشدد فيها العقوبات ، فمثلا (الحلف) فشا فى الازمنة المتأخرة ، وكثرة الحلف اللغو ، بل كثرة اليمين المنعقدة اذا حنث فيها ، والتى ليست غموسا ليست من الكبائر . كما أن ادناء بعض النساء من جلابيبهن قد قلت العناية به فى كثير من الشعوب ، والذى يرد الاعتـــــداء فلا يلتزم الحد الواجب اكثر من أن يحصى ، فناسب أن يجىء مع هذه التشريعات ذكر المغفرة والرحمة والعفو والحلم . ولذلك نجد الآيات التى عرضت لكبار الذنوب ختمت بتشـــــديد العقوبات ، فآيات القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر لا ظل فيها لذكر المغفرة والرحمة الا مع التوبة منها ، قال تعالى : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما »(٧) .

وقد روى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : قرأناها على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سنين : والذين لا يدعون مع الله الها آخر .. الآية ، ثم نزلت : الا من تاب . فما رأيت النبى — صلى الله عليه وسلم — فرح بشىء قط مثل ما فرح بها ، وفرحه بأنا فتحنا لك فتحا مبينـــا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

وقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شـــــهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم »(٨) .

فأما قوله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم »(٩) ، فالمراد — والله أعلم — غفور رحيم لهن لا لسادتهن ، وروى انها فى مصحف ابن مسعود — رضى الله عنه — كذلك ، وكان الحسن — رحمه الله — اذا قرأها ، يقول : لهن والله ، لهن والله .

ولعل السر فى ذلك أن الاكراه ربما كان دون ما اعتبرته الشريعة ، وهو الذى يخاف منه التلف ، فكن بقبول البغاء آثمات .

وأمر آخر بدا لى بعد ما أطلت النظر فى هذه الآيات الكثيرة التى ختمت بالغفران والرحمة والعفو والحلم والرأفة ، وما الى هذه الصفات التى تبعث فى نفوس المؤمنين الأمل والرضا ، وتفتح لهم طريق العودة الى الله مع كثير من الرجاء .

ذلك الأمر هو أن القرآن الكريم يؤثر جانب الوعد على جانب الوعيد ، فضلا من الله ونعمة ، فهو سبحانه يلفت نظر المسلم وقلبه حتى فى المواضع التى تتملكه فيها الرهبة الى أنه — جل وعلا — غفور رحيم . وهذا — اذا صدق الايمان — لا يدعو الى التهاون ، بل ربما بعث فى نفس المؤمن الخجل والحياء من الله ، أن يكون هو مقيما على معصيته الله ، والله سبحانه يمده العفو

---

(٧) الفرقان ٦٨ — ٧٠ . (٨) النور ٤ و ٥ . (٩) النور ٣٣ .

والحلم . وبذلك يشتد اقباله على الله ، وتقوى رغبته فيما عنده .
ولعل مما أعانني على هذا الفهم أن القرآن الكريم فى بعض المواضع التى ترتمد فيها النفوس من قسوة الوعيد يلاطفها بحسن الوعد ، لعلها ترجع بالترغيب ، كما ترجع بالترهيب . لنقرأ قوله تعالى : « فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين »(١٠) فقد وقف المفسرون ، والناظرون فى معانى القرآن الكريم عند قوله تعالى : « فقل ربكم ذو رحمة واسعة » وكيف جاء مع افتراض تكذيب اهل مكة للرسول ، وكيف جاء مع وصفهم فى آخر الآية بأنهم قوم مجرمون ، وقالوا ان التناسب غير واضح .
وممن ذكروا ذلك صاحب (البرهان) حيث قال : (ذو رحمة واسعة مع أن ظاهر الخطاب ذو عقوبة شديدة ، وانما قال ذلك نفيا للاغترار بسعة رحمة الله تعالى فى الاجتراء على معصيته ، وذلك أبلغ فى التهديد ، ومعناه لا تغتروا بسعة رحمة الله تعالى فى الاجتراء على معصيته فانه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم) .
وقول الزركشى هذا واضح التكلف ، فان الآية لا تدل على منعهم من الطمع فى سعة رحمة الله ، بل الذى يتبادر الى الذهن أن هذا اطماع لهم فى أن يرجعوا عن كفرهم ، فيدخلوا فى سعة رحمة الله ، ومع هذا الاطماع نبههم الى أن الله سبحانه — مع سعة رحمته — ذو بأس شديد لا يرده عن القوم المجرمين الذين لم تغرهم رحمة الله فظلوا على اجرامهم .
ولننظر — أيضا — الى قوله تعالى : « يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم »(١١) وقد أطال العلماء فى بيان سر التعبير بالكريم فى هذه الآية ، وقالوا ان النظم كان يقتضى : ما غرك بربك القهار ، أو الجبار ، أو المنتقم — مثلا — لأن كونه كريما يشجعه على الاغترار بكرمه ، ولذلك روى عن ابى بكر الوراق انه قال : لو قال لى : ما غرك بربك الكريم ؟ لقلت : غرنى كرم الكريم . وقال بعض اهل الاشارة : انما قال ربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه حجته فى الاجابة ، حتى يقول : غرنى كرم الكريم .
والذى روى عن العلماء فى تفسير الآية فيه ما هو متقابل ، فبعضهم يتمشى مع السياق الطبيعى للآية ، ويرى ان الله سبحانه أراد أن ينبه عبده الى أنه — جلت قدرته — كريم ، يعطى بغير منّ ، وبغير انقطاع ، وان الانسان ما كان يتخذ من هذا الكرم باعثا له على عدم الاغترار ، وعلى الاجتهاد فى العبادة ، وعلى صدق الايمان ، فكثرة الكرم — كما يقول الرازى — توجب الجد والاجتهاد فى الخدمة ، والاستحياء من الاغترار والتوانى .
ونظر بعض المفسرين هنا ببيت امرىء القيس :

أغرك منى أن حبك قاتلى
وانك مهما تأمرى القلب يفعل

مع أن بعض النقاد عابه قائلا : اذا لم يغرها هذا منه فماذا يغرها .. ؟
ولكن اهل التدقيق فى المعانى اجابوا عن امرىء القيس بأن هذا مبالغة منه ، وتيئيس لها من أن يغرها هذا ، مع انه موجب للغرور ، ولكن عند غيره ، أو مع غيرها ، وكأنه قال : اذا كان هذا يغر — وهو ولا شك كذلك — فما ينبغى أن يغرك منى ، لأنى ، وان بلغ بى حبك ما بلغ ، وان كان قلبى يستجيب لك ينبغى له أن يغتر بسعة هذا العطاء ، بل كان عليه ان كان سليم الفطرة أن فى كل ما تأمرين به — أملك ناصية أمرى ، واستطيع أن اتغلب على كل هذا

(١٠) الأنعام ١٤٧ . (١١) سورة الانفطار ٦ . (١٢) سورة النساء ٩٧ — ١٠٠ .

الضعف في نفسي ، فأنا محب ، خاضع للحب ، ولكن انكر عليك أن تخدعي فتفتري بهذا مني .

ويمكن أن يقال : ان هذه الصفات متصل بعضها ببعض ، اي ما غرك بربك الذي تكرم عليك بأن صورك في صورة حسنة ، وهو اذا شاء جعلك في أية صورة اخرى ، هو منعم وهو قادر فلا ينبغي أن تفتر بمن هذه صفاته .

ومع كل هذه التخريجات لا نغفل أن الله سبحانه — وهو أعلم بمراده — اراد أن يرغب عباده في عفوه ومغفرته وكرمه ، والا يجعل اليأس من كل ذلك يسيطر على نفوسهم .

ولعل جماع ذلك كله قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا » .

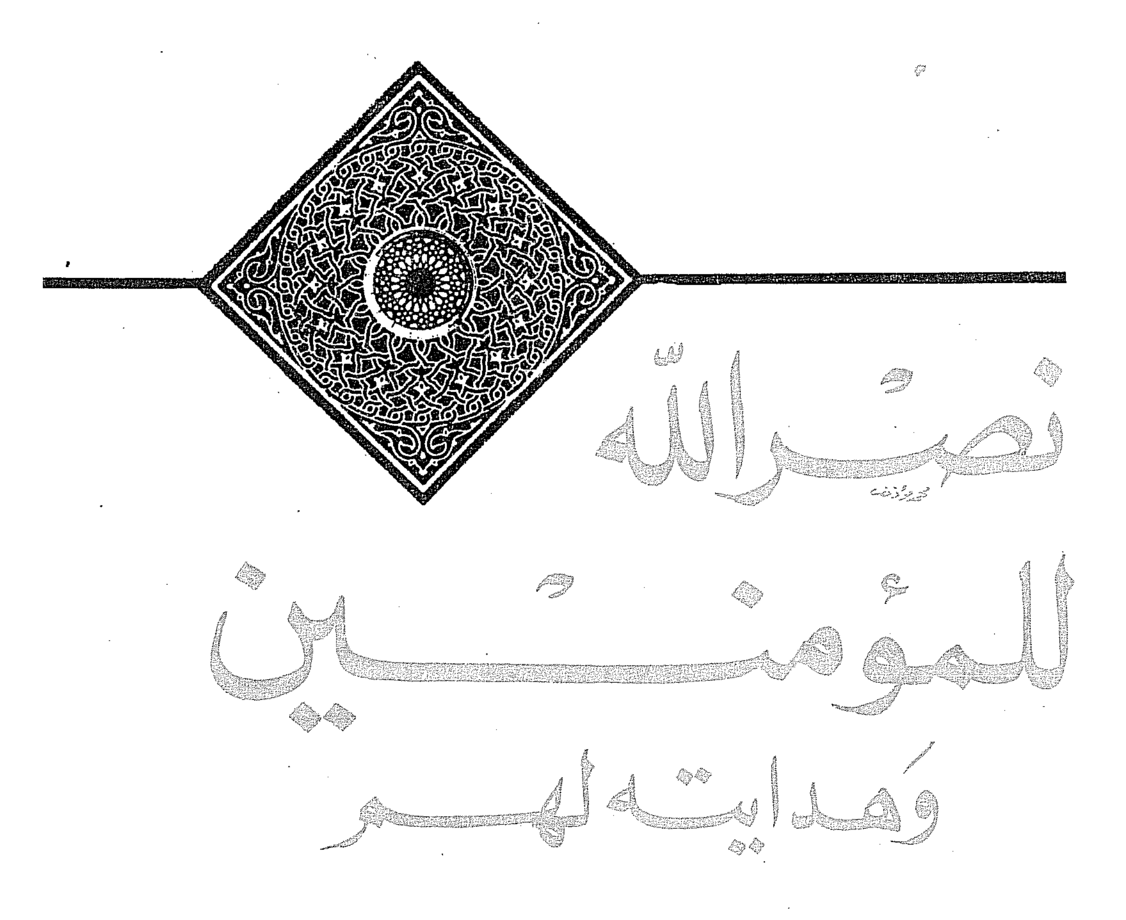
ويبدو للدارس في بعض الأحايين أن هاتين الصفتين (المغفرة والرحمة) تجيئان لمجرد وصف الله تعالى بهما ، دون أن يكون هناك ذنب يشار اليه في الآية ، وكأن القرآن يقول : حتى لو توهم أن هنا ذنبا فان الله غفور رحيم .

نقرأ قوله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما » .

فالقرآن الكريم وصف بعض الذين لم يهاجروا بأنهم مستضعفون في الأرض ، وبأنهم لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا ، فهم لا يجدون وسيلة للهجرة بسبب الفقر والعجز ، وليس لهم علم بالمسالك فليس عليهم اذن جناح ، وقد أخرجهم الله سبحانه وتعالى من الوعيد السابق للذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم ، فما المراد بقوله : « فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » ، وعم يعفو ؟ ان هذا وعد من الله سبحانه ، وعد مؤكد بالعفو عنهم ، ولكن القرآن لم يشر الى ذنب ارتكبوه ، فما السر ؟ لقد أجاب صاحب الكشاف بأن هذا (للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه ، حتى ان المضطر ، البين الاضطرار من حقه أن يقول : عسى الله أن يعفو عنى ، فكيف بغيره) . وهو — بذلك — يقرر انه لا ذنب لهؤلاء الا مجرد الخوف من أن يكون تأخرهم مع اضطرارهم ذنبا ، ومع ذلك وصف الله سبحانه نفسه بأنه عفو غفور لتكون هاتان الصفتان على ذكر دائم من المؤمنين الذين عاقتهم ظروفهم المادية والجسدية والنفسية عن الهجرة .

والقرآن الكريم وصف (الرجل) بأنه خرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ، وبأنه حين مات دون غايته وجب أجره على الله ، فأى ذنب جناه هذا المهاجر ؟ لعل ذنبه انه تأخر عن الهجرة في وقتها الواجبة عليه فيه ، فالله غفر له ذلك ، لكن القرآن يقول : « فقد وقع اجره على الله » . اى انه لما هاجر خالص النية لله ولرسوله كان ذلك كافيا في ان يتكفل الله له بالأجر ، وان لم يبلغ غايته التى هاجر اليها ، فوصف الله سبحانه نفسه هنا بالغفران والرحمة لتذكير المؤمنين بهاتين الصفتين الكريمتين .

وقد أطلت في هذا الموضع لأن الآيات التى ذكرت فيها هذه الصفات : (الغفران — الرحمة — الرأفة — العفو) كثيرة في القرآن الكريم ، وبعضها يحتاج الى وقفة واعية متأملة ليصل الدارس الى سر ذكرها في هذا الموضع أو ذاك .



نصر الله للمؤمنين وهدايته لهم

للدكتور محمد البهى

* يعد الله المؤمنين بنصرهم ، ويؤكد وقوع النصر كأمر لا يتخلف فى حياتهم اطلاقا : « .. **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » (الروم ٤٧) . فيوجب عليه جل شأنه فى هذه الآية القرآنية : نصره للمؤمنين . بل لا يكون النصر للمؤمنين الا منه وحده ، سبحانه : « **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** » (آل عمران ١٢٦) .

* هذا وعد الله فى كتابه . ولكن متى يتكفل الله بذلك للمؤمنين به؟ أو بعبارة أخرى : متى يتحقق النصر فعلا للمؤمنين به ؟ .

تقول آية قرآنية أخرى : « **يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » (محمد ٧) .. فتجعل نصر المؤمنين لله شرطا أو مقدمة لنصر الله لهم . وتأتى آية أخرى لتؤكد هذا الشرط ، فى قول الله تعالى : « **ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز** » (الحج ٤٠) والتعقيب فيها بقوله : « **ان الله لقوى عزيز** » ليوضح توافر أسباب النصر فى جانب الله ، وهى أسباب القوة والمنعة لديه . وهذا من شأنه أن لا يكون هناك عائق اطلاقا للنصر من جانب الله .

ونصر المؤمنين لله لا يتصور الا باتباعهم هدايته ، على نحو ما جاء فى كتابه . وهداية الله هى تخطيط لموقف المؤمنين نحو ذواتهم ، ولموقفهم من أعدائهم .

* فماذا قرأنا بعد الآية الأخيرة هنا في سورة الحج قول الله تعالى : **« الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور »** (الحج ٤١) .. وجدنا أن نصر المؤمنين لله باتباعهم هدايته فيما يتعلق بذواتهم هو — ان مكنوا — أن يقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويأمروا بالمعروف ، وينهوا عن المنكر .

ومعنى اقامتهم للصلاة : خضوعهم لله وحده ، وتوكلهم عليه ، وعدم طغيانهم بنعمه من قوة مادية ، أو اقتصادية ، أو بالأولاد والعصبية ، وبالجاه والسلطان .
اذ اتصالهم بالله في الصلاة عدة مرات من شأنه ان يحملهم على الرجوع الى كتاب الله فيما يتعلق بسلوكهم .
ومعنى ايتائهم الزكاة : مشاركتهم بأموالهم الخاصة في سد حاجة الآخرين معهم في امتهم ، وبعدهم بذلك عن أن تسيطر عليهم الأنانية . ومن لا تسيطر عليه الأنانية فهو انساني ، قد تحول فعلا من الجاهلية المادية الى الروحية الانسانية في مجتمع اسلامي ولذا جعل القرآن الكريم الظاهرة المميزة للمؤمن — وهو غير الأناني شأنا — عن الجاهلي أو المادي ، وهو أناني : ان المؤمن يسد حاجة المحتاج ، وهو محب لما يقوم به من مشاركة في سد هذه الحاجة . يقول تعالى في سورة الانسان ٧ : **« ويطعمون الطعام على حبه** (أي على حب الاطعام) **مسكينا ، ويتيما ، وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا »**
بينما الجاهلي أو المادي الأناني لو سئل في سبيل المشاركة في سد حاجة غيره هزأ وسخر من السائل ، وظن ان السائل له في ضلال وحيرة : **« واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقهم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا : انطعم من لو يشاء الله أطعمه ، ان أنتم الا في ضلال مبين »** (يس ٤٧) .
ومعنى الأمر بالمعروف : قيامهم بالواجبات ، سواء تلك التي فرضها عليهم ايمانهم بالله ، أو الأخرى التي يفرضونها هم على أنفسهم في العهود والمواثيق لله ، وفي القبول والايجاب في المعاملات : **« يوفون بالنذر** (وهو الواجبات المختلفة) **ويخافون يوما كان شره مستطيرا »** (الانسان ٩) .
أما النهي عن المنكر فهو العمل على البعد عن الجرائم ، وبالأخص الاجتماعية منها ، وهي التي تتعلق بالنفوس ، والأموال ، والأعراض .

واداء هذه الأمور الأربعة تجعل للانسان صلاحية : أن يتغلب على اهوائه ، وبالتالي يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الفردية . وايثار المصلحة العامة هو عامل نجاح الأفراد في عمل جماعي . وهو قبل ذلك عامل في السيطرة على الفردية المهلكة في الذات .

* أما اتباع المؤمنين هداية الله في موقفهم من أعدائهم فيتمثل في ثلاثة أمور ، يوضحها كتاب الله :

الأمر الأول : ان يعد المؤمنون انفسهم لمواجهة اعدائهم في رد عدوانهم ، أو في القضاء على فتنتهم

واعداد المؤمنين أنفسهم هنا هو اعداد القوة المادية فى الدرجة الأولى . اذ الاعداد النفسى أو الذاتى قائم فعلا بأداء الصلاة ، وايتاء الزكاة والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . ويوجب الله على المؤمنين اعداد أنفسهم بالقوة فى قوله تعالى : **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »** (ويدخل فى حساب القوة : حسن التدريب على أساس علمى ومنهجى ، واقتناء الوسائل المتفوقة فى القتال واستكشاف وضع العدو ، وجودة الاعلام والتبصير فى الوسائل وفى الموضوعية ، وغير ذلك مما ينتمى الى التفوق فى الاعداد) **ومن رباط الخيل** (وهو مثل من الأمثلة التى يقوم عليها الاعداد القوى ، وليس حصرا الوسائل التمكن والاعداد وانما ذلك بحسب العصور المختلفة) **ترهبون به عدو الله ، وعدوكم** (أى والهدف من الاعداد القوى ليس هو الاعتداء على الآخرين ، أو العدوان على حرمات الغير . وانما هو ارهاب عدو الله وعدو المؤمنين معا . وعدو الله والمؤمنين معا هو ذلك الوثنى المادى أو الجاهلى الذى ينكر القيم الانسانية فى سلوكه وفى تعامله ، ويلجأ الى الميكافيلية واللا أخلاقية فى تحقيق أهدافه . وأرهاب عدو الله وعدو المؤمنين هو حائل يحول دون مباشرة عدوانه أو هو وقاية من عدوانه المفاجىء) **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** (وعدو الله وعدو المؤمنين ليس هو فقط ذلك الفريق الذى يجهر بعداوته للمؤمنين وهداية الله . وانما من ورائه ومتستر خلفه : عدو لله وللمؤمنين أيضا ، أو قد يخرج من هذا الظاهر جيل أو أجيال قادمة تباشر عداوة الله وعداوة المؤمنين .

والاعداد القوى المتنوع اذن يجب أن يكون ملازما لوجود المؤمنين بالله لوقايتهم من اعدائهم فى الظاهر وفى الخفاء ، وفى حاضرهم ومستقبلهم . فان قصر المؤمنون بالله فى هذا الاعداد لم يكونوا عندئذ قد اتبعوا هداية الله التى هى شرط أساسى فى نصرة الله لهم على اعدائهم ، وبالتالى لا يكفل الله لهم النصر ، ان هم اشتبكوا فى قتال مع هؤلاء الأعداء) **وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون** (الانفال ٦٠) (والاعداد للقوة لمواجهة العدو أو القضاء على فتنته ، فى سبيل بقاء المؤمنين احرارا يمارسون حقهم فى الحياة فى ظل هداية الله هو قطعا فى حاجة الى مال ، كما هو فى حاجة الى رجال مؤمنين ، ينسون انفسهم فى سبيل الله ، وسبيل المصلحة العامة . وهنا ما ينفقه الأفراد على اعداد قوة المؤمنين يجعله الله جل شأنه فى مستوى قرض اقترضه من الموسرين، ويعد بوفائه من غير نقص أو بخس فى قدره ومقداره . ويفى به سبحانه فى الدنيا والآخرة معا) .

والاعداد للقوة المادية ضرورة اسلامية لحياة المؤمنين ، وهدفه هو رقابة المؤمنين من اعتداء أعدائهم وأعداء الله عليهم ، وهم اولا وأخيرا: الماديون ، ولو كانوا من أهل كتاب سبق .

والموسرون من المؤمنين فى أى مكان مدعوون من قبل الاسلام بالاسهام فى اعداد المؤمنين للقوة المادية ، مع عهد الله على نفسه بالوفاء لهم وفاء حسنا . والقرآن هنا اذ يقول للمؤمنين : « وما تنفقوا فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .. لا يعرف فواصل ولا

حدودا بين المؤمنين من القومية ، والشعوبية ، واللغوية .

الأمر الثاني : ان يرجع المؤمنون الى كتاب الله ليتفقوا على طبيعة أعدائهم ، وما لهذه الطبيعة من سلبيات ، فان هم رجعوا الى القرآن ليقفوا على طبيعة الأعداء الذين تفشى بينهم النفاق ، والغدر حول مدينة الرسول عليه السلام على عهده ، وهم بنوا النضير واخوانهم فى قريظة ، فانهم سيقفون على طبيعة تغلب عليها الانانية وحب الذات ، ويغلب عليها الميل الى التصديق بالمحسوس وحده . وكل صفة من هاتين الصفتين تتبعها آثار بارزة فى السلوك والمعاملة من أصحاب الطبيعة انفسهم :

فحب الذات يستتبعه الجبن . والجبان لا يقاتل فى مواجهة عدوه . وانما يقبل على القتال من وراء حجاب اذا أمن آثار القتال على حياته . يقول الله تعالى : **((لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة ، أو من وراء جدر))** يقول سبحانه ذلك فى وصف طبيعة اليهود من بنى النضير . واذ يقول ذلك لا يقوله خاصا بهذا الفريق من سكان بنى النضير بالقرب من المدينة على عهد الرسالة . وانما يقوله كصفة عامة لليهود الذى تحولوا عن رسالة موسى الى الايمان بالمادية وحدها ، والكفر بالروحية والقيم الانسانية جميعا . ومن قول الله هذا فى تحديد هذه الطبيعة يتجلى : ان اليهود لا يجتمعون على قتال غيرهم الا بشرط التفوق فى الامان . فهم محبون لذواتهم حبا شديدا ، ويؤثرون ذواتهم على مجتمعهم وأهدافه . اى ان الفردية وعدم التضحية بالذات فيما يسمى بمثل عليا أساسان فى تكوين شخصيتهم . والتفوق فى الأمان قد يكون بالحصون والاستحكامات . وقد يكون بالأسلحة المتفوقة تيكنولوجيا ، أو بالأسلحة الهجومية ، كما يقال . وقد يكون بما يسمى الحرص على ميزان القوى بينهم وبين أعدائهم . أى أنهم يضمنون لأنفسهم التفوق النوعى فى الاعداد للقتال ، مقابل تفوق أعدائهم فى العدد . ومعنى ذلك أيضا : أن يمنع أعداؤهم بصورة أو بأخرى من التفوق النوعى فى السلاح وفى التدريب ، طالما هم أكثر منهم عددا ، والميزان اذن هو ميزان النوع فى مقابل ميزان الكم .

وحب الذات كما يستتبع الجبن : يستتبع الفرقة أو الفردية . وهى عدم الترابط بين الأفراد على أساس رباط نفسى أو معنوى أو ايمانى مشترك . والفردية كما هى عامل من عوامل الضعف فى المجتمع ، هى عامل ايضا من عوامل الحقد ، والتنافس البغيض ، والخصومة الحادة بين الأفراد فى المجتمع الواحد . ويصف هذه النتيجة قوله تعالى فى الآية ذاتها : **((بأسهم بينهم شديد))** (الحشر ١٤) (أى خصومتهم فيما بينهم شديدة . وهى تلك الخصومة القائمة على جراة فيهم) ((تحسبهم جميعا ، وقلوبهم شتى)) (وقد يظن انهم يجتمعون فيما بينهم على أمر ما . ولكن واقع الأمر أن قلوبهم متفرقة لأنه لا يعمرها الا حب الذات وحدها)) .

اما الميل الى التصديق بالمحسوس نفسه فيولد فى نفوسهم الرهبة من القوة المادية وحدها . أى أنه اذا انضمت الى القوة العددية لأعدائهم قوة نوعية فى الاعداد والتدريب فالخشية من لقائهم لهؤلاء الاعداء

ستكون عميقة وعظيمة فى نفوسهم ويقول الله فى ذلك فى سورة الحشر أيضا : ((**لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله**)) (أى أن المؤمنين فى المدينة بعد أن أصبحوا الآن قوة عددية يحسب حسابها من قريش ومن على شاكلتها من مشركى القبائل العربية بالاضافة الى قوتهم النوعية التى كانت لهم وتجلت فى غزوة « بدر » من قبل وهى قوة الايمان : اصبحوا مصدر إرهاب ليهود بنى النضير ومن حول المدينة ، يخافونها أكثر من خوفهم من الله . لأنهم راوا هذه القوة للمؤمنين بأعينهم . ولكنهم لم يروا الله محسوسا حتى يخشوا من عظمته . ولذلك نقضوا ايمانهم بالله فى عهد موسى ، وطالبوه بأن يريهم الله حتى يعيدوا الايمان به من جديد . ويقص ذلك كتاب الله فى قوله : « **يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سالوا موسى اكبر من ذلك ، فقالوا : ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات** » (النساء ١٥٣) . وهم اذن لا يؤمنون الا بالمحسوس مجسدا .

والأمر الثانى فى هداية الله الذى يجب أن يقف عليه المؤمنون به ، خاصا بطبيعة أعدائهم : يقدم لهم معرفة الهية لا تخطىء اطلاقا . والخطأ أن وقع يكون فى عدم اتباعها . وعداوة اليهود للمؤمنين هى عداوة تاريخية . وقد أراد الله سبحانه أن يكشف عن هذه الطبيعة فى وضوح ، ويجعلها من المعتقدات التى لا تترك أبدا ، حتى لا يغفل عنها المؤمنون فى وقت من اوقاتهم .

وقد قدم لهم فى هذه المعرفة :

١ — أن اليهود لا يرهبون الا القوة المادية ، فى كمها ونوعها ، لانهم لا يؤمنون الا بالمحسوس ، ويكفرون تبعا لذلك بالقيم الانسانية .

٢ — وان اليهود تسود بينهم الفرقة النفسية والخصوصة المنيفة ، تبعا لحب الذات وسيادة الفردية عليهم .

٣ — وان صفة الجبن تتمكن من نفوسهم . فهم لا يقاتلون الا محصنين أو متفوقين فى أعدادهم للقتال وعدتهم فى وسائله ، ومن أجل ذلك تحملهم تضحية أعدائهم عند المواجهة على الفرار والتخلى عن القتال .

فاذا قابلهم المؤمنون بقوة الايمان وبقوة السلاح ، وبروح التضحية فانه لا مفر من خذلانهم وهزيمتهم . وهنا يكون نصر الله . ولذا اراد الله أن يؤكد فى هدايته فى كتابه هذه النتيجة ، ويسجلها لأجيال المؤمنين المتعاقبة ، فى قوله تعالى : « **وانزل الذين ظاهروهم** » (أى ظاهروا المشركين وساندوهم فى غزوة الأحزاب ضد المؤمنين) **من أهل الكتاب من صياصيهم** (أى من حصونهم ومعاقلهم) **وقذف فى قلوبهم الرعب** (أى اوصل الى قلوبهم الرعب من المؤمنين ، بسبب كثرتهم فى العدد . وصبرهم على حصار الأعداء . ورغبتهم الاكيدة فى القتال) **فريقا تقتلون ، وتأسرون فريقا** » (الاحزاب ٢٦) .

ثم اضافت هداية الله الى تسجيل هزيمة الأعداء من اليهود حول المدينة : فعل الله بأن اورث المؤمنين به ما لهؤلاء الاعداء : من أراض ، واموال ، وديار ، ايذانا منه سبحانه

بأن هؤلاء الاعداء لن يستقر لهم فى تاريخ البشرية وضع بعد ذلك ، مهما كان شأنهم ، امام المؤمنين بالله ، ان هم اتبعوا هدايته كما خططت هنا فى قرآنه المجيد :

« وأورثكم أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وأرضا لم تطؤها ، وكان الله على كل شىء قديرا » (الاحزاب ٢٧) .

وما صورته هنا هداية الله بشأن ما يتبع مع الأعداء من اليهود الماديين ومن النتائج التى تترتب على اتباعها لنصر المؤمنين لا يعوضه بحال انصراف المسلمين اليوم فى مجتمعاتهم الى مصادر اخرى للمعرفة تقيهم شر هؤلاء الأعداء فى حاضرهم وفى محنتهم القائمة معهم اليوم .

والأمر الثالث : عندما تكون للمؤمنين قوتهم المرهبة — وهى القوة المادية والنوعية التى يراها هؤلاء من أهل الكتاب — وجوب قتالهم دفعا لعدوانهم لعموم قوله تعالى : **« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »** (البقرة ١٩) . فان لم يكن لهم عدوان فيجب أن يتحقق للمؤمنين هدف القتال معهم ، وهو الوقاية من أذاهم، وذلك باستسلامهم وخضوعهم . ويقبل منهم المؤمنون هذا الاستسلام طبقا لقوله تعالى فى سورة الأنفال : **« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم** (والسلم هو الاستسلام أو المسالمة . والجنوح اليه هو الميل له . وقد جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم »** .

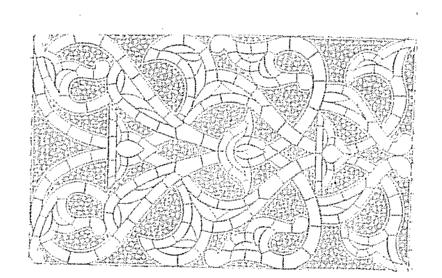
ولكن ليس المقصود من التعقيب بها بعدها : أن يتراخى المسلمون فى أعداد انفسهم للقتال ، عندما يقبلون عرض أعدائهم بالمسالمة . لأن تراخيهم فى الاعداد قبول منهم للمذلة ، ووصول بهم الى فقد استطاعتهم فى فرض السلام فى حياتهم ، على اعدائهم . وانما المقصود من هذا التعقيب : إن طلب اعداء المؤمنين منهم ان يسالموهم — والمؤمنون فى حال قتال معهم .. أو فى حال هدوء قائم على الاعداد للقتال — فعلى المؤمنين أن يكفوا عن القتال .. أو يظلوا فى حال الهدوء ، مع الاستمرار فى حالة الاعداد للقتال . وفى حال قبول المؤمنين لمسالمة أعداء الله واعدائهم من أهل الكتاب يجب ان يتوكلوا على الله فى قبولها . لأن الله خير مساعد لهم فى وقاية مجتمعهم ، ودينهم ، معا) . **وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين : وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم »** (واذا استهدف الأعداء من عرضهم للسلم وقبول المؤمنين له : خداع المؤمنين لفترة ، ينقضون بعدها عليهم ، فالله كافى المؤمنين فى تفويت هذه الخديعة على المخادعين . أولا : لأن الله هو الذى أرشدهم وطلب منهم ان يكونوا على استعداد مادى .. ونفسى فى مواجهة اعدائهم . وثانيا : هو الذى ربط بين المؤمنين برباط واحد ، وهو رباط الايمان بالله بدلا من الرباط القبلى والأسرى السابق . وهو رباط يقوى على الاحداث ، ويتفوق فى أثره فى مواجهة الأزمات . والأمران معا ، من اعداد القوة ورباط الايمان .. كفيلان بأن

يستتبعا النصر للمؤمنين أصحاب القوة ، فى لقاء القتال مع اعداء ماديين ، لا تربطهم الا روابط المنفعية والمبادلات المادية) ، **((انه عزيز حكيم))** (الانفال ٦١ — ٦٣) .

(ومن صفات الله جل شأنه : العزة والمنعة ، وتفوقه فى القدرة على كل موجود سواه .. والحكمة كذلك . وهى البعد عن سوء التقدير .. وعن الجهل ، والحمق ، ويريد جل شأنه للمؤمنين به فى عبادتهم اياه : ان يحاكوا فى انفسهم : هاتين الصفتين صفة العزة .. وصفة الحكمة . والمؤمنون على سبيل الحقيقة : هم الأقوياء الذين يحولون بقوتهم دون اعتداء أعدائهم عليهم .. وهم كذلك اصحاب الحكمة فى توجيه قدرتهم . ومن الحكمة هنا : ان يقبل المؤمنون طلب الهدنة من الأعداء . ولكنه قبول فى حذر وحيطة ، تمنع من الغدر ، والخداع والخيانة . وحيطتهم هى أن يبقوا على قوتهم دائما) .

واذا كان القرآن يمنع المؤمنين من ان يطلبوا بادىء ذى بدء : الهدنة مع الأعداء ، فى قوله تعالى فى السورة التاسعة فى الوحى المدنى ، وهو سورة محمد ٣٥ : **((فلا تهنوا ، وتدعوا الى السلم ، وأنتم الأعلون))** .. لأنه يرى فى طلبها ، امتهانا لهم .. وتحريضا غير مباشر لأعدائهم على أن يستطيعوا منذ الآن أن ينالوا منهم ، ويفرضوا عليهم شأن عداوتهم .. اذا كان يمنعهم من ذلك ، فانه لا يرى بحال : التراخى فى حال اعداد الامة للقتال اثناء الهدنة .. ولا يرى كذلك : ان تفوت الهدنة على المؤمنين: هدفهم فى رقابة مجتمعهم ، ودينهم مما من فرض القتال عليهم ، كوسيلة لدفع اهل الكتاب الى الاستسلام .

وعندئذ اذا التزم المؤمنون بهداية الله فى علاقتهم بأعدائهم فانه من الضرورى ان ينتصروا عليهم اذا اشتبكوا معهم فى قتال ، ونصر الله للمؤمنين اذن لا يدخل فى باب الاعجاز بل هو قانون من قوانين الحياة الانسانية يمثل ارادة الله . فمشيئة الله تقضى أن ينتصر المؤمنون عندما يتبعون سبيله . وهى تلك السبيل التى اعلن عنها الوحى فى كتاب الله . وهذا القانون كما كان له اعتباره فى الماضى على عهد الرسول عليه السلام يكون اعتباره فى الحاضر والمستقبل . فان الطبائع البشرية لا تتغير وارادة الله فى حياة الانسان مرتبطة بخصائصه الانسانية .





للدكتور/أحمد الحجى الكردى

لم تكن الهجرة النبوية رحلة اجمام قام بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه من مكة المكرمة الى المدينة المنورة للنزهة أو الترفيه ، كما لم تكن هربا من العذاب الشديد الذى كانوا يلاقونه على أيدى بعض زعماء قريش ابتغاء الخلود الى الراحة والسكينة ، وايثار العافية على المعاناة ، ولم تكن ايضا تخليا عن المسؤولية عن البلد الحرام الذى بقى أبد الدهر موئلا للاتقياء والعباد من بنى البشر ، ولا فرارا من الزحف ، ولكنها كانت مرحلة ضرورية لابد منها لسلامة سير الدعوة الاسلامية بعد أن كادت تصل الى طريق مسدودة . فهى اذن مرحلة من مراحل الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وخطوة من خطوات الدعوة الى الاسلام كان لها أسبابها الكثيرة المتشابكة .

وأهم هذه الاسباب :

١) اشتداد العذاب الذى كان يمارسه كفار قريش ضد المستضعفين من المؤمنين ، ولو ذهبنا نتحدث عن أساليب التعذيب الوحشية التى كان يمارسها بعض زعماء قريش ضد هؤلاء المستضعفين لكتبنا فى ذلك المجلدات دون أن تنتهى هذه الصور . وحسبنا أن ـ نشير الى قصص تعذيب بلال وياسر وسمية وابنهما عمار ، وغير ذلك .

وينبغي ان يتنبه هنا الى أن هذا التعذيب لم يكن هو الدافع الى الهجرة او احد الدوافع اليها بقصد الخلاص من العذاب ، ولكنه الدافع اليها بغية تمكين الاسلام من الانتشار ، ذلك أن العذاب كان يثنى كثيــــرا من الهمم المتشوقة الى الدخول فى الاسلام من الدخول فيه خشية ان يصيبهـــا من العذاب ما يصيب هؤلاء المستضعفين . وذلك بدليل أن عدد المسلمين ازداد زيادة كبيرة بعد الهجرة وخلاص المؤمنين من هذا العذاب ، كما أن أحدا من المؤمنين الذين لاقوا العذاب الشديد لم يرجع عن اسلامه ، بــل فضلــوا جميعا الصبر على العذاب واحتمال الاذى والموت على الارتداد الـــى الكفر بعد الايمان ، وما قصة ياسر وسمية زوجه عنـــا ببعيدة .

٢) الحصار الاقتصادى :

ذلك أن الكفار عندما شعروا بعجزهم عن ايقاف مــد الدعوة الاسلامية رغم كل انواع العذاب الذى مارسوه ضد المسلمين قــرروا محاصرة بنى هاشم والمسلمين محاصرة اقتصادية كاملة تحول بينهم وبين ضروريـــات العيش البسيط ، وتمنعهم من الاتصال بأحد من العرب او غيرهم ، فاتفقوا على كتابة الصحيفة التى علقوها فى جوف الكعبة ؛ تلك التى عانى منهـــا بنو هاشم والمسلمون أنواع العذاب والحرمان حتى كادوا يأكلـــون أوراق الشجر من شدة الجـــوع ، ولقد كان باستطاعتهم ان يحتملوا ذلـــك كله لو انه اتيحت لهم معه حرية ممارسة الدعوة الى الاسلام فى انحاء الجزيرة العربية ، ولكن الأسى كان يحز فى نفوسهم عندما اضحت هــذه الصحيفة المشؤومة حائلا بينهم وبين الاتصال بالعرب فى غير المواسم الدينية القليلة مما يجعل دعوتهم تسير نحو الاختناق فى قمقمها لا محالة لو استمروا هــم على اقامتهم فى مكة .

هذا ولا يضر ان الصحيفـــة نقضت قبيــل الهجرة ، ذلك ان آثارهـــا لم تزل باقية ، وأنى لها أن تزول وقد أدمت قلوب المسلمين وقرحت أكبادهم ، واهاجت احقاد العرب عليهم .

٣) وفاة الناصرين لرسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ذلـــك ان الله سبحانه قيض لرسوله الكريم ناصرين له من أهله يواسونه ويخففون من آلامه ، ويدافعون عنه ويمنعون اذى الكفار من أن يصيبه ، ذلـــك الــذى وصل الى درجة لا يستطيع انسان عادى احتمالها ، وهما خديجة بنت خويلد زوجه الكريمة التى وقفت الى جانبـــه بمالها وجاههـــا ، ونصبت من نفسهـــا مواسيا لجراحه ومخففا لاحزانه ، وعمه أبو طالب ، ذلك الانســـان الــذى وقف الى جانب النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ على كفره فى جميع المواقف يدافع عنه ويحميـــه وينتصر له وهـــو من هو فى مكانته ومقـــامه من قريش . أما الآن فقد ماتا متتابعين فى عام واحد والحق ذلك الحزن العميـــق بنفس النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لفقده المواسى فى الملمات ؛ والمدافع فى المهمات ؛ حتى أصبح عرضة للعذاب الشديد الذى يحول بينه وبين تنفيـــذ

مهماته ومتابعته دعوته ، الامر الذى يتوجب معه الانتقال الى دار اخـــرى وقوم آخرين يحمونه ويدافعون عنه ويؤمنون به .

٤) كبرياء قريش وتعاليها :

فقد كانت قريش تتمتع بمكانة كبيرة بين العرب منذ القديم ، ذلك انها حامية بيت الله تعالى ، الذى يجتمع فيه العرب جميعا فى كل عام من شتى أرجاء الجزيرة العربية للحج والتجارة وانشاد الشعر والادب . وقد حالت هذه المكانة بينها وبين الدخول فى الاسلام الذى يسوى بين كل الناس قرشى وغير قرشى ، وعربى وغير عربى . ذلك أن الاسلام دائما يعلن المساواة التامة بين جميع البشر ، وان السبب الوحيد للمفاضلة بينهم هو تقوى الله تعالى . وقد حاول النبى الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليــه ــ طيلــة ثلاثة عشر عاما أن يصل الى نفوس القرشيين عبر تلك الكبرياء . وذلــك التجبر دون أن يمسه بسوء أو يقضى عليه لعلهم يرجعون عن غيهم وينتهون من غفلتهم ، فرضى بتخصيص مجلس خاص بهم بعيدا عــن عامة المسلمين ، ولكنهم أبوا الا العناد والتعالى على الاسلام والمسلمين حتى لم يعد بد من كسر هذا الكبرياء والتعالى واستعمال الســلاح والقوة ، ولكن انى للنبى ــ صلى الله عليه وسلم هذه القوة لو لم يهاجر الى المدينة المنورة لاعداد الجيش والمجاهدين .

ذلك ما اضطر معه النبى ــ عليه الصلاة والسلام آخر الأمر الى الرحيل من ديارهم ثم العودة اليهم بعد ذلك عودة الفاتحين المنتصرين ، يكسر عنادهم وتعاليهم بحد السيف وسنان الرمح فتتفتح قلوبهم بعد أن زالت الاغلال عنها وتنيخ لصوت الحق ، وتحمل لواء الفضيلة والهداية ، وتدخل فى دين اللــــه افواجا .

هذه هى أهم الاسباب التى دفعت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الهجرة من بلد الله الحرام مسقط راسه ومحط أمله واحب بلاد الله اليه . ذلك أن الدعوة التى أنزلت عليه من الله تعالى وأمر بتبليغها للناس كافة كانت أحب اليه من بلده ومن الدنيا جميعها ، فغادرها وهو يناديها بنفس مكتئبــة وقلب حزين انك لأحب بلاد الله الى ، ولو لا أن أهلك اخرجونى منـــــك ما خرجت (أو كما قال) .

هذه أهم الاسباب التى دفعت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الهجرة ، وهى بمجموعها تتركز حول حرصه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على سلامة سير الدعوة الاسلامية نحو القلوب المقفلة والنفوس المظلمة .

والآن لا بد لنا أن نتساءل : هل حققت الهجرة النبوية من مكة المكرمة الى المدينة المنورة الغاية المرجوة منها .. ؟

وللاجابة على ذلك فان علينا أن نتطلع الى النتائج التى انتهت اليها هذه الهجرة الكريمة ، والى سير الدعوة الاسلامية بعدها . واذا ما فعلنا ذلــك فإننا سوف نرى ان الهجرة النبوية كانت نقطة تحول كبرى فى طريق الدعوة

الاسلامية ، فقد انتقلت بها من عهد الى عهد آخر يختلف فى كثير من جوانبه عن العهد الاول .

ويتجلى ذلك فى النقاط التالية :

١) حرية الدعوة الى الله تعالى

فقد أصبح النبى — صلى الله عليه وسلم — فى المدينة المنورة حـرا طليقا يدعو الى ربه سبحانه من شاء فى أى وقت شاء ، دون ما رقيب عليه أو معارض له . فهؤلاء هم الأوس والخزرج فى المدينة يلتفون حوله ويدافعون عنه ويحمونه ويؤمنون به ، وهم من هم فى قوتهم وجلدهم ، فقد أعطوه العهد والميثاق يوم العقبة على شركهم وعدم ايمانهم به بعد لا ينالونه باذى ، لانهم بصدد دراستهم لاحواله ودعوته وفى طريقهم للايمان به .

هذه الحرية لم تكن متاحة للنبى — صلى الله عليه وسلم — فى مكة ، فقد كان اذى قريش يناله وينال كل من يتصل به أو ينصت اليه فيصرف ذلك الناس عن الايمان به .

٢) الخلاص من عذاب قريش واذاها

فقد كانت قريش تنال المسلمين والمستضعفين منهم خاصة باذى شديد لا يحتمله بشر والامثلة على ذلك كثيرة لا تعد . وهذا العذاب صارف ولا بد لكثير من النفوس عن التفكير فى الاسلام والايمان به لما ركبت عليه النفوس الانسانية من ضعف خلقى . أما فى المدينة فقد أصبح المسلمون فى أمـان الله بعيدين عن ان تنالهم ايدى المشركين باذى ، فان المدينة بلد — حصين ، وان الانصار قوم أشداء وأقوياء وقد آخو المهاجرين والتزموا بحمايتهم والدفاع عنهم .

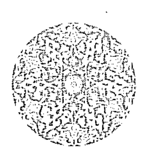
٣) تفرغ النبى — صلى الله عليـه وسلم — لبناء الدولة ، فقد أمضى فى مكة ثلاثة عشر عاما كان فيها مشغولا ببناء الفرد لم يتحول عنه ، أما بناء الدولة والمجتمع المسلم فهو ما لا سبيل اليه فى مكة مع قلة العـدد وشدة العدو . أما الآن فقد زاد عدد المسلمين وتفقهوا جميعا فى دين الله تعالى ، وخف عنهم اذى قريش ، لذلك فاننا نرى النبى — صلى الله عليه وسلم قد انصرف الى بناء الدولة الاسلامية وتنظيم المجتمع المسلم على اسس مخططة مدروسة اثمرت اقوى دولة عرفها التاريخ البشرى تناسقا وتماسكا وحضارة ورقيا . دولة تحمل النور والهداية والعلم للعالم كله ، فتنير بذلك قلوبا مظلمة ، وتفتح افكارا مغلقة ، وتهدى نفوسا طالما تعطشت الـى العدالة والحرية والحق ، وتخلص بذلك الانسانية المعذبة كلها من الهاوية التى كادت تتردى فيها . فحق لها أن تكون بذلك كله خير دعوة وخير رسالة حملتها خير امة اخرجت للناس .

وعلى ذلك تكون الهجرة النبوية نقطة تحول كبرى فى تاريخ الدعـوة الاسلامية ، انتقلت بها من مرحلة بناء الفرد الى مرحلـة بناء الجماعـة والدولة .

وقد واكب القرآن هذا التحول ، فبينما كان يعنى فى مكة المكرمة ببناء العقيدة والاخلاق وترسيخ القيم وغسل الافكار والقلوب مما ران عليها من الجهل والضلال ، أصبح يعنى فى المدينة المنورة بأمور التشريع وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع من النواحي المختلفة المادية منها والمعنوية وبقيمها على أسس من العدالة وتكافؤ الفرص امام جميع المسلمين ، بل أمام جميع الناس على اختلاف لغاتهم واجناسهم ودياناتهم ، حتى أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يعلن دائما قوله الشريف (من آذى ذميا فانا خصمه يوم القيامة) ، ويعلن قوله (كلكم لآدم وآدم من تراب) ، فانه ليس بعد هذا الانصاف انصاف ، وليس بعد هذه العدالة عدالة على وجه الارض .

٤) تفرغ النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ للوقوف فى وجه الكفر ان للضلال ، وصده بالدليل والبرهان ، وبالقوة والحرب . فانه من المعروف أن للضلال شوكة فى كثير من الاحيان لا يمكن ردها بالدليل والبرهان وحده ، ولا بالحوار فقط ، بل انه يحتاج فى كثير من الاحيان مع الدليل والمجادلة بالحسنى الى السلاح ، وهو ما لم يكن متيسرا للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى مكة مع قلة عدد المؤمنين وضعف قوتهم أمام كبرياء قريش وشدتها ، ولكنه تيسر للنبى الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد ذلك فى المدينة المنورة . فقد استطاع أن يعد جيشا من المؤمنين تمكن به من ان يدرأ الاذى عنهم ، كما استطاع به ان يفك الاقفال الثقيلة التى جثمت على صدور كفار قريش وغيرها من العرب ، فلم تدع النور الالهي يصل اليها الى ان فكها سيف المسلمين ، وازال الغشاوة التى تركها رانا على تلك القلوب الطيبة ، وهو ما يشير اليه النبى الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله ــ (خياركم فى الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا) ، ذلك أن الفقه هو استنارة القلب بنور الله بعد ازاحة غشاوة الكفر والعناد والشرك من فوقه .

وبذلك نستطيع ان نؤكد أن الهجرة النبوية من مكة المكرمة الى المدينة المنورة قد آتت أكلها وثمارها وانتجت كل نتائجها المرجوة منها ، وكانت بذلك فتحا كبيرا فى تاريخ الدعوة الاسلامية مما حدى بأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ ان يجعل منها منبثقا للتاريخ الاسلامى ، اشادة منه بمكانتها وأهميتها . وحق له أن يفعل ذلك . رضى الله عنه وعن الصحابة اجمعين وعن تابعيهم باحسان الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .



الحاجة إلى

تقويم هجري موحد

يكون عليه عمل المسلمين في الأرض جميعاً

للدكتور : محمد عبد الرؤوف

فى اليوم الذى يطلع فيه هلال المحرم ، يبشر بميلاد العام الهجرى الجديد ، ندعو البارى تعالى الذى قدر لنا فى شهر رمضان من العام المنصرم انتصارات تاريخية على أخبث عدو عرفه الناس أن يبشرنا فى هذا العام الجديد بمزيد من النصر والتأييد والأمن والفلاح والرخاء ، ونسأله سبحانه أن يبارك وحدة عروبتنا الاسلامية ويجعلها بداية لمولد دولة اسلامية موحدة يخشى بأسها ويحسب حسابها .

انتهز هذه المناسبة لأشرح لاخواننا فى الشرق الاسلامى عن طريق هذه المجلة المباركة مدى حاجة اخوانهم الذين يعيشون فى العالم العربى لتقويم هجرى موحد ، يعد وينشر لأعوام سابقة كى يرتبوا حياتهم وأعمالهم ونشاطهم الاسلامى على ضوئه دون شك واضطراب ، ودون انتظار حتى آخر لحظة كى يسمعوا بالحكم بثبوت الرؤية فى بلد آخر — ثم يقال لهم ان شهر الصوم قد بدأ ، أو أن عيد الفطر يحتفل به بعد سويعات ، مما لا يتفق مع نظام الحياة فى هذه البلاد التى لا يزال الاسلام فيها غريبا .

تتفضل الادارة العامة للحساب المساحى والارصاد بالقاهرة فتعد التقويم الاسلامى لكل عام وتبعثه للمراكز الاسلامية الكبرى ، وفى مقدمتها المركز الاسلامى بواشنطن ، وذلك على حسب التوقيت الزمنى للمدينة التى يوجد بها المركز الاسلامى ، ويبين فى هذا التقويم التواريخ والأعياد الاسلامية على طول العام بالمقارنة للتواريخ الشمسية ، كما يشتمل على قوائم لمواعيد الصلاة اليومية ، والمسلمون يدينون بالفضل والشكر الجزيل للسيد مدير

الادارة المذكورة ومعاونيه الكرام ، فان اعداد هذه القوائم يتطلب عمليات حسابية ومجهودات مضنية ومراجعات دقيقة .

وفور وصول التقويم الينا يقوم المركز بنقل هذه القوائم الى اللغة الانجليزية واعدادها للطبع بكيفية تتناسب مع الحاجة المحلية ثم يطبع آلاف النسخ من التقويم ويوزعها قبل عيد الهجرة على المسلمين فى شتى النواحى بأمريكا الشمالية .

وبوصول التقويم ليد المسلمين ، يقفون على تواريخ أعيادهم ومواسمهم الدينية ، فيقيدونها فى مفكراتهم ، ويرتبون على أساسها مواعيد اجازاتهم ، وقد يتقدم من يحتاج منهم الى رئيس الشركة أو المصلحة التى يعمل بها بطلب اجازة أو اجازات من العمل فى هذه التواريخ ليتيسر لهم ولعائلاتهم الاشتراك فى النشاط الاسلامى فى هذه الايام .

وليس من المستحسن أن ينتظر الموظف فى شك الى آخر لحظة متلقفا الأخبار حتى يسمع فى إحدى الأمسيات أن شهر رمضان يبدأ الليلة فينوى الصيام ، أو أن عيد الفطر سيكون غدا فيتخلف عن عمله فى صباح اليوم التالى ليكون مع اخوانه المسلمين ثم يعتذر لرؤسائه فى العمل فى اليوم الذى يليه ، فمثل هذا يؤثر على علاقته مع الشركة أو المصلحة التى يعمل بها ، وقد يؤدى الى طرده وحرمانه من مورد رزقه ، كما أنه لا شك ان ذلك ليس فى صالح العمل نفسه ، وفوق هذا فقد لا يتيسر لكثير من أعضاء الجالية الاسلامية سماع النشرة من راديو خارجى أو من صديق أو زميل مسلم ، وبالتالى يفوتهم صوم اليوم أو الاشتراك فى يوم العيد .

والعطلات الرسمية هنا فى أمريكا منها ما هو مناسبات دينية مسيحية ومنها ما هو مناسبات وطنية ، وقد نشط اليهود وأصروا على المطالبة بحق اجازاتهم أيام أعيادهم ومواسمهم الدينية ، بالاضافة الى العطلات العامة ، دون خصم شىء من رواتبهم ، وقد حصلوا على ذلك ، بل إن بعض الولايات الامريكية مثل ولاية نيويورك تحتفل بالمناسبات الدينية اليهودية وتعطل فيها المصالح ودور الحكومة ، لذلك نشط بعض المسلمين من طلاب وموظفين وطالبوا المسئولين باعفائهم من العمل أو الدراسة أيام المواسم الدينية الاسلامية ، وقد ظفر بعضهم بهذ الحق ، وبدأت بعض هذه المصالح والجامعات تكتب لنا تطلب قوائم بالمواسم الاسلامية لعدد من السنين مقدما ، وقد طلبت منا جامعة « هارفر » المشهورة أن أبعث لها بتقويم اسلامى للسنوات العشرة القادمة كما أن عددا من دور النشر التى تعنى بنشر التقاويم لمختلف الأديان طلبت منا تزويدها بهذه التقاويم ، وهذا لديهم شىء مألوف فان للمسيحيين واليهود تقاويم جاهزة لعدد كثير من السنوات المقبلة لا يتطرق لتواريخها الشك ولا تتعرض للاختلاف ، وينظم رجال الاعمال رحلاتهم وأجازاتهم على أساس هذه التقاويم فى وقت مبكر ، ويتطلع المسلمون الذين يعيشون فى بلاد الغرب ليتيسر لهم مثل ذلك .

ومما يذكر بهذه المناسبة أيضا أن الكثير من الجمعيات والهيئات الاسلامية ليس لديها مسجد يتسع للعدد الكثير الذى يشترك فى المناسبات

الكبرى مثل العيدين ، لذلك يضطرون لاستئجار قاعات كبرى لهذا الغرض ، ولا يتيسر لهم هذا الاستئجار والتعاقد عليه الا اذا علموا بتواريخ هذه المناسبات مقدما بوقت كاف ، وتجد بعض هذه المؤسسات صعوبات جمة فى الحصول على اتفاق لحجز قاعة مناسبة . نظرا لان هذه القاعات تحجز لأغراض اخرى فى مواعيد مبكرة جدا ، ومن ناحية اخرى يتغلغل النفوذ الصهيونى بين القائمين على هذه القاعات ففى مدينة نيويورك مثلا يبادر المركز الاسلامى فور وصول التقويم الجديد اليه ويعمل مبكرا على حجز قاعة كبيرة مناسبة ، ويلقى فى سبيل الحصول على ذلك عنتا كبيرا ، ولاضرب على ذلك مثلا ما حدث فى عيد الفطر عام ١٣٨٨ هـ ، وتصادف أن كان أيضا أول شهر يناير ١٩٦٨ ، وكان اليهود لا يزالون فى نشوة الفرح بالنصر الذى أحرزوه فى يونيو عام ١٩٦٧ ، وبصعوبة شديدة استطعنا أن نوقع العقد لحجز قاعة فى احدى الفنادق الكبرى المعروفة قبل عيد الفطر ببضعة أشهر ، ودفعنا جزءا من الاجر مقدما ، وابلغنا كالعادة أعضاء الجالية الاسلامية بالمنطقة عن مكان صلاة العيد وموعدها عن طريق آلاف المكاتيب الدورية التى نرسلها من وقت لآخر ، وبطرق أخرى ، ولكن قبل العيد بيومين فقط اتصل المسئول بالفندق تلفونيا بكاتب هذه السطور ليقول ان القاعة تلزمهم لشيء آخر فى اليوم نفسه وأنه لذلك سوف لا يمكننا استعمالها ! فأسقط فى يدى حيث لم يكن يتيسر بحال فى هذا الوقت المتأخر ان نحصل على قاعة اخرى . وحتى لو استطعنا الحصول على مكان آخر .. وهو أمر بعيد الاحتمال .. فلم يكن لدينا من الوسائل ما نستطيع به افادة الألوف من أعضاء الجالية عن هذا التغيير ، ولو رفعنا الامر الى القضاء — وأكثر قضاة المحاكم من العنصر المعادى — فلم يكن يجدينا شيئا ، والمحاكمة تستغرق طويلا ولم يبق على العيد الا يومان ! ولا نرى مقتضيا لسرد ما حدث بعد ذلك من تفاصيل مؤلمة !!

والانتظار حتى يحكم بالرؤية فى بلد أو آخر من شأنه ان يثير الخلافات ويؤدى الى الارتباكات ، خذ مثلا على ذلك ما حدث فى شهر رمضان من العام المنصرم ١٣٩٣ هـ فلقد ورد بالتقويم الذى أعده لنا حاسبون قديرون على أسس صحيحة وبيانات دقيقة .. أن أول شهر رمضان ١٣٩٣ سيكون يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ ، وان عيد الفطر سيكون يوم الاحد ٢٨ اكتوبر من العام نفسه ، وقد رتب المسلمون امرهم على أساس هذه المعلومات حيث وزعنا التقويم عليهم ، ثم ذكرناهم بقرب مقدم الشهر وبعثنا لهم بامساكيات وتأهب الجميع للصوم فى اليوم المذكور ، وفجأة اذاع راديو القاهرة — وسمعه بعض المسلمين — أن الرؤية ثبتت وان اليوم — الخميس ٢٦ سبتمبر أول شهر رمضان ، فضج الكثيرون واضطربوا ولم تكد تنقطع المكالمات التلفونية الواردة من جميع انحاء أمريكا استفسارا أو لوما أو احتجاجا ، وحدث مثل ذلك وأكثر منه لما سمع البعض اعلان رؤية شوال فى مساء الخميس ٢٥ أكتوبر وان العيد لذلك يوم الجمعة التالى اى قبل ما حدد فى تقويمنا بيومين ؟ فعملت بعض الهيئات الاسلامية بما سمع مؤخرا

فغيرت وبدلت . وابقى البعض الآخر على المواعيد السابقة لاسباب يصعب التغلب عليها ، والبعض صام وافطر على حسب ما سمع من الخارج ، وظل البعض على ما نوى أول الامر ، ولكن قلوب الجميع غير مطمئنة وبالهم غير مستريح .

ولما كان عيد الاضحى فى العاشر من ذى الحجة وتاريخه يعرف عند هلال الشهر فقد قررنا منذ عامين أن نؤجل اعلان تاريخ عرفة وعيد الاضحى حتى يرد لنا تاريخهما من المملكة العربية السعودية ليتفق عيدنا مع يوم الأضحية هناك ولا يعترض إذا حدث اختلاف بين تقويمنا وما تثبته الرؤية بالبلد الحرام ، وخشية أن نصلى العيد يوم يقف الحجيج بعرفة ، فاذا وقفنا على تاريخ يوم العيد أول الشهر يكون لدينا اكثر من اسبوع لابلاغ أعضاء الجالية الاسلامية وعمل الترتيبات الاخرى من ضرب الخيام وترتيب تدفئتها وتثبيت آلات الصوت بها لتقى المصلين من البرد وأذى الامطار والثلوج المحتملة ، وكتبنا لشخصية اسلامية كبيرة مسئولة فى مكة المكرمة للتفضل بافادتنا برقيا فور الحكم بشأن رؤية هلال شوال ايجابا أو نفيا ، فوعدنا خيرا .

وقبيل شهر ذى الحجة أعددنا آلاف المكاتيب وأغلفتها ، وابقينا فراغا سيرا بالمكاتيب لنثبت به اسم يوم العيد وتاريخه فور وصول البرقية الينا ، وكنا قدرنا أن تصلنا فى الثلاثين من ذى القعدة الذى يحتمل أن يكون أول ذى الحجة ، ولكن لم يصلنا شىء لا فى اليوم الاول ولا فى اليوم الثانى أو الثالث ، وظللنا نتلقى الاستفسارات من كل جانب ونحن عاجزون عن الجواب حتى مساء اليوم الرابع !

ونظرا لما سبب لنا هذا من الحرج قررنا فى العام التالى أن نتصل تلفونيا فى مساء التاسع والعشرين من ذى القعدة بالشخصية الاسلامية المسئولة بمكة المكرمة لنستفسر عما تم بشأن تحديد اول شهر ذى الحجة ، ولما كانت أمريكا تتأخر زمنيا عن مكة بأكثر من سبع ساعات، حسبنا أننا اذا اتصلنا بسيادته بعد [illegible] الأمر قد بت فيه هناك وعلم أول [illegible] الاضحى على التأكيد ، ولكن لاسباب عدة لم يتيسر الاتصال بسيادته الا فى اليوم الثالث من ذى الحجة حسابيا ، وكان سيادته كريما نبيلا وسر لما طمأنته عن أحوال المسلمين لدينا ودعا لهم بالخير ، ولكن كم كانت دهشتى عندما ذكر أنهم لا يزالون فى انتظار الحكم بشأن الرؤية ، وأنه بالتالى لا يعلم أول الشهر ولا يوم عرفة ولا يوم العيد ! ولكنه تفضل ووعد بإفادتى برقيا عندما يتقرر الامر .

* * *

اسوق هذا كله لاشرح لك ايها القارىء الكريم مدى الاضطرابات والمتاعب التى يعانيها اخوانك المسلمون فى هذه الديار ، التى لا يزال الاسلام فيها غريبا — من جراء عدم الاتفاق على تقويم اسلامى موحد نخطط على ضوئه نشاطنا واعمالنا فى أمن واطمئنان ، فهل يرضى السادة العلماء والمسئولون — وهم أدرى الناس بالروح الاسلامية السمحة — أن يكون هذا حال المسلمين بين جيران من أهل الكتاب والصهيونيين والملاحدة . وفيهم من يتربص بنا الدوائر للطعن على ديننا واتهامه بالتأخر وعدم المبالاة بصالح الفرد ونظام

الجماعة ؟ وديننا هو دين التوحيد — توحيد الاله وتوحيد الكلمة وتوحيد الامة .. ؟

لقد صدرت فى السنوات الاخيرة فتاوى مقتضاها انه اذا حكم بثبوت الرؤية فى بلد وجب الصوم على من علم بذلك من المسلمين فى سائر الاقطار وهذا اتجاه طيب نحو الوحدة ومتفق مع ما جرى عليه كثير من المذاهب ، لكننى اقول مع جليل التقدير أن هذا لا يكفى ، فان توقف الامر على حدوث الرؤية الفعلية والحكم بها أو اعلانها لا يدفع عنا الحرج ولا يحقق ما نرجو من تيسير ولا يعطينا الفرصة للتخطيط والاعداد المبنى على علم مؤكد سابق لا تردد فيه ، فالتوقف على ثبوت الرؤية يعنى عدم العلم بالحال الا بعد دخول الوقت ويجعل المسلم فى حيرة من أمره حتى آخر لحظة .

نعم خاطبنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه بأن نصوم لرؤيته ونفطر لرؤيته ، وقد اخذ بهذا حرفيا عندما كانت الامة جماعة تعيش على السليقة والفطرة ولم ترق بعد وسائل المواصلات اللاسلكية والحسابات الفلكية كما هى عليه فى عصرنا الحاضر عصر الذرة والفضاء ولكن كلام المصطفى صلوات الله عليه خالد وصالح للعمل والتطبيق فى كل حال وكل زمان تطبيقا لا يؤدى الى الحرج والمشقة ، ولذلك قد يتساءل سائل فيقول : هل حصر الرسول طريق العلم ببدء الشهر على رؤية الهلال بشاهد أو شاهدين ؟ وهل يمنع أن يكون هناك طرق أخرى يعلم بها دخول الشهر كأن يثبت بالحساب المنضبط إن بالامكان رؤية الهلال حيث لا يقرب القمر الا بعد غروب الشمس ببضع دقائق ؟ وهل قوله صلوات الله عليه : « فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » قرانية حتمية على أن الرؤية هى السبيل الشرعى الوحيد للعلم ببداية شهر الصوم ونهايته ؟ أم أن الرسول [illegible] طريق العلم ببدء الشهر وهو الرؤية نصحنا ماذا نصنع اذا كانت هى طريقتنا الوحيد [illegible] بيدء الشهر الحجاب ؟ الا يجوز أن يكون ذلك مثلا من أمثلة العجز عن العلم كاحتجاب القمر وعدم معرفة اكمال الشهر ثلاثين فى حالات العجز كلها فكيف قال السادة الشافعية قبل الحساب ؟ واذا كان هذا حصرا مؤكدا فكيف قال السادة الشافعية قبل عصرنا هذا بقرون طويلة بأن على المنجم ومن صدقه ان يعمل بحسابه ؟ وكيف تتردد فى تصديق الحاسبين المعاصرين وقد تمكنوا من تنظيم رحلات ناجحة الى القمر مبنية على حساباتهم الدقيقة ومعرفتهم التامة بحركات القمر ومنازله ؟ ولو حدث أى خلل فى عملياتهم الحسابية لأودى ذلك بحياة رواد الفضاء ولترتب عليها خسائر فادحة .

ان العالم الذى يحسب ويخطط لرحلات الفضاء ، ويحسب لاوقات المد والجزر ليرشد السفن التى تسير عبر المحيطات لايسر عليه أن يحسب ليعلم متى تمكن رؤية الهلال الجديد فى أول كل شهر ، بل لعل حسابه المنضبط أقوى دلالة من شهادة ثقة قد تخطىء عينه ، فيحسب السراب ماء ، والخطأ فى الرؤية محتمل جدا نظرا للبعد الشاسع بين الرائى والمرئى .

اننا معشر المسئولين عن العمل فى الحقل الاسلامى بالبلاد الامريكية

شعرنا بالحاجة الماسة لعمل تقويم موحد ، وتوعية المسلمين من اعضاء الجالية بالحاجة الى هذه الوحدة ، وتمهيد النفوس لعدم الفزع او الاضطراب اذا ما سمعوا آخر لحظة أن المسلمين فى قطر ما قد خالفوا لثبوت الرؤية عندهم على غير ما أعلن فى تقويمنا ، ولذلك ولاسباب اخرى هامة منها الحاجة الى تنسيق الجهود والخدمات الاسلامية ، كونا فى العام الماضى مجلسا يضم رؤساء المراكز الاسلامية ممن يحملون مؤهلات عالية من جامعات اسلامية معتبرة مثل جامعتى الازهر والنجف ، وسمينا هذا المجلس : « مجلس الائمة بأمريكا الشمالية » ونأمل أن يحقق هذا المجلس اذا قدر له التوفيق أن شاء الله . أعظم الخدمات لصالح الاسلام والمسلمين وقد عقد المجلس عدة اجتماعات ، وكان مما أتمه بفضل الله تنظيم برامج الحلقات الدراسية التى تعقد للمسلمين خاصة الناشئة وحديثى العهد بالاسلام ، كما عنى المجلس بدراسة موضوع توحيد التواريخ الاسلامية ، وقد نظر فيه مرارا وقام باتصالات مع السادة المسئولين بالبلاد الاسلامية بهذا الشأن ، وأخيرا اتخذ قرارا بحل مؤقت وذلك بعمل تقويم خاص للمسلمين فى أمريكا الشمالية تحدد فيه تواريخ الاعياد والمناسبات وبدء الصوم ونهايته على حسب مطلع احد البلاد الامريكية وعلى ضوء ما تحصل عليه من معونة وارشاد من المراصد الامريكية والاسلامية ، وذلك حتى يتم عمل تقويم حسابى تجمع عليه الامة ويكون عليه عملها مهما اختلفت مطالع بلادهم .

ولنعد الى موضوع الرؤية ، فقد يظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « صوموا لرؤيته » قد دلنا على النقطة الزمنية التى يبدأ بها الشهر الاسلامى ، الا وهى عندما تتأتى رؤية الهلال الجديد ، فليست هى منتصف الليل كما هو الحال فى بداية اليوم الشمسى والشهر الشمسى ، وليست مطلع الفجر ولا وقت شروق الشمس أو زوالها ، ولكنها اللحظة التى تعقب غروب الشمس فى الليلة التى يتخلف فيها غروب القمر الجديد لاول مرة عن مغيب الشمس ويمكننا معرفة ذلك ، إما برؤية الهلال الجديد فعلا واما بالحساب الصحيح المعتمد ، وعليه هل يمكن أن يحتمل قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « صوموا لرؤيته » وجوب الصوم عند العلم بالحساب الصحيح المؤكد إمكان الرؤية مطلقا .؟

والذى نقترحه ونرجو السادة العلماء والمسئولين النظر فيه هو ما يلى :

أولا : النظر فى امكان اعتبار الحساب الموثوق به لضبطه وأمانته أساسا للتقويم دون انتظار لثبوت الرؤية طالما اكد الحساب المؤكد ان الرؤية ممكنة اذا أرتفعت الموانع لتخلف غروب القمر الجديد عن غروب الشمس .

ثانيا : اختيار بلد اسلامى عريق كبلد الله الحرام يكون مطلعه أساسا لهذا التقويم الموحد .

ثالثا : العمل على جمع كلمة المسلمين حول هذا التقويم والاخذ به مهما تباعدت ديارهم أو تعددت مطالع أماكنهم .

والله على ما نقول وكيل ، وهو نعم المولى ونعم النصير .


أهمية القدس
قديماً وحديثاً
للشيخ عبد الحميد السائح

رغم أني لست ممن يؤمن بجدوى الحلول السلمية ، والمباحثات السياسية ، في نزاعنا مع الصهيونية العالمية ، والاستعمار والامبريالية ، فاني رأيت أن أكتب هذا المقال عن القدس ، لألفت النظر ، وأنبه الغافل ، وأذكر المؤمن ، بأهمية هذا البلد ، ومدى تأثيره في أي حل يمكن أن يوضع أو يتوصل اليه ، في هذا النزاع الخطير ، وأوضح أيضا أنهم خلقوا تعبير النزاع في الشرق الاوسط ، ليسدلوا ستارا ، أو ليضعوا قفازا على وجوههم ، يحجبون بذلك مؤامرتهم على ديار الاسلام ، وعلى مسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وموطن معراجه الشريف ، ولو أن سكان هذه الديار يدينون بغير دين الاسلام، أو ينتسبون لغير الامة العربية ، لما أمكن أن يحيكوا هذه المؤامرة بهذا الاتقان ، والا فاين هذا النزاع في الشرق الاوسط .. ؟ أليس هو مؤامرة اغتصاب فلسطين من المسلمين ، وطرد سكانها العرب ، وتسليمها للصهيونية العالمية ، لاقامة دولتهم عليها .. ؟

ونحمد الله أن تنبه المسلمون والعرب أخيرا ، وادركوا حقيقة الخطر ، وابعاد الشرر ، فوضعوا في الميدان ثقلهم ، وسخوا في تضحياتهم ، ونرجو أن يستمروا في خطتهم ويزيدوا تضحياتهم ، حتى يتحقق الهدف ، حرصا على وجودهم، ومقابلة لتحدياتهم ، ونرجو أن يكونوا على حذر من مغبة حلقة أخرى ، من حلقات التآمر ، حتى لا نؤخذ على غرة ، ولا نخدع من جحر مرتين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين))(1) .

ونسمع من وراء الكواليس همسات عن حلول أو اقتراحات لمصير القدس ، تبعدها عن أن تعيدها الى حالتها الاولى قبل الاحتلال ، كما تزيل عنها صبغة الاسلام والعروبة وتعرضها لخطر كبير ، لذلك رأيت أن أشرح وأنبه الى أشياء قد لا تكون معروفة الا للنذر اليسير ، وأشياء أخرى لها خطرها : وقد يحاول اخفاؤها حتى لا يتنبه لها المسلمون والعرب ، في أية مناسبة يطرح فيها مصير القدس .

القدس ..

القدس بلد عربي منذ نشأته ، مقدس قبل اليهودية والمسيحية والاسلام ، فان ملكي صادق العربي اليبوسي منشىء القدس ، كان في مرتبة كهنوتية عالية ، حتى أن المسيح عليه السلام ، اعتبر من مرتبته(2) .

ثم ظهرت الديانات الثلاثة على التوالي اليهودية والمسيحية والاسلام فنظرت اليها نظرة الاحترام والتقديس .

في نظر اليهود

رغم أن موسى عليه السلام رسول بني اسرائيل ، لم يأت القدس ولم يدخلها ، فقد اهتمت اليهودية بها لسببين :

الاول : أقاموا لهم فيها مملكة في عهد داود عليه السلام سنة ١٠٤٩ ق.م لم تتجاوز مدتها سبعين سنة .

الثاني : انهم اقاموا لهم فيها هيكلا للعبادة في عهد سليمان عليه السلام وهو قسم من قصره .

ثم في عهد عزرا ، وقد هدم الهيكلان نتيجة أحداث دموية ، ثم اقيم الهيكل الثالث في عهد هيرودوس ، وقد هدم في عهد تيطس الروماني سنة ٧٠ م .

ولما تولى ادريانوس عرش الرومان ١١٧ ـ ١٣٨ م ثار اليهـود وقامت اضطرابات دموية لم يسبق لها مثيل ، فأيقن ادريانوس أنه لا سلم ولا أمان في البلاد ما دام اليهود فيها ، فقاتلهم وقهـرهم ، ومن لم يقتله أمر بطرده وحرم عليهم العودة للبلاد ودمر المدينة تدميرا كاملا وأنشـأ مكانها مدينة جديدة(٣) .

أين الهيكل .. ؟

يزعم اليهود أن المسـجد الاقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة ، اقيما على أنقاض الهيـكل دون أن يكون لديهم أى دليل علمى أو تاريخى صحيح ، ولذلك أخذوا منذ احتلال سنة ١٩٦٧ يجدون فى البحث عن مكان الهيـكل ، وأخذوا يؤازرون البعثات الاثرية الاجنبية التى تبحث شرقى وجنـوبى وغربى الحرم الشريف ، وان الدكتورة كينون باسم المدرسـة البريطانية لعلم الآثار فى القدس منذ سنة ١٩٦٠ م وهى تبحث فى الجهة الجنوبية خارج سور الحرم عن آثار الهيكل وحتى الآن لم تعثر على شىء من ذلك . ثم تولى اليهود أنفسهم البحث بواسطة البروفسور بنيامين مازار مدير الحفريات باسـم الجـامعة العبرية ، وقد ابرزت الحفريات أربع مستويات أثرية :

١ ـ طبقـة العصر الأموى حتى ايام السلاجقة .

٢ ـ طبقـة العصر البيزنطى من الفتح العربى الاسـلامى الى أيام قسطنطين الكبير .

٣ ـ طبقـة العصر الرومانى ، عصر مدينة ايليا كابتولينا .

٤ ـ طبقة عصر هيرودوس حتى خراب الهيكل الثالث سنة ٧٠ م .

وقد وضع البروفسور تقريرا بما توصل اليه واصدرته الجمعية الاثرية الاسرائيلية سـنة ١٩٧٠ م ، وقد تضمن التقرير أيضـا أن الجـدار الجنوبى للاقصى شرقا وغربا هو بناء اسلامى ، كما تضمن اكتشاف ثلاثة قصور أموية استمرت مسـكونة من قبل أمراء القـدس من الامويين والعباسيين والفاطميين، وأن الوازع الدينى حمل الفاطميين والسـلاجقة على اصلاح المساجد ولكن القصور بقيت خرابا حتى أظهرها التنقيب .

وهذا التقرير أغضب سـلطات الاحتلال خصـوصا دايان حتى أمر بإزالة الآثار العربية والاسـلامية وابقاء ما عداها .

وقد توسـعت الحفريات على يد الاستاذ مبير بن دوف المسـاعد للبروفسور مازار ، وقد وضـع هو تقريرا يتضـمن آثارا أموية وآثارا أخرى ليس منها أثر اسرائيلى . كما تضمن التقرير أنه يمكن اعتبـار عبد الملك بن مروان الروح التى حركت الاتجاه نحو أهمية القدس وعمل على اعادة عمرانها(٤) .

البراق أو المبكى

هذا المكان فى حقيقته هو الجدار الغربى للمسجد الاقصى المبـارك ، وفى سنة ١٩٢٩ حصـل نزاع بين العرب واليهود على هذا المكان أدى الى اشتعال الثورة المعروفة حينئذ ، وقد شكلت لجنة من ثلاثة قضـاة ليسوا من التبعية البريطانية ، وبعد أن اطلعت على جميع الوثائق التى ابرزها الطرفان تأييداً لوجهة نظره ، واسـتمعت للبينات والمرافعات التى قدمها المحامون عن الفريقين قررت أن المكان جزء من المسـجد الاقصى المبارك وهو وقف اسلامى ، وليس لليهود فيه الا حق المرور لـتـأدية طقوس معينة بقيود مقررة ، وقد تأيد هذا بالمرسوم الذى اصـدره ملك

بريطانيا سنة ١٩٣٠ ، كما وافقت عليه عصبة الامم ، وبذلك يكون هذا النزاع قد فصل فيه قضائيا بصورة حاسمة لا يجوز اعادة النظر فيه .

الكنس اليهودية

رغم أن حكام المسلمين كانوا يحافظون على اليهود ومعابدهم واعطائهم الحرية الدينية في جميع العصور ، حتى أنه في القرن الخامس عشر في عهد السلطان قايتباي على أثر صدام بين العرب واليهود هدم بعض متهوسى المسلمين كنيسا يهوديا ، فاعاد السلطان قايتباي بناء الكنيس كما كان (٥) .

وفي سنة ١٩٤٨ م كان لهم ثلاث كنس فى داخل المدينة القديمة وقد تترسوا بها وجعلوها مستودعات أسلحة وذخائر وكانوا منها يقذفون بقنابلهم ورصاصهم السكان الآمنين فى بيوتهم والحرم الشريف ، مما دفع المناضلين لنسفها وهدمها ليتخلصوا من مصدر الخطر عليهم وعلى المقدسات .

عند المسيحيين

يعود تقديس المسيحيين للمدينة الى أن السيد المسيح عليه السلام ولد فى رحابها فى بيت لحم ، وعاش فى القدس ، وله فيها آثار ومواقع دينية ، وأنهى حياته الشريفة فيها ، وأكثر الطوائف المسيحية يعتقدون أن قبره المقدس فى كنيسة القيامة ، كما أن لهم فيها عدة كنائس وأديره ، وان كان بعضهم يعتقد أن القبر موجود خارج سور المدينة فى الجهة الشمالية ، فى مكان معروف ، وهو من الاوقاف الاسلامية .

عند المسلمين

ينبع تقديس المسلمين للمدينة من عدة أمور :

١ ــ اسراء الرسول محمد عليه الصلاة والسلام اليها من مكة المكرمة ومعراجه منها الى السموات العلا .

٢ ــ انها قبلة المسلمين الاولى ، وقد صلى المسلمون اليها ، حين فرضت الصلاة ليلة المعراج ، واستمروا يتجهون اليها بعد الهجرة نحو ثمانية عشر شهرا .

٣ ــ ان المسجد الاقصى المبارك أحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال .

٤ ــ مضاعفة الاجر والثواب لمن يصلى فى المسجد الاقصى ، أو يساهم فى اعماره .

٥ ــ انها مركز من مراكز الحضارة الاسلامية .

٦ ــ دفن الاعداد الكبيرة فيها من أصحاب الرسول والمجاهدين والشهداء والعلماء فى مختلف العصور .

التراث الاسلامى فيها

كانت القدس تعرضت لخراب واسع فى أثناء الفتح الفارسى سنة ٦١٤ م واستمر ذلك الخراب حتى الفتح الاسلامى لأن الرومان وان استعادوها بعد ذلك ، الا أنهم كانوا متضعضعين ومرهقين نتيجة الحروب المتوالية فلم يعمروا فيها شيئا يذكر .

ومنذ الفتح الاسلامى اتجه الولاة فى جميع العصور الى اعمار المدينة،

ففي عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ما لبث أن بحث عن مكان يقيم فيه مسجد المدينة ، فأرشد الى مكان الصخرة ، وكان الخراب مخيما عليها وأقام مسجده في الجهة الجنوبية الشرقية ، في المكان الذي يعرف حتى الآن بمسجد عمر .

وفي العهد الاموى قام عبد الملك ابن مروان الخليفة الاموى الخامس ٦٨٥ — ٧٠٥ م ببناء مسجد الصخرة المشرفة الذي يعتبر بحق درة يتيمة وتاجا في رأس كل مظاهر الحضارة والاعمار في أي عصر من العصور السابقة واللاحقة ، حتى أن السيد حسين شافعي كبير المهندسين المصريين لاعمار مسجد الصخرة والمسجد الاقصى ، أخبرني أنه لولا تعصب المستعمرين الغربيين لاعتبر بناء مسجد الصخرة وقبتها احدى العجائب السبعة ، ففيه من الفن والاتقان ما هو أهم بكثير من أهرامات الجيزة وقد أقام عبد الملك في المدينة عدة قصور ، واستمر بعده ابنه الوليد ٧٠٥ — ٧١٥ م في إنجاز مشروعات والده حتى تجاوزها في الاتساع فعاد الى القدس عمرانها وأبهتها .

وأينما سرت في القدس ، وفي المسجد الاقصى وحوله ، تجد آثار الحضارة الاسلامية من دور العلم والمستشفيات والمساجد والتكايا والرباطات وسبل الماء ، تتحدث عن أعمال الامويين والعباسيين والفاطميين والسلاجقة ، والايوبيين والعثمانيين ، وقد دون الكثير من ذلك في وقفيات لا يزال الكثير منها محفوظا في سجلات المحكمة الشرعية في القدس ، ومنها :

١ — وقفيات أبي مدين الغوث والمحسنين من المغاربة .

٢ — وقفية صلاح الدين الايوبي .

٣ — وقفية خاسكي سلطان زوجة السلطان سليم العثماني .

٤ — وقفيتا المحسنة المقدسية السيدة امينة الخالدي ، فقد وقفت عقاراتها التي كانت تملكها في القدس الجديدة وفي القدس القديمة ، وهي في غاية الاهمية والمكانة الممتازة من حيث موقعها وقيمتها ، وبخاصة العقارات الواقعة قرب المستشفى الالماني في أحسن موقع تجاري في القدس الجديدة ، وقدرت قيمتها حينئذ باربعمائة ألف جنيه استرليني، وقفتها على مستشفى اسلامي ينشأ في القدس ، وكان ذلك حينما كنت قاضيا في القدس سنة ١٩٤١ — ١٩٤٥ م .

ومما يزيد في مكانة القدس لدى المسلمين أنها ضمت في عدة نواحي منها رفات عدد من أصحاب الرسول عليه السلام والمجاهدين والعاملين ، ومن هؤلاء الصحابي الجليل شداد بن أوس ، والصحابي عكاشة ، وعبد الله القرشي ، وابو مدين الغوث المغربي ، والجراح من قواد صلاح الدين ، ومجير الدين بن الحنبلي صاحب كتاب الانس الجليل ، والملك حسين بن علي صاحب الثورة العربية الكبرى وجد الاسرة الهاشمية ، ومولانا محمد علي الهندي من زعماء العالم الاسلامي وعبد القادر الحسيني ، وآخرون كثيرون .

احراق الاقصى

نظرا لأطماع الصهيونية التي لا حد لها ، ومزاعمهم في أن الاقصى اقيم على انقاض الهيكل ، اقدموا بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢١ على احراق

المسجد الاقصى في مسرحية مكشوفة قدموا لها ضحية شابا استراليا ، زعموا أن في عقله خللا ، وأن جريمة الاحراق أكبر من أن تحدد أبعادها ، فهي بالاضافة لآثارها المعنوية في نفوس المؤمنين وهي لا تقدر بثمن ، فان تلك الجريمة أتت على المنبر التاريخي المعروف بمنبر صلاح الدين، وقد أعده في حلب نور الدين الشهير خلال مدة عشرين سنة ، ليوضع في الاقصى ، وهو تحفة فريدة في العالم، كما أتت جريمة الاحراق على القبة الخشبية الداخلية من قبة الاقصى ، بزخارفها وما فيها من فن بديع ، وقد أعلمني السيد حسين شافعي المشار اليه ، أن ذلك المنبر مصنوع من خشب الارز وخشب الأبانوس ومطعم بالفضة وليس فيه مسمار واحد ، في زخرفة نادرة وان حضارة القرن العشرين تعجز عن صنع مثيل له أو للقبة الخشبية المشار اليها(٦) .

مناقشة هادئة

ولو أردنا أن نناقش مناقشة هادئة بعيدة عن التعصب والهوى لخرجنا بنتيجة هي أن القدس موضع اهتمام وتقديس أصحاب الديانات الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام، وان كلا من اليهودية والمسيحية انما تدين بديانتها فقط وبرسولها ، أما الاسلام فمبدأه أن أصل الديانات السماوية واحد ، وان مردها واحد ، قال تعالى : ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)) (٧) .

قال مجاهد في تفسيرها أوصيناك واياهم دينا واحدا ، وبذلك يعترف الاسلام بوحدة الاديان السماوية ، قبل أن تمتد اليها يد العيث والعبث،

كما أن الاسلام يقضي بضرورة الاعتراف برسالة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام ، ورسالات جميع النبيين والمرسلين ، قال تعالى : ((آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)) (٨) .

ومن هذا المنطلق وهذا المفهوم ضمنت العهود والمواثيق التي كانت تعقد في زمن الرسول عليه السلام أو زمن خلفائه من بعده ، لليهود والنصارى، حريتهم الدينية والمحافظة على كنائسهم ومعابدهم وحقوقهم كاملة .

ومن هذا المنطلق أيضا كان الحسن البصري وأمثاله من كبار علماء المسلمين لا يتعصبون تعصبا يجعل الواحد منهم يمقت أهل الديانات الاخرى ، وكان الحسن يفتح صدره لكل شخص مهما تكن ديانته ، واستوحى من حقائق الاسلام الدعوة الى السلام والمحبة ، ولذا كان يحضر دروسه اليهود والنصارى ويواسيهم ويعزيهم ان كان ما يوجب العزاء(٩) .

وأيضا فان سلطان المغرب محمد ابن عبد الله أصدر بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٢٨٠ هـ و ٥ فبراير سنة ١٨٨٤ م أمرا تضمن أسمى مبادىء العدالة ، والمساواة بين اليهود وغيرهم وبين المسلمين في المعاملة ، وان كل من يخالف ذلك يتعرض لاقصى أنواع العقاب الرادع(١٠) .

ومنهم من كان يشغل وظيفة الوزارة أو أية وظيفة سامية أخرى، وهذا الموقف السمح كانوا يلقونه من

الاسلام والمسلمين قبل أن تظهر فيهم الفكرة العنصرية الصهيونية الفاشية .

وأما المسيحيون المواطنون فهم أقراننا فى الحقوق والواجبات ولم يقع بين هؤلاء والمسلمين أية أحداث جدية مطلقا ، الا كما يقع بين فريق وآخر من المسلمين ولهذا فان أى تفكير فى المطالبة برعاية حقوق المسيحيين فى مقدساتهم لا يستند الى أساس صحيح ولا وجه له .

وأما المستعمرون الاجانب فغير مؤهلين لحكم البلاد وسيادتها لاسباب لا تخفى على أحد ، وبذلك نصبح نحن المؤهلين الوحيدين لحكم المدينة حكما قائما على رعاية حقوق جميع الطوائف واشاعة العدالة والمساواة بين الجميع ، واعادة الحالة الى ما كانت عليه قبل العدوان الاخير ، وكل تفكير يغاير ذلك يعرض المدينة لأفدح الأضرار ويعرض السكان من المسلمين والمسيحيين لخطر التصفية النهائية والتهجير ، كما يدل على ذلك خطط الغاصبين فى تهويد المدينة وتغيير معالمها ، وازالة كل آثار العروبة والاسلام عنها .

الاقتراحات المتداولة

بلغنا أن فكرة التدويل يجرى بحثها بطريق أو بآخر ، وهى معروضة للمناقشة ، فى اى مؤتمر يعقد ، كما أن هناك فكرة أخرى معروضة ، وهى جعل المدينة بقسميها مفتوحة ، بحيث يسمح لرعايا المنطقتين أن يذهب كل منهم للمنطقة الاخرى ، ولكن لا يكون بينهما حواجز .. الخ . مع ابقاء السيادة اليهودية على القسم المحتل سنة ١٩٤٨ وابقاء نوع من السيادة على المحتل سنة ١٩٦٧ الخ .

أخطار التدويل

يعتمد الساسة الذين يدعون الى التدويل ، على أنه مما تضمنه قرار الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ م وهذا يعنى التزاما دوليا ، غير أن تدويل القدس هو جزء من قرار تقسيم سنة ١٩٤٧ ، وقد كان شاملا للقدس بقسميها ، ومع أن القسم المحتل من القدس سنة ١٩٤٨ لا نفرط فيه ولا نتنازل عنه لما يلى :

١ — انه جزء من المدينة المقدسة .
٢ — اشتمل على مناطق واسعة ، وأملاك شاسعة ، هى للعرب .

٣ — هو جزء من الوطن المغتصب .

الا أن موضع البحث هو تدويل القسم العربى من المدينة ، لأن هؤلاء يرون أنه ليس من السهل على الإسرائيليين أن يسلموا القسم المحتل من المدينة سنة ١٩٤٨ لسلطة دولية ، وقد أعلنوها عاصمة لهم ، ورغم كل هذا فاننا نعلم من التاريخ أن جبل طارق قد أصابه بسبب التدويل كثير من الفساد والتخريب مما لا يزال الناس يتحدثون عنه وعن أهواله ، ولم يكن لليهود علاقة ظاهرة فيه هناك ، فكيف يمكن أن يطمئن الى اية سلطة دولية تقوم فى القدس العربية فقط ، ثم لا تسيطر عليها الصهيونية العالمية أو لا تخلق فى كل يوم مشكلة جديدة للسكان العرب ؟

وبالاضافة الى هذا فان التدويل يكون سببا لجعل القدس ممرا من أجل تصريف منتجات سلطات الاحتلال الى البلاد العربية الاخرى مما يكون عاملا مهما فى افساد الاقتصاد العربى ، والتنفيس عن الاقتصاد اليهودى ، فضلا عن تسرب الاشخاص

المشبوهين أو المدمرين الى البلاد العربية مما ينذر بشر كبير وضرر مستطير .

خطر الانفتاح

وأما انفتاح القسم المحتل سنة ١٩٤٨ على القسم المحتل سنة ١٩٦٧ فانه مرحلة للقضاء على الوجود العربي أو الاسلامي في المدينة وذلك للاسباب التالية :

١ — السكان العرب في القدس المحتلة سنة ١٩٦٧ حول ستين الفا .

٢ — بعد احتلال السلطات الصهيونية لذلك القسم ، انشاوا فيه عدة أحياء على أراض عربية اغتصبوها من أهلها ، وبنوا على تلك الاراضي عمارات شاهقة ، لاسكان المهاجرين فيها من اليهود ، وقد سكن فيها حتى الآن ما لا يقل عن ستين الفا ، وهو ما يعادل السكان العرب ، ويوجد الآن مساكن وعمارات جاهزة أو في سبيل الاعداد والتجهيز لاسكان مثل ذلك العدد .

٣ — القسم المحتل سنة ١٩٤٨ من القدس يسكنه من اليهود مئتان وعشرة آلاف ، فاذا فتح القسمان على بعضهما ، كانت النتيجة ، أن يكون العرب من مسلمين ومسيحيين نحو ستين الفا ، يقابلهم من اليهود مئتان وعشرة آلاف سكان المنطقة المحتلة سنة ١٩٤٨ ، ونحو مائة وعشرين الفا ، السكان اليهود في المنطقة العربية من القدس ، أي نحو ثلاثمائة وثلاثين ألف يهودي ، ولا شك أن هذا العدد الضخم من اليهود ، والذي هو قابل للزيادة ، باساليبه الجهنمية ، وخداعهم وختلهم ، يبتلع تلك الاقلية العربية ويقضي عليها تدريجيا الى أن تصبح القدس بكاملها ، صهيونية ، بموافقتنا ، ليس فيها الا أقلية عربية ، لا حول لها ولا طول ، ولذلك لا يجوز أن نقبل بحال من الاحوال ، بأقل من عودة القدس العربية الى حالتها السابقة ، وضرورة اخراج السكان اليهود الطارئين عليها بعد سنة ١٩٦٧ .

فتنبهوا يا عرب ، ويا مسلمون ، واياكم ثم اياكم أن تقعوا في احبولة ، قد يكون مظهرها تسامحا ، ولكن جوهرها قضاء مبرم على عروبة المدينة واسلاميتها .

فاللهم اني قد بلغت ، واللهم فاشهد .

واخيرا ..

وقبل أن اختتم هذا البحث أرى الاشارة الى الكاتب اليهودي الاميركي ، موشي منوهين ، الذي نشر في الولايات المتحدة كتابا بعنوان (انحطاط اليهودية في عصرنا) الذي كشف فيه بصراحة متناهية مخازي الصهيونية وفضائحها ، وجرائمها الوحشية ، ابتداء بمذبحة دير ياسين ومرورا بمجزرة كفر قاسم ، وانتهاء بالمجازر البشرية التي ارتكبتها اسرائيل في عدوان ٥ حزيران ، وما بعده ، وقد استهل كتابه بهذه المقدمة :

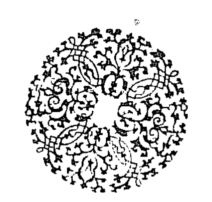
« لقد اطلقت على هذا الكتاب عنوان — انحطاط اليهودية في عصرنا الحاضر — ولكن كنت افضل له عنوانا آخر هو (القومية اليهودية جريمة تاريخية ، رهيبة ولعينة) ، وبعد أن يؤكد ، مستندا الى التاريخ والتوراة أن عرب فلسطين الذين

اصبحوا اليوم لاجئين فى الكهوف والمخيمات خارج حدود وطنهم وأرض آبائهم وأجدادهم ، بسبب السياسة الصهيونية ، هم المالكون الحقيقيون لفلسطين)) .

يختم كتابه بقوله :

((ولما كانت الحقيقة كلها يجب أن تقال ، مهما بدت مريرة ، وجارحة وقاسية ، فانى أقول : ان المطامع الصهيونية ولعنة القومية اليهودية ، تسببت حتى الآن فى وقوع ضحايا أبرياء كثيرين ، وأنا لا أعنى بالضحايا الأبرياء عرب فلسطين وحدهم ، بل كذلك يهود فلسطين أيضا ويهود المهاجر كذلك ، الذين سيدفعون يوما ما غاليا جدا ، من أخطاء زعمائهم وجرائمهم الرهيبة)) .

هذا ، ومع أن حقنا فى القدس وسائر الديار المغصوبة واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ، يؤيده التاريخ والآثار واستمرار وجودنا العربى آلاف السنين ، ووجودنا الاسلامى أربعة عشر قرنا ، يستثنى منها فترة الحروب الصليبية، فان الامر مع الصهيونية ومؤيديها من أركان الاستعمار والامبريالية ، لا يجدى فيه المنطق والدليل التاريخى والعلمى ، وقرارات الامم المتحدة ، لذلك يجب على جميع القوى العربية والاسلامية أن تستمر فى تكتلها وتضحياتها ، البترولية ، والمادية والبشرية ، وأن تتجاوز عن أى تناقض أو خلاف بينها ، حتى تتخلص من هذا الاخطبوط ، الذى يهدد كل عربى وكل مسلم ، فى وجوده وحضارته وعقيدته، واذا وصلنا لتلك النتيجة ، وهذا ما نامله ونرجوه ، بفضل اتحادنا وتضامننا ووعينا ، فحينئذ يجب أن يرفرف على المدينة المقدسة وسائر الديار ، علم الحرية والمساواة والعدالة ، فى غير حقد ولا ضغينة ولا كراهية .



---

(١) البخارى .

(٢) المجلد الاول من كتاب روايات اليهود لجنزبرج بالانجليزية ص ٢٣٣ ، والمجلد الخامس من نفس الكتاب ص ١١٥ و ١٦٢ وقاموس الكتاب المقدس بالانجليزية ص ٧١٠ وماذا بعد احراق المسجد الاقصى .

(٣) مكانة القدس بالاسلام .

(٤) نحن وآثارنا للسيد محمود العابدى .

(٥) الانس الجليل ، وبحث خاص لاحمد زكى باشا ومكانة القدس فى الاسلام ص ٤٢ ، ومجير الدين الحنبلى .

(٦) ماذا بعد احراق المسجد الاقصى ص ٥١ .

(٧) الآية ٦ من سورة الشورى .

(٨) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

(٩) مكانة القدس فى الاسلام .

(١٠) ماذا بعد احراق المسجد الاقصى .

نحو اقتصاد إسلامي

دكتور ابراهيم فؤاد أحمد على

تلك دعوة الى الأخذ بالنظم الاقتصادية الاسلامية وتطبيقها بعد أن هجرتها الدولة الاسلامية منذ وقت طويل واستبدلتها بنظم مستوردة غير صالحة في غالب الأحيان . ويهمنى فى هذا المقال الاشارة الى النظام المالى فى الاسلام كما نزل به القرآن الكريم وبينته السنة الشريفة وعمل به الخلفاء الراشدون ، وذلك لاظهار ما فى الفقه المالى الاسلامى من صلاحية للتطبيق الآن ، وما به من مزايا لم تتوصل اليها النظم المعاصرة بعد .

واذا نظرنا الى الفقه المالى الاسلامى نرى أنه وضع دعائم التنظيم المالى الحديث منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا . فقد حدد الموارد التى تؤدى لبيت المال لينفق منها على مصالح الدولة المختلفة ، واتبع مبدأ فصل أموال الدولة عن أموال الحكام فى وقت كانت تختلط فيه تلك الاموال بأموال الحكام وكان ينفق منها هؤلاء بحسب أهوائهم دون ضوابط للانفاق أو اتباع قواعد ترشيده أو مراعاة الصالح العام . ولم يتبع مبدأ الفصل الا فى العصور الحديثة فى حين طبقه الاسلام منذ العصور الوسطى (منذ بداية القرن السابع الميلادى)

ولا بد من الاشارة عند الدعوة الى تطبيق النظام المالى الاسلامى فى الدول الاسلامية الى بعض المفاهيم الاسلامية لنتعرف عليها ونتفهم وضعها بالنسبة للمفاهيم السائدة .

المفهوم الأول :

هو أن الاسلام وضع دعائم التنظيم الحديث ، فمن الناحية المالية وضع الأصول الجوهرية لأحكم وأعدل سياسة مالية ، فبيَّن الموارد التى تؤدى لبيت المال ، كما بيَّن أوجه الانفاق الرشيد على مصالح الدولة العامة ، وهذا يتفق مع قاعدة « عمومية الميزانية » ووجَّه الانفاق وجهة اقتصادية واجتماعية ، وهو اتجاه لم تسع اليه الدول الحديثة الا فى فجر القرن العشرين ولما تبلغ غايته المرجوة بعد .

والمفهوم الاسلامى الثانى :

هو أن الاسلام جاء بأحكام مجملة تتصل بالشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . وقد أجمل تلك الاحكام قصدا اذ لو أتى بها مفصلة لتقيدت بها الأجيال ولأصاب الناس من ذلك عنت كبير . فالنظم الاسلامية ليست نظما جامدة تقف عند جماعة خاصة أو حقبة معينة من الزمن ، ولكنها مرنة ترك للمسلمين تكييفها وفق ظروفهم وأحوالهم التى يعيشون فيها . وهذا هو سر عظمة الاسلام وخلوده .

المفهوم الثالث :

ان مصادر التشريع هى القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، والاجماع والقياس وهو مبنى على الاجتهاد الذى يبين مرونة الفقه الاسلامى ويبعده عن الجمود . وقد اجتهد السلف الصالح فى الكشف والاستنباط الفقهى والعرض بما يتفق مع أسلوب عصرهم ومعارف زمانهم ، وخلَّفوا لنا ميراثا ضخما تتمثل فيه عقليات العصور والمدارس الفكرية المختلفة والأزمان المتعاقبة التى عاصرت الاسلام وارتبطت به وارتبط بها فى شؤون الحياة المختلفة .

وقد ورثنا ــ نحن أبناء هذا العصر ــ ذلك الميراث فلم نفكر فى الاستفادة منه أو الانتفاع به ، ولم نفكر فى الاسلوب الذى نعرضه به على انفسنا وعلى غيرنا ، عرضا صحيحا جذابا يدفع الى العناية به ويلفت الانظار اليه . واستهوتنا النظم الأجنبية فأصبحنا فى كثير من نواحى الحياة

عن هدى الاسلام وأصوله وقواعده بعيدين ، مع أن الاسلام لا يأبى علينا أن نقتبس النافع مما كشفه العالم الأجنبى على أن نرد الطيب منه الى أصوله الخالدة ، وانما الذى يأباه الاسلام علينا أن نأخذ كل شىء من الخارج دون رده الى قواعد الشريعة الغراء ، وقد آن الآوان لبعث هذا التراث العظيم على أيدى ، صفوة من ذوى الغيرة على الدين .

وقد دعى ذلك البعض الى القول بأن الفقه الاسلامى قد جمد وان المسلمين قد تركوا الاجتهاد ، وهذا يجعله — فى نظرهم — غير صالح للعمل به في هذا العصر الذى ارتقت فيه القوانين والنظم الحديثة حتى كادت تبلغ الغاية . ونحن نوافق هذا الفريق على أن الفقه الاسلامى جمد من ناحية أسلوب عرضه ، ولكنه من ناحية قواعده الاساسية ومبادئه الكلية فانه لا جمود فيه بل هو حى ينبض بالحياة . يدلنا على ذلك أنه كان يظهر فى فترات متفاوتة من الزمان بعض الأئمة المجتهدين « كابن تيميه » وتلميذه « ابن القيم » يستنبطون أحكاما موافقة للعصور التى عاشوا فيها ، ويعرضون الفقه الاسلامى عرضا سليما يظهرون ما فيه من مزايا عديدة تدلنا على صلاحيته لكل الأزمان . ثم مالنا نذهب بعيدا ونحن نرى فى هذا العصر من ينادون بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه بعد أن فتحوه ودخلوا فيه بالفعل ؟ فمثلا البحوث التى قامت بها حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية التى انعقدت بدمشق سنة ١٩٥٢ لبحث أوجه التكافل الاجتماعي ووسائل تنظيمه فى الدول العربية ، ذهبت فى هذه البحوث الى ان الزكاة تستحق الآن فى أموال لم تكن معروفة فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة وأيام الاستنباط الفقهى . وقد اتجهت الحلقة هذا الاتجاه عن طريق الاجتهاد والتخريج فى الفقه الاسلامى . مثال آخر هو البحوث التى قام بها مجمع البحوث الاسلامية فى مؤتمراته التى عقدها بين آن وآخر ، الى غير ذلك من أمثلة الاجتهاد .

والمفهوم الاسلامى الرابع :

هو أن الاسلام فى نظرته الى المال راعى المبادىء التالية :

١ — لم يحتقر الاسلام المال ولم يزهد فيه بل اعتبره نعمة من نعم الله الواجبة الشكر ، وكذلك لم يرغب فى المال لدرجة السعى الى كسبه عن طريق غير شرعى .

٢ — حث الاسلام على الكسب الحلال واعتبر ذلك قربة الى الله تؤدى الى حبه ومثوبته ومغفرته قال النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله يحب المؤمن المحترف » كما قال « من أمسى كالاً من عمل يومه أمسى مغفورا له » . وكذلك حرّم الاسلام الكسب الحرام لما له من نتائج سيئة ،

فحرم الربا والقمار .. الخ . ووضع فى ذلك القاعدة المشهورة من « تقديم المنفعة العامة على المنفعة الخاصة دائما » .

٣ ــ حرّم الاسلام السؤال والاستجداء لما فى ذلك من مذلة وهوان . قال النبى صلى الله عليه وسلم « لئن يحتطب أحدكم خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو منعوه » . وحث على العمل ولفت النظر الى منابع الثروة المختلفة ، فقال تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » .

٤ ــ عمل الاسلام على التقريب بين الطبقات باعادة توزيع الدخل عن طريق الزكاة المفروضة والكفارات وصدقات التطوع ... الخ ، ففرض للفقير فى مال الغنى ما يزكيه ويطهره وقرر له حقا معلوما وجعله فى كفالة الدولة وعليها أن تأخذ حقه من الغنى وتعطيه للفقير حتى لا يشعر بالمهانة ، وفى الوقت نفسه أوضح الاسلام بشكل ظاهر أن المال مال الله والانسان أمين عليه ينفقه حيث أمره الله ، وان ملكيته للمال ملكية مقيدة . واذا اعتقد الانسان ذلك لم يبخل باخراج حق الغير فى المال . قال تعالى : « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

هذه هى نظرة الاسلام للمال ، فهو من جهة جعل له مركزا ممتازا لأنه عصب الحياة ، ومن جهة أخرى بيَّن أن المال مال الله وأن الانسان خليفته فيه ليتصرف فيه حسب الأصول الشرعية .

واختتم هذه المفاهيم بالاشارة الى أن موارد الخزانة أو « بيت المال » هى :

١ ــ **الزكاة** : بأنواعها المختلفة .

٢ ــ **الفيىء** ، ويشمل الخراج والجزية والعشور . والخراج هو ضريبة الأطيان الزراعية المفروضة عليها نظير التمتع بحق الانتفاع بها . والجزية هى الضريبة المفروضة على رؤوس أهل الذمة فى مقابل الزكاة المفروضة على المسلمين .

أما العشور فهى تقابل الرسوم الجمركية الآن ، وهى ضريبة تفرض على الصادرات والواردات من والى البلاد الاسلامية .

٣ ــ **الخُمس** : ويشمل خُمس الغنائم التى يستولى عليها المسلمون فى الحرب ، وخمس المعادن المستخرجة من الأرض ، وخمس الأسماك واللآلىء المستخرجة من البحار .

والموارد السابقة هى الموارد الرئيسية لبيت المال فى الاسلام وسيكون التركيز فى المقال التالى باذن الله على مورد الزكاة ، اذ انه من أهم الموارد المالية لبيت المال فى الاسلام على نطاق الهيئات المحلية .

نحو تربية إسلامية



للأستاذ أحمد محمد جمال

يا بني :

● « لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم »(١) .

ليس في بلدك الذي ولدت فيه ، وولد فيه آباؤك من قبل ، شرك بالله في المعتقد الديني ، بمعنى أن الها غيره ينازعه خلقه ورزقه ، أو يدعى ويخشى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وحاشا سكان هذا البلد الحرام ، وجيرة الكعبة المشرفة ، رمز الوحدة الإلهية : أن يكون بينهم مشرك من هذا القبيل !!

ولن أخشى عليك ، ولا على غيرك ، من أبناء اليوم وآباء الغد ، الحادا الى هذا الشرك الاكبر ، وهذا الظلم الاعظم فقد استنارت الأذهان ، واهتدت القلوب ، وآمن العالم جميعه — أو كاد — بوجود اله واحد خالد ، لولا أن وسائل هذا الايمان تختلف ، ويكتنف مظاهره ما يكتنفها من حميات وعصبيات ، وعقائد وتقاليد .

ولكني أخشى عليك ألوانا أخرى من الشرك .. ألوانا لا تفتأ شائعة ذائعة ، في اكثر بلاد المسلمين اليوم ، ولا أبرىء منها بلاد غير المسلمين ، فانهـا أخلاق تعم ولا تخص ، وتنتشر ولا تقتصر ، ولكنها في بلادنا المسلمين عامة — اشيع وأذيع ، لما سترى من (عروبة مذكورة) و (اسلام) مهجور .. !!

هذه الألوان من الشرك ، يا بنى : منها ما هو خفى ستير ، ومنها ما هو مكشوف وضاح ، ومنها ما يمسك وحدك ضرره وأذاه ، ومنها ما يقتصر عليك شره وبلواه ..

● يا بنى :

لا تشرك بالله ، فتطلب من أحد حاجة (فضلا) ، تتذلل لها وتتعلل ، بل اطلبها (حقا) ، فان (الامور تجرى بمقادير) ، كمـــا يقـــول على بن أبى طالب كرّم الله وجهه .

وتحدث الى الناس بقوة فى أدب ، وبعزة فى تواضع ، لئلا يظن أحد بك نفاقا أو ضعفا ، فان المؤمن لا يكون ذليلا ولا منافقا ولا ضعيفا .

ان رزقك المكتوب لكـ يا بنى ـ على استقامتك ، لن يزيده أحد من الخلق ، اذا رضى عليك لنفاقك وضعفك ، ولن ينقصه أحد منهم ، اذا سخط عليك لقوتك وعزتك وعفتك .

لا تشرك بالله أحدا من الناس فى خوف أو رجاء ..

خفه وحده ـ سبحانه ـ فلا تأت معاصيه ، وارجه وحده كذلك ، فآت مراضيه . وقل الحق ما استطعت اليه سبيلا .

فقد مضى على أبيك شبابه وهو لا يمدح ظالما ، ولا يمجد غاشـــــما ، ولا يهش ولا يبش فى وجه لص ، ولا يقول للمخطىء : أصبت ، ولا للمصيب : أخطأت ، مرضاة لرأى رئيسه أو صديقه ولا يصبر على ظلم ظالم ، الا اذا كان لا يقدر عليه ، متمثلا فى ذلك بقول الشاعر :

ان كنت تعلم يا نعمـــــان أن يدى
قصـــــــيرة عنك ، فالأيام تنقلب

وينتظر انقلاب الأيام ، وانتقـــــام القدر ، وقد ذاق حلاوة وفاء الأيام ، وحلاوة عدل القدر .. !

● يا بنى :

لا تشرك بالله ، فتعدل مشهودا بين الناس ، وتظلم مختفيا عنهم ، ليقال انك عادل ، والله يعـــلم ظلمك ، ولا تنفق جهرا ، وتمسك سرا ، ليقـــال انك كريم ، والله يعلم لؤمك . ولا تظهر الورع والزهد بين يدى اخوتك وجيرانك ، وأنت تأتى المآثم فى خلوتك ، ليقال : انك صالح تقى . والله يعلم اثمك .. !

ان هذا اشراك للخلق مع الخالق ـ سبحانه ـ فى خشـــيته وهيبته ، فأعيذك يا بنى من ذلك ، وأرجو الله أن تكون واحدا فى سرك وعلنك ، فلا تأتى الا ما تحبه ويحبه الناس ، ولا تدع الا ما تمقت ويمقتون .

أجل ان الشرك لظلم عظيم :

ظلم للظالم نفسه بما يخسر من رضا ربه الذى ينبغى ألا يطلب سواه ، وما يتبع ذلك من عقاب لن يفلت منه ، وظلم للمظلومين بما يخسرهم من حق ويحرمهم من فضـــــل ، وبما يفترى عليهم من قلب الحق باطلا والباطل حقا ، حبانا والجبان بطلا ، وجعل الحلال حراما ، والحرام حلالا .

فلا تشرك بالله ... احدا من خلقه ، والتمس رضـــاه وحده ،

لتكون من عباده الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لأنهم آمنوا به ، واستقاموا على طريقته ، واتبعوا هداه .

● يا بنى :

احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . واذا استعنت فاستعن بالله ، واذا سألت فاسأل الله ، واعلم أن اهل الارض جميعا لو تآمروا ليضروك ، لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، ولو اجتمعوا لينفعوك ، لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك « جفت الاقلام ، وطويت الصحف »(٢) .

ليس هذا الحديث من فلسفتي ، ولكنه توجيه كريم من توجيهات نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام ، يشد به عزائم أمته ، ويغذى ضمائرهم ، ويطهر مشاعرهم ، ليعيشوا وليس فى قلوبهم الا الله يخافون عذابه ، ويرجون رحمته ، ويصطحبون تقواه ، وكل الذى فوق التراب تراب ، ليس فى حسبانهم من دون الله حساب ، وليس لهم من دون الله أرباب .

● يا بنى :

عندما مضت مشيئة الله بهلاك (يام) بن نوح عليه السلام ، فغرق فى الطوفان الذى أرسل عذابا للكافرين من قوم نوح .. وعندما توجه نوح بكل ما فى فؤاده من حنان الابوة ورحمتها الى ربه ، يسأله نجاة ابنه من الموت .. كان جواب القدر العادل الحكيم : « قال يا نوح انه ليس من أهلك .. انه عمل غير صالح »(٣) .

أرأيت يا بنى كيف أن النسب مهما ارتقى ، لا ينفع صاحبه اذا ساء خلقه ، وفسد عمله ؟ فهذا نسب نوح ، وهو النبى الكريم ، لم ينج ابنه (يام) من الغرق ، لأنه اختار المضى مع القوم الكافرين . وقد ألح عليه أبوه بكل ما أوتى من حنان الابوة ، وعزيمة النبوة : « يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين »(٤) .

ان نسب المسلم هو اسلامه اسلاما صحيحا فلا تهتم يا بنى ان قيل لك : انك غير عربى الأصل ، أو قيل لك : ان نسب جدك يتصل بـ (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه ، ذلك أن أباك لا يرى لعربى فضلا على عجمى الا بالتقوى والعمل الصالح ، وهذا هو أدب الاسلام ، الذى ندين به ، ويلزمنا أن نتفاضل بالاعمال لا بالانساب : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم »(٥) .

وقد دلت وقائع التاريخ المتتابعة منذ العهد الاسلامى الأول الى اليوم ، على خطأ من لم يتأدبوا بهذا الأدب الرفيع : « العمل قبل النسب » اذ ترك أكثر العرب العمل والعلم اللازمين لاستقامة الحياة وصلاحها ، وللاطمئنان على المصير السعيد ، والخاتمة الحسنى ــ تركوهما للتفاخر بالأنساب ، والتكاثر بالأموال .

لقد رضى العرب بالحياة الدنيا ، واطمأنوا اليها ذليلة قليلة عليلة ، ولم يتزودوا لعزتها بإعداد القوة ، ولرخائها بانشاء الصناعة والزراعة ، ولعافيتها بمعرفة العلوم الطبية والرياضية والتربوية .

ومن أجل ذلك كان مؤلفو أكثر تفاسير القرآن ، وانه لكتاب العرب ،

وشروح السنة ، وانها لحكم نبيهم — من غير العرب الأصلاء ، وجاء بعد هؤلاء علماء الغرب — عدو الشرق وسالبه حضارته وثقافته وحكمته — فوضعوا التواريخ ، والفهارس ، وأبحاث الآثار ، بعد أن ضربوا فى صحارى بلاد العرب ودرسوا ما فيها .. !

ان ايدى غير العرب على العرب طائلة ، وانى لأعزى نفسى مكرها ، بأنه عسى أن يكون ذلك فى مقابل أيدى العرب الطائلة على غيرهم ، أى بدلا وعوضا عما قدمه النبى العربى الكريم الى العالم جميعا من نور .. نور فى كل شىء .. !

● يا بنى :

ان تكن عربيا ، فلا فضل لك على غير العربى الا بالتقوى والعمل الصالح ، وان تكن غير عربى أصلا ، فلك اسلامك ، وانه لفخر كل فاخر ، فقد تعلم أبوك العربية ، وحفظ القرآن ، ودرس بعض تفاسيره ، وليست العربية كما يقول رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام « بأحدنا من أب ولا أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى »(٦) .

ولك فيما يقوم به الآن المسلمون ، غير العرب ، من أعمال تبشيرية بالدين الاسلامى ، وأعمال اصلاحية للنهضة باخوانهم من الذلة والقلة ، التى أورثهم اياها الاستعمار الغربى — لك فيما يقومون به ، ولا يقوم به غيرهم فى أى بلد اسلامى آخر — أسوة حسنة ، فانما الاعمال ، كما قدمت لك ، ميزانها العمل الصالح ، لا النسب والحسب .

وان صح نسبك الى عربى أصيل — عمر بن الخطاب أو غيره — فقد جمعت خيرين : العروبة والاسلام ، على الا تسمى باسمها ، ثم تدع العمل ، وتركن الى الامل ، فكل امرىء بما كسب رهين ، ورب أعجمى مسلم بعمله ، اكرم وأسلم وأغنم من عربى مسلم بأمله .

كن — يا بنى — عربيا كما كان العرب الأول : مروءة وكرما وعفة ، وشجاعة فى الحق ، ومسلما كما كان المسلمون الأولون : قولا سديدا ، وعملا صالحا ، وجهادا فى سبيل الله بيدك ولسانك ومالك .

وأحب العرب بكل قلبك ، فان حب العرب من حب نبيهم ، وبغضهم من بغضه ، وسل الله لهم العزة والقوة والتوفيق .

● يا بنى :

انك مأمور ان تدعو بالرحمة لأبويك وهما كبيران ، جزاء ما تعبا فى تربيتك وأنت صغير .

وسأصور لك ما رأيت بعينى ، وما أحسست فى نفسى من مظاهر ومشاعر ، لحنان الأم ورحمتها ، وحبها الأسمى لولدها . لتدرك لماذا كرر القرآن الكريم الوصية بالاحسان الى الوالدين ، ولماذا خص الحديث النبوى الأم بالنصيب الأكبر من هذا الاحسان .

شهدت بعينى رأسى ، ذات صباح ، أما شابة تضاحك طفلها الرضيع ، وتقبل يده الصغيرة فى نهم وشوق واعتزاز ، بعد ليلة ليلاء قضتها ساهرة جاهدة مع بكائه وعويله .

وتذكرت عندما رأيتها تهوى بشفتيها الرحيمتين على يد طفلها اليمنى ثم اليسرى ــ تذكرت الآيات القرآنية المتعددة النازلة بايصـــاء الأبناء بآبائهم وأمهاتهم احسانا وبرا .. !

ما أروع هذا المنظر : أم تقبل يدى طفلها اليمنى واليسرى معا ، فى نهم وشوق واعتزاز . وقد تعودنا فى مراحل شبابنا ، وكهولتنا ، وشيخوختنا ، أن يقبل الصغار أيدى الكبار ، والمرءوسون أيدى الرؤساء ، والجهلة أيدى العلماء ، وطالبوا الفضل والبركة أيدى الاتقياء والاولياء .

ان هؤلاء الأدنين يقبلون أيدى الأعلين ، خوفا ، أو طمعـــا ، أو اجلالا مجرد اجلال ! ولكن الأم التى تقبل يدى طفلها اليمنى واليسرى ، فى نهم وشوق واعتزاز ، لا يدفعها الى ذلك شعور بخوف ولا طمع ولا اجلال .

انما دافعها الحب الخالص ، المنزه عن الطمع والخوف والاجلال .. الحب الذى لم يكن ثمنا لأى شىء ترجوه فى طفلها الحبيب .. !!

الا ما أغلاها قبلة .. ! وما أحلاها شفة أم تهوى على يدى طفلهـــا الرضيع .. ! وما أجله حبا ، حب الأمهات للرضعاء .

ثم هذه الليالى الطوال ، ليالى الأمهات مع أطفالهن ، الليالى التى كلها سهر وتعب وصبر على شم أقذار الطفولة ومسها وتطهيرها ، الليـــالى التـــى تنتهى فى الصباح الى قبلة رحيمة من فم الأم الطهور ، على يدى الطفل العزيز ، فى نهم وشوق واعتزاز .. هذه الليالى المثقلة بدموع الأم ، وعرقها ، وآهاتها ، هذه الليالى السود التى تتنفس عن صبح باسم تنسى فيه الأم آلامها ، وتهوى على يد من كان سبب هذه الآلام والأتعاب تقبلها ، فى نهم وشوق واعتزاز ، وتضحك فرحة مسرورة سعيدة كأن شيئا ما لم يقع منذ بضع ساعات أسال عرقها ودموعها ، وأخرج آهاتها وأناتها من صدرها الحنون .. !

هذه الليالى ، هى التى هيأت الأمهات لأن تكون الجنة تحت أقدامهن ، وهى التى أوجبت حق الأمهات مضاعفا على الابناء ، فى البر والاحســـان اليهن ، أكثر من حق الآباء(٧) .

ليس ذلك وحده هو فضـــل حب الأم لأولادها ، وليس ذلك وحده هو ما أوجب برها والاحسان اليها واكرامها مضاعفا كل ذلك عن حق الأب على ولده . فهنالك الدعوات المكررة الحارة ، فى كل يوم وكل ليلة ، بل فى كل ســاعة ، تدعوها الأم لأولادها أن يهبهم الله كل صـحة وعافية تراهما فى شخص ، وكل خير وبركة تشاهدهما فى آخر ، وكل مجد ورفعة تعجب بهما فى ثالث .. وهكذا لا ترى ما يسر ويعجب فى أحد من الناس الا تضرعت الى الله أن يقر عينها بتحقيقه فى أولادها الأحباء .. !

وهنا يجب أن ندرك لماذا كرر القرآن فى مواضع كثيرة منه وصـيته : « وبالوالدين احســـانا » فى كل من سورة البقرة / ٨٣ والنســـاء / ٣٦ والأنعام / ١٥١ والاسراء / ٢٣ قارنا هذه الوصـية المكررة بوجوب توحيده بالعبادة ، ونهيه عن الاشراك به عز وجل .. ؟!

هذا ، ولسنا نهضم حق (الأب) بما أكثرنا من الحديث عن حق (الأم) على (الولد) ، فالأب هو صاحب الفضل الأكبر فى الانفاق والاشراف على

الاولاد ، تربيـــة وتعليما ، وتقديما لهم فى مدارج الحيـــاة ، ومعارج المجد والرفعة . وحسبنا أن نتصور حياة (الولد) دون أبيه .. اننا نسميه (اليتيم) وننظر اليه نظرات الشـــفقة والرثاء ، ونمد اليه ايدى البر والغوث ، ويراه الناس فى مجتمعه كسيرا كسيفا ! ولا كذلك (الولد) يعيش فى كنف أبيه ، وتحت ظله عزيزا كريما آمنا ، قوى النظرة واليد واللسان .

الا ما أعظمه حقا هذا الذى يجب للآباء على الأبناء ، وما أكرمها دعوة هاته التى أوحى الينا بها القرآن ، بعضا من مكافأة الاولاد للوالدين : « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »(٨) .

● يا بنى : « أقم الصلاة ، وامر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الامور »(٩) .

تلك يا بنى وصية (لقمان) لابنه ، وقد كان رجلا حكيما من غير نبوة ، وقاضيا فى بنى اسرائيل على عهد داود عليه الســـلام ، أوصى ابنه باقامة الصلاة ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والصبر على ما يصيبه فى سبيل كل ذلك من مكروه ..

ان اقامة الصلاة يا بنى — على وجهها — تنهى صاحبها عن الفحشـــاء والمنكر ، ولذلك بدأ لقمان نصيحة ابنه باقامة الصلاة ، لينتهى هو أولا عن المنكر ، ويأتمر بالمعروف ، ويتهيأ بذلك لاصلاح الناس بعد صلاح نفسه ، اذ أن النصيحة بالخير لا تؤتى ثمارها ، وتضىء أنوارها ، الا اذا كانت صادرة من رجل خير فى ذاته ، لا كما يقول الشاعر :

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى ... كيما يصـــح به وانت ســـقيم

ابدأ بنفســـك فانهها عن غيهـــا ... فاذا انتهت عنـــه فانت حكيم

لا تنـــه عن خلق ، وتأتى مثله ... عار عليـــك اذا فعلت عظـــيم

ولا يغرنك — يا بنى — ما ترى من رجال يقيمون الصـــلاة ، ويترددون على المساجد ، يحملون مسابحهم ، وعلى وجوههم آثار السجود الطويل ، وهم مع ذلك لا يأتمرون بمعروف ، ولا ينتهون عن منكر ، فان أولئك لم يعملوا ، وانما قاموا وركعوا وســـجدوا . وايمـــا صلاة لم تنه صاحبها عن الفحشـــاء والمنكر ، لم يزدد بها من الله الا بعدا ، وستلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها ، رمزا لعدم القبول .

فأقم الصلاة — يا بنى — صلة بالله تناجيه فيها بقلبك ، وتبثه همومك وآلامك وآمالك ، وترجوه — وحده — العون على الجهاد فى ســـبيل حياة شريفة عفيفة ، وخاتمة مجيدة سعيدة .

كان (محمد) نبيك الكريم عليه الصلاة والســـلام يقول : « كلمـــا حزبنى أمر فزعت الى الصلاة » ، وكان يقول لمؤذنه : « أقم الصـــلاة يا بلال .. أرحنا بها » .

لقد كان عليه الصلاة والسلام يلتمس فى الصلاة الفرج ، ويرجو بها الراحة، ويجد فيها حلاوة الاتصال بالخالق الرازق ، الواهب السالب ، المحيى المميت .

وكذلك أرجو أن تكون صلاتك يا بنى ، صلة بالله وثيقة قوية ، تبعد عنك سخطه وتدنى رضاه .

ثم اذا استويت قويم الخلق ، صالح العمل ، فانشد فى غيرك الاستقامة والصلاح ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، وقل الحق ، وادحض الباطل ، وارفض الذلة والهوان « فالساكت عن الحق شيطان أخرس » ، « وافضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » . ومن المعجب فى الرجل اذا سيم خطة خسف أن يقول بملء فيه : (لا) !

واذا رأيت جاهلا بأمر من أمور الدنيا والدين ، فهبه من علمك علما ، واذا لقيت عسير فهم ، فامنحه من ذكائك قسما ، واذا رأيت مظلوما فانصره ، أو ظالما فانصحه ، وامح فى طريقك ما تعثر عليه من علائم الباطل وآثار البهتان .

وبالجملة كن يا بنى : نورا من نور الله الذى يغرينا القرآن بالتماسه : « أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ، كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها »(١٠) .

● التمس يا بنى هذا النور ، فليس من دونه ملتمس لنور : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »(١١) .

على أنك ـ بسبب هذا النور الذى تؤتاه ملتق بشياطين الأنس والجن ، الذين يبسطون أمامك الحجب ، يصدونك بها عن سبيل الله ، ويؤذونك فى نفسك وعرضك ومالك ، فلا تبتئس لما يفعلون ، فتلك سنة الله سبقت فى من هو أفضل منك .. فى الانبياء المصطفين : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا »(١٢) .

ولا يلقى الصبر والنصر على هؤلاء الشياطين الا ذو حظ عظيم : من حزم وعزم وايمان ، فاصبر على ما يصيبك ، ان ذلك من عزم الامور .

---

(١) سورة لقمان / ١٣ .

(٢) أخرجه الترمذى فى السنن .

(٣) سورة هود / ٤٦ .

(٤) سورة هود / ٤٢ .

(٥) سورة الحجرات / ١٣ .

(٦) رواه ابن عساكر عن مالك .

(٧) فى التوجيهات النبوية : الزم رجلها فثم الجنة .. وسأل رجل الرسول عليه الصلاة والسلام : أى الناس أحق بحسن صحابتى ؟ قال : أمك ـ ثلاثا ـ ثم قال فى الرابعة : أبوك .

(٨) سورة الاسراء / ٢٤ .

(٩) سورة لقمان / ١٧ .

(١٠) سورة الانعام / ١٢٢ .

(١١) سورة النور / ٤٠ .

(١٢) سورة الانعام / ١١٢ .

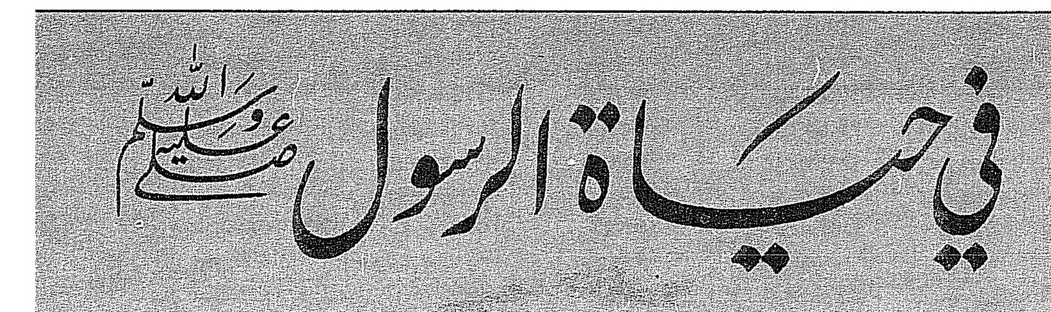


اليهود وتآمرهم

للدكتور : محمود محمد زيادة

اليهود اهل غدر وخيانة منذ وجدوا فتاريخهم حجة دامغة على أنهم لا عهد لهم وأنهم رجس يجب تطهير الإنسانية منه ، ووباء يجب حماية البشرية من فتكه .

فطالما اشعلوا نيران الحروب بين الشعوب ، وسلبوا أموالهم ، وافسدوا أخلاقهم ، وكان الرسول عند هجرته الى المدينة يعرف أخلاقهم المرذولة وطبيعتهم الغادرة ، ويدرك أن وراء ظهره فى الجنوب طغيان مكة وجبروت أهلها ورفضهم تقبل دعوته ومطاردتهم إياه ، فليس من الحكمة أن ينهج منهجا يثير به ثائرة اليهود الذين هم أخطر وأقوى من أهل مكة فى النواحى العلمية والاقتصادية والعسكرية وفى الوقت نفسه لا تربطه بهم قرابة كقريش بمكة تخفف من حدة العداء بل إنه كان بين هؤلاء اليهود وبين الخزرج والأوس معاهدات ومحالفات قبل مجىء محمد عليه الصلاة والسلام فإذن من الحكمة كل الحكمة أن يعقد معهم حلفا ليأمن خطرهم وليحقق فى منطقة المدينة الاستقرار والدفاع عنها ضد اى اعتداء قد يقع عليها والتعاون بالمال إذا حدثت أزمة اقتصادية ، وليضرب المثل العليا للتعاون بين أتباع الأديان المختلفة على أساس من حرية العقيدة وحرية الدين فعقد معهم المعاهدة المشهورة فى التاريخ . تلك المعاهدة التى كانت عملا بارعا وسياسة حكيمة رشيدة فقد أخذ زمام المبادرة وأفصح عن رغبته فى حسن الجوار والمشاركة فى الأمور العامة وكان الأمل كبيرا بعد عقد المعاهدة أن تسير الأمور بين الرسول واليهود سيرة حسنة **ولكن ذلك لم يكن فلماذا** : ذلك لأن الرسول عندما أقام حكومته بالمدينة أساسها الوحى والشورى ، والمؤاخاة فى المبدأ والعقيدة والفكر وانفسح أمام الرسول الكريم المجال ليعلن تعاليم الإسلام وليكون بذاته وتصرفاته المثل الأعلى للتعاليم الاسلامية ، وتركت هذه التعاليم وتلك القدوة أعمق الأثر فى النفوس فأقبل كثيرون على الإسلام وإزداد المسلمون فى المدينة شوكة وقوة ، فبدأ اليهود يفكرون من جديد فى موقفهم من محمد وأصحابه لقد عقدوا معه عهدا ، وهذا العهد يحول بينهم وبين المجاهرة بالعداوة وحمل السلاح ، وكانوا يطمعون أن يضموه إلى صفوفهم ، وأن يزدادوا به على النصارى قوة ومنعة لأنه كان اقوى من هؤلاء وأولئك جميعا فهل يتركون دعوته تنتشر مكتفين بالأمن فى جواره أمنا يزيد من تجارتهم سعة ، وثروتهم ربحا ؟؟ لعلهم كانوا يقنعون بهذا لو انهم آمنوا الا تَمتدّ دعوته إلى اليهود وألا تفشو فى عامتهم . على حين تقتضيهم تعاليمهم المزعومة ألا يؤمنوا بنبى من غير بنى اسرائيل ،



فكانوا يفهمون أنهم خارج نطاق الدعوة الإسلامية وحسبهم منها أن يتحالفوا مع صاحبها ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم افهمهم أن الدعوة لهم وللعرب وللناس جميعا .
بل كان النبى ينتظر من اليهود ان يكونوا أول المؤمنين به لا أن يكونوا أول الكافرين به ، فدعوته دعوة السلام والإصلاح ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وقد حرفوا صفات النبى العربى التى يجدونها مكتوبة عندهم فى التوراة حتى لا تقوم عليهم الحجة بنبى يبعث من العرب ، وكانوا يستفتحون به على العرب من الأوس والخزرج ويقولون لهم : « إنه قرب زمان نبى يبعث فى آخر الزمان سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود » فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، وعاندوا وبلغ عنادهم نهايته ، وغيظهم مداه حين فوجئوا بإسلام حبر من كبار أحبارهم هو « عبد الله بن سلام » وقد روى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة جاءه عبد الله بن سلام فسأله عن أشياء لا يعلمها إلا نبى فأخبره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال : « يا رسول الله إن اليهود قوم بُهُت — جمع بهوت والبهوت العريق فى الكذب والافتراء — وانهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم الى اليهود فدخلوا عليه فقال : « يا معشر اليهود ويلكم . اتقوا الله فوالذى لا إله إلا هو . انكم لتعلمون انى رسول الله حقا وإنى جئتكم بحق فاسلموا » فقالوا : « ما نعلمه » قال : « فأى رجل فيكم « عبد الله بن سلام » ؟ قالوا : « سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن أعلمنا » قال : « أفرأيتم إن أسلم ؟ » قالوا : « حاشا لله ما كان ليسلم » قال « يابن سلام اخرج عليهم » فخرج فقال : « يا معشر يهود اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون إنه رسول الله وإنه جاء بالحق » فقالوا : « أنت شرنا وابن شرنا » وتنقصوه . فقال : « يا رسول الله هذا الذى كنت أخاف » .

فخبرنى أيها القارىء الكريم أى تناقض أعجب من هذا التناقض ولا عجب إذا عرفنا طبيعتهم المتناقضة ، وانهم لا يرعون إلاً ولا ذمة .

وبدأت حرب جدل بين اليهود والمسلمين اشد لددا وأكبر مكرا من حرب الجدل بينه وبين قريش فى مكة واستعملوا الدس والنفاق والعلم بأخبار السابقين من الأنبياء والمرسلين أسلحة يقاومون بها انتشار الدعوة الإسلامية ولو أدى ذلك إلى إنكار كل ما فى التوراة كما استعملوا سلاح الوقيعة بين الأوس والخزرج .

ومن أمثلة إنكارهم لما فى التوراة ما سبق من انكار صفات محمد وأيضا ما روى عن عبد الله بن عمر أن اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا أن رجلا منهم وامرأة

زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم ؟ »

فقالوا : « نفضحهم ويجلدون » فقال عبد الله بن سلام : « كذبتم إن فيها الرجم » فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله ابن سلامم « : أرفع يدك » فرفع يده فإذا آية الرجم موجودة فيها .

ومن أمثلة الدس والوقيعة بين الأوس والخزرج ما روى أنه مر شاس بن قيس على نفر من اصحاب رسول الله من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فآلمه ما راى من الفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال : « قد اجتمع ملأ بنى قيله — الأوس والخزرج — بهذه البلاد لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار » فأمر شابا من يهود وكان معه فقال : « أعمد اليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تتقاولوا فيه من الأشعار » ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا ثم قال احدهم لصاحبه : « إن شئتم رددناها الآن جذعة » وغضب الفريقان جميعا وقالوا « قد فعلنا موعدكم الظاهرة — وهى الحرة — السلاح السلاح » فخرجوا إليها وبلغ ذلك الرسول فخرج إليهم فيمن معه من اصحابه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : « يا معشر المسلمين . الله . الله . أبدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم امر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر والف بين قلوبكم ؟ »

فبكى القوم وعانق بعضهم بعضا وعرفوا انها دسيسة من عدوهم .

ولما لم تفد هذه الاسلحة فكروا فى أن يمكروا بالرسول وأن يقنعوه بالجلاء عن المدينة كما أجلاه أذى قريش من مكة ، فذكروا له أن من سبقه من الرسل ذهبوا جميعا إلى بيت المقدس ، وكان به مقامهم ، وإنه إن يكن رسولا حقا فجدير به أن يصنع صنيعهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى أخبره بهذا المكر وأوحى اليه ان يجعل قبلته إلى البيت الحرام « فلنولينك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام » فولى وجهه شطر المسجد الحرام ، وانكر اليهود على النبى ما فعل وقالوا : « إنهم يتبعونه اذا رجع الى قبلتهم » وهم كاذبون فى ذلك أشد الكذب وأعظمه وعندئذ نزل قول الله تعالى : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها . قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

وقد أكثر اليهود من التنديد على الاسلام لهذا التحويل فقالوا : « إذا كان سمت المسجد الأقصى غير حق فقد اضاع محمد عبادة الذين صلوا إليها ، وإذا كان حقا فلا معنى للتحول عنه وتكون الصلاة إلى الكعبة ضائعة : وقالوا : « إن افعال محمد لو كانت مستندة إلى وحى ربانى لما نسخ اليوم ما فعله بالأمس ، ولما قال اليوم قولاثم نقضه فى الغد ولا سيما فى الأمور التعبدية » .

ولا شك أن هذا دس ودعاية كاذبة أرادوا بها تشكيك المسلمين فنزلت آيات سورة البقرة حاملة على اليهود ومطمئنة للمسلمين فقررت أن المسألة ليست فى الشرق ولا فى الغرب وإنما

هى الاتجاه الخالص لله ، وأن الله لا يضيع إيمان المؤمنين ولا صلاتهم ،

وعليهم الا يستمعوا إلى دسائس اليهود الذين يعلمون أن ما وقع حق وإن كتموه ، وانه لا أمل فى اتباعهم لدعوة النبى وقبلته وان الله لا ينسخ أمرا إلا ويأتى بخير منه أو مثله ولله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وإزاء موقف قريش وموقف اليهود كان على الرسول واصحابه أن يناضلوا عن وجودهم ، وأن يعملوا ما يستطيعون على إيجاد حالة من السلم الدائم تهىء الجو لتأسيس مجتمع فاضل يعيش فى ظله الناس متحابين فى أمن وسلام ، وذلك لا يكون إلا بنشر دعوة الإسلام . دعوة الاصلاح والسلام ، والحضارة التى وضع الرسول حجر الأساس فيها بتعاليمه ومثله ، ولكن كيف يكون ذلك ومشركو العرب لا يزالون سادرين فى غيهم واضطهادهم للمسلمين واليهود يتحينون الفرص للقضاء على الإسلام .

الرسول يريد أن يؤدى رسالته وأن يبلغ دعوة الاصلاح والسلام يريد أن ينقذ الناس ويخرجهم من الظلمات عليهم . [illegible] عليه عنتهم حريص والرحمة ، وكان شأن [illegible] للرسل الذين سبقوه المحق والابادة ففريق يغرقهم فى اليم وفريق آخر يرسل عليهم صيحة واحدة فيجعلهم كهشيم المحتظر لا تبقى ولا تذر كالقنابل الذرية الفتاكة ، والرسول يشفق عليهم من كل هذا مع أنهم أشد شموسا وأغلظ أكبادا وأعظم إيذاء من سابقيهم فكان موقفه معهم كموقف الطبيب الألمعى من المريض يجرب كل دواء ، ولا يلجأ الى المبضع إلا إذا فشل الدواء وتعين السلاح ، فقد بشر وانذر ، ولاقى من الأذى ما لاقى ، وأخرجوه من داره بعد ان ائتمروا على قتله ، واخرجوا اصحابه من ديارهم بغير حق سوى قولهم ربنا الله ، فحاول تجنب قتال القرشيين بإرسال جماعات صغيرة وهى المعروفة بالسرايا – جمع سرية وهى القطعة من الجيش وتطلق على الجماعة الصغيرة التى يكون على رأسها أحد قادة رسول الله – تهدد طريق تجارتهم التى يحرصون على سلامتها كل الحرص وتشعرهم بقوة المسلمين علهم يثوبون الى رشدهم ، فيحاولون التفاهم مع الرسول وأصحابه تفاهما يؤدى إلى حرية الدعوة وحرية دخول مكة لأداء فريضة الحج فيحجون كما تحج بقية القبائل العربية ، فكانت السرايا والغزوات وفى المرحلة الأولى منها كان اليهود يعدون انفسهم لرفض الوجود الاسلامى الذى كان ينمو ويتزايد ، فلما حدثت سرية عبد الله بن جحش وأثارت قريش ثائرة الدعاية ضد الرسول دخل اليهود فى الموضوع يريدون اشعال الفتنة والحرب ثم نزل القرآن قاطعا لألسنة قريش واليهود وبينت آية البقرة (٢١٧) أن المتلبس بكثير من الشرور ليس له الكلام فى الزنتول تكب ما هو أشنع منها وايقن الدعوة ، وليس هذا [illegible] منهم اجابة لا عهد [illegible] انهم [illegible] .

أثر انتصار بدر فى اليهود – إجبار يهود بنى قينقاع عن المدينة :

حدث عقب السرية السابقة غزوة « بدر الكبرى « أولى معارك الإسلام ضد الذين

حاربوا الدعوة وانتصر المسلمون فيها انتصارا رائعا،وإذا كان هذا الانتصار قد ترك آثارا فى المشركين عامة وفى قريش خاصة فإنه ترك آثارا أكثر وضوحا فى اليهود فقد ازداد حقدهم أكثر من ذى قبل على الرسول يدلنا على ذلك قول كعب بن الأشرف أحد زعمائهم : بطن الأرض خير من ظهرها بعد أن أصيب أشراف الناس وسادتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن : ويقفون موقفا جديدا بدأت مظاهره بالتحريض والإغراء بمحمد وأصحابه والتشبيب بنساء المسلمين ، والائتمار بالرسول والتفكير فى اغتياله وكان ذلك يصل علمه الى الرسول والمسلمين فيأخذون حذرهم منهم ويصبرون على أذاهم وما زال الأمركذلك حتى نقضت يهود بنى قينقاع — وكانوا يسكنون فى قلب المدينة — عهدهم بالتعدى على امراة مسلمة من الأنصار بسوق الصاغة حيث ذهبت الى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حلى لها . فتعرض لها جماعة من اليهود والذين كانوا عند الصائغ ، وأصروا على أن تكشف لهم عن وجهها . يعاونهم فى ذلك الصائغ اليهودى اللئيم الذى أدرك اصرار المرأة وعدم تنازلها عن أن تكشف لليهود وجهها فاختلس لحظة وعقد طرف ثوبهاالى ظهرها بشوكة فلما قامت انك[illegible] [illegible]ضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على [illegible] وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم بالمسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع فذهب الرسول إلى هؤلاء الأوغاد وطلب منهم أن يكفوا عن أذى المسلمين وأن يحفظوا عهد الموادعة أو ينزل بهم ما نزل بقريش.

فاستخفوا بوعيده وأجابوه : لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة : إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس !

فى اعتقادنا انه لم يبق بعد ذلك إلا مقاتلتهم ، وإلا تعرض المسلمون وتعرض سلطانهم للتداعى ، وأصبحوا حديث الناس ، فكان قرارا حكيما من الرسول حينما أعلن أن يهود بنى قينقاع . إما أن يسلموا ، وإما أن يجلوا جلاء تاما عن المدينة ، ولما لم يستجيبوا لهذا الاعلان وتحصنوا بحصونهم خرج المسلمون إليهم فحاصروهم فى دورهم وحصونهم خمسة عشر يوما متتابعة فى بطولة فدائية رائعة . لم يجرؤ فيها احد منهم على مغادرة منزله . على الرغم من أن عددهم وعدتهم أكثر وأقوى مما لدى المسلمين فهم عند بعض المؤرخين سبعمائة مقاتل (ثلاثمائة دارع وأربعمائة حاسر) ، وكان هذا العدد يتحرك على أرض تمكنه من القتال ، ومن المناورة ، وذلك انهم كانوا قد اتخذوا لهم حصونا ومخابىء . ومع ذلك فإن أولئك الذين هددوا وتوعدوا الرسول فى سوقهم « لئن حاربتنا لتعلمن انا نحن الناس » .. قد ظلوا فى حصونهم ومخابئهم حتى [illegible] [illegible]بهم وذلتهم التى كتبت عليهم والتى أصبحت صفة لازمة لهم ، فاليهود أجبن خلق الله وأضعفهم ، ولا يستأسدون إلا إذا وجدوا من يحميهم ويشد ظهورهم ، وهم الآن فى طريقهم الى الضعف والاختلاف « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » والفرصة متاحة للقضاء عليهم إذا ما صدقت العزائم وقويت الهمم ، وإنا لا محالة إن شاء الله لمنتصرون عليهم .

وعندما أعلن اليهود تسليمهم بلا

قيد ولا شرط فوضوا أمرهم للنبى أن يفعل بهما يشاء . وقبل أن يتخذ الرسول قراره فى القوم تقدم إليه عبد الله بن أبى بن سلول وقال : يا محمد أحسن فى موالى : فأعرض عنه الرسول ولم يرد عليه فاستجار ابن أبى بالرسول وقال : والله لا أدعك حتى تحسن فى موالى أربعمائة جاسر وثلاثمائة دارع منعونى من الأسود والاحمر تحصدهم فى غداة واحدة ، والله لا آمن ولا أخشى الدوائر !

فهل أثر هذا الكلام فى نفس الرسول ؟ أم ان الرسول أراد أن يلقن بقية اليهود من بنى النضير وبنى قريظة وغيرهما درسا فى العفو عند المقدرة ، وأنه مهما كثر عددهم وقويت عدتهم فإن الله ناصره عليهم ؟ فقال لابن أبى : هم لك : واكتفى بإجلائهم عن المدينة على أن يتركوا من ورائهم السلاح وأدوات الذهب وكان الذى يشرف على عملية الجلاء « عبادة بن الصامت » الذى كان حليفهم ومع ذلك لم يتشفع فيهم وتبرأ من حلفهم ، فنزل فيه وفى ابن أبى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم .. إلى قوله : ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » فتم الجلاء وساروا حتى بلغوا وادى القرى وبقوا هناك زمنا ثم ساروا إلى أذرعات على حدود الشام ولم يبقوا فيها طويلا حتى هلك اكثرهم واستولى المسلمون على أموالهم ، وديارهم وحصونهم دون أن تراق قطرة دم واحدة .

أثر جلاء بنى قينقاع

وكان ذلك الجلاء فى منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ولا شك أن جلاء قبيلة يهودية كانت تسكن قلب المدينة يعد نصرا كبيرا للإسلام والمسلمين ، وهزيمة شنيعة لليهود والمنافقين والمشركين فقد جلا بنو قينقاع دون أن تتمكن بقية القبائل اليهودية من مدّ العون والمساعدة لهم . ذلك أن الرسول حينما عقد المعاهدة مع اليهود عمل عملا بارعا يدل على حنكة سياسية ، وبعد نظر ، فلم يجمع قبائل اليهود كلها فى معاهدة واحدة ، ولم يجعل منهم شخصا معنويا حتى إذا ما حدث النزاع فى المستقبل بين المسلمين وبعض طوائف اليهود لم تجد بقية القبائل اليهودية مجالا للتدخل فى هذا النزاع ، وهذا ما حدث بالفعل . فمثلا عند ما نقض يهودبنى قينقاع عهدهم واصطدم بهم المسلمون وقف بقية اليهود على الحياد وقالوا : مالنا ولهم نحن على عهدنا : فلم تمكنهم المعاهدة من عمل شىء ظاهر ، ولكنهم اليهود . الجبناء فقد بدءوا يخططون على المدى البعيد فلجأوا الى أساليب إشاعة الفتنة وعمل العراقيل ضد المسلمين ونقل أخبار المسلمين إلى المشركين ، فيروى لنا التاريخ أن أبا سفيان لم يطق البقاء بمكة قابعا تحت خزى هزيمة بدر فخرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ، ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بنى النضير ليستشيرهم ويستعين بهم على حرب محمد فأتى سلام بن مشكم ، واجتمع به وتدارس معه أجدى الطرق للايقاع بالمسلمين ووضح له سلام افضل الثغرات للهجوم برجاله على وادى العريض ، فهجموا عليه وقتلوا رجلين وحرقوا بيتين وبعض الخيل ثم أنكفأ أبو سفيان هاربا مخافة أن يطلبه محمد ، فكانت حملته كحملة قطاع الطرق وكان يصل علم ما يقوم به اليهود الى الرسول وأصحابه فيأخذون حذرهم منهم وصاروا

يعتقدون أنهم لا يقلون خطرا عن قريش .

إجلاء بني النضير : بعد موقعة أحد وجد أهل المدينة من اليهود والمنافقين فيما أصاب المسلمين بالرجيع وبئر معونة ما أعاد إلى ذاكرتهم هزيمة المسلمين فى أحد وما أضعف فى نفوسهم من هيبة محمد وأصحابه ، وفكر النبى فى هذه الحالة تفكير سياسى دقيق النظر . بعيد مرامى الراى ، فليس شىء اشد على المسلمين يومئذ خطرا من أن تضعف فى نفوس مساكينهم بالمدينة هيبتهم ، وليس ما يطمع قبائل العرب فيهم من أن تشعر بهذا الانقسام الداخلى الذى يوشك أن يثير حربا أهلية إذا غزا المدينة غاز من جيرانها . ثم إنه رأى أن اليهود والمنافقين يتربصون به الدوائر ، فقدر أن لا شىء خير من أن يستدرجهم لتتضح نياتهم . وكان قد حدث أن قتل « عمرو بن أمية الضمرى » رجلين من بنى عامر انتقاما من قبيلتيهما لقتلهما عددا من المسلمين يوم « بئر معونة » وكان الرسول قد أمنهما ولم يعلم بذلك عمرو فعزم الرسول على دفع دية الرجلين فذهب الى محلة بنى النضير على مقربة من قباء فى عشرة من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى . يطلب منهم دفع نصيبهم — بمقتضى المعاهدة — من دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو ابن أمية خطأ ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه : وتظاهروا بالقبول ثم خلا بعضهم إلى بعض وتآمروا على قتل النبى عليه السلام بالقاء حجر عليه من فوق الجدار الذى يجلس الرسول إليه ويحدد ابن هشام فى سيرته أسم الرجل الذى يقوم بهذا العمل وهو « عمرو بن جحاش » .

وهل جاء الرسول الوحى بما عزم عليه القوم فقام ، وقال لأصحابه : لا تبرحوا مكانكم حتى آتيكم ، وخرج راجعا الى المدينة ؟أو عرف النبى ذلك بعمق شفافيته وسرعة بديهته فقد رأى ببصيرته النافذة كيف يقوم بعض القوم إلى البعض يسرون القول . ثم يلمح أحدهم يتسلل إلى البيت الذى يجلس الرسول إلى جداره فيستأذن أصحابه فى هدوء ويقوم وحده عائدا إلى المدينة . وأيًا ما كان فإنه لما أبطأ قام أصحابه فى طلبه فأخبرهم الخبر من اعتزامهم الغدر به .

وأمر بالتهيؤ لحربهم ، وقبل أن يسير لهم أرسل إليهم « محمد بن مسلمة الأوسى » يقول لهم :

« إن رسول الله أرسلنى إليكم . أن اخرجوا من بلادى . لقد نقضتم العهد بما هممتم به من الغدر . لقد أجلتكم عشرة أيام . فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه » فبدأ القوم يستعدون للرحيل ، وبينما هم يتجهزون إذ جاءهم رسولان من عبد الله بن أبى يقولان لهم : « لا تخرجوا من دياركم وأموالكم واثبتوا ونحن ننصركم على محمد وصحبه » فطمع بنو النضير بهذا الوعد ورأوه فرصة . ماذا لو انتصروا هم ومنافقو المدينة ، وعادت إليهم أوضاعهم كما كانت قبل الإسلام ؟

ويستقر رأيهم على القتال ، ويقيمون المتاريس فى الطرقات ويحتمون بالحصون ويكدسون أرزاقا تكفيهم سنة كاملة من الحصار ، والماء متيسر فى آبار الحصون ورغم كل هذا الذى عبأ به اليهود أنفسهم من تآمر وتحالف وتحصين فإن النبى قد وجه المسلمين أن يقوموا الى اليهود فى مواقعهم ويهاجمونهم فى حصونهم ، وتدور الحرب بين المسلمين ، وبين بنى النضير : دارا

بعد دار وشارعا بعد شارع واليهود يدمرون ما يضطرون الى اخلائـه « يخربون بيوتهم بأيديهم وايـدى المؤمنين » . ومع صبر المسلمين وجلدهم ، وقوة إيمانهم ومواصلة حصارهم لبنى النضير ست ليـال متتابعة لم يظهر ضعف فى مقاومة اليهود ، فأمر الرسول بقطع بعض نخيلهم وحرقها . ليكون ادعى لتسليمهم . لأن الرسول يعرف طبعهم الذى لا يعرف معاني التضحية والبذل فى مواقف الشدة وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، ولم يصل إليهم من عبد الله بن أبى مساعدة ، فقبلوا الجلاء بشرط أن يكف الرسول عن دمائهم واموالهم وامتعتهم إلا آلة الحرب فقبل الرسول أن يكف عن دمائهم ، وكل ثلاثة منهم لهم بعير يحملون عليه ما شاءوا من متاع واموال فقط . فصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كى لا يسكنها المسلمون .

جلا بنو النضير فنزل بعضهم بخيبر وقصد بعضهم الآخر الشام :

الجريمة والجزاء : إذا نظرنا إلى جريمة بنى النضير . نجدها جريمة فظيعة كانوا يستحقون من اجلها الإبادة جميعا .

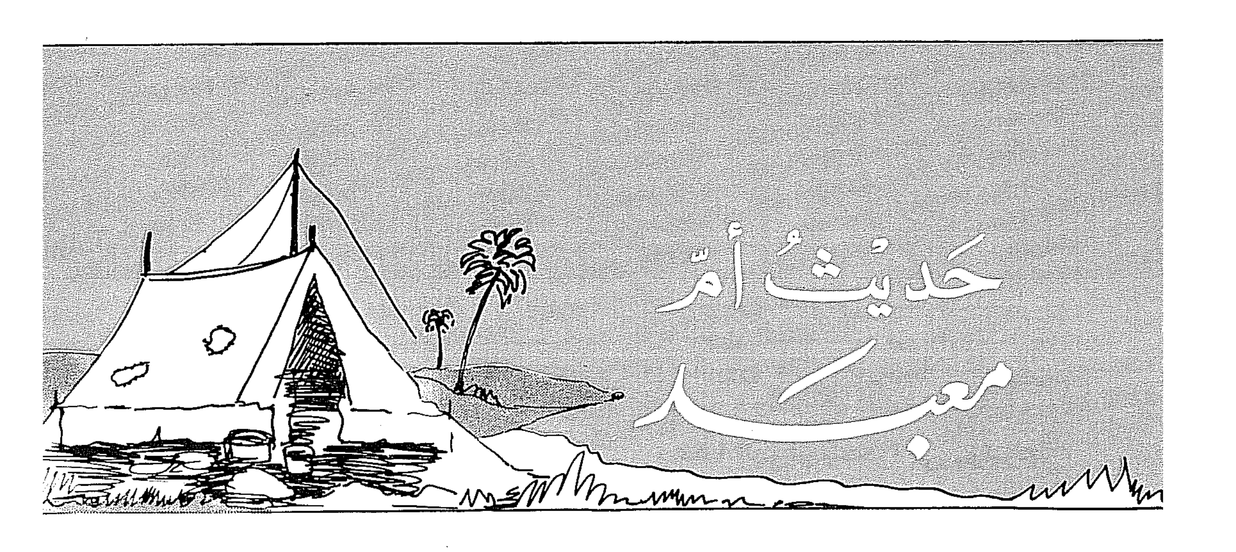
ذلك انهم لم يتآمروا على قتل فرد بصفته فردا ، وإنما تآمروا عليه بعنوان أنه نبى المسلمين ، ورئيس دولتهم ، وصاحب الدعوة التى ألفت بين قلوبهم ، وجعلتهم قوة لا يستهان بها ، وإذن فهم تآمروا على كل المسلمين فى شخص الرسول عليه الصلاة والسلام . ولا زالت تلك طبيعتهم الشريرة إلى يومنا هذا . يحاولون القضاء على صاحب كل دعوة جديدة وعلى كل رئيس يعمل للصالح العام فى الدول العربية يسعى للنهوض بها وتقدمها ، ويضعون الصعاب فى طريقه ، ويعملون على التفرقة بينه وبين جماعته ، ولكن كل ذلك لن يكون !.

فكما انهم لم ينجحوا فى مؤامرتهم ضد الرسول ورد الله كيدهم فى نحورهم ، فلن ينجحوا فى مؤامرتهم ضد المسلمين والدول العربية ، فقد وضحت سرائرهم ، وانكشفت مؤامرتهم ووضحت لكل ذى عينين .

وعلى ذلك فجريمتهم كانت بشعة ومع هذا فلم يأمر الرسول بإبادتهم بعد استسلامهم لأن الرسول من خلقه العفو والصفح حتى مع اعدائه

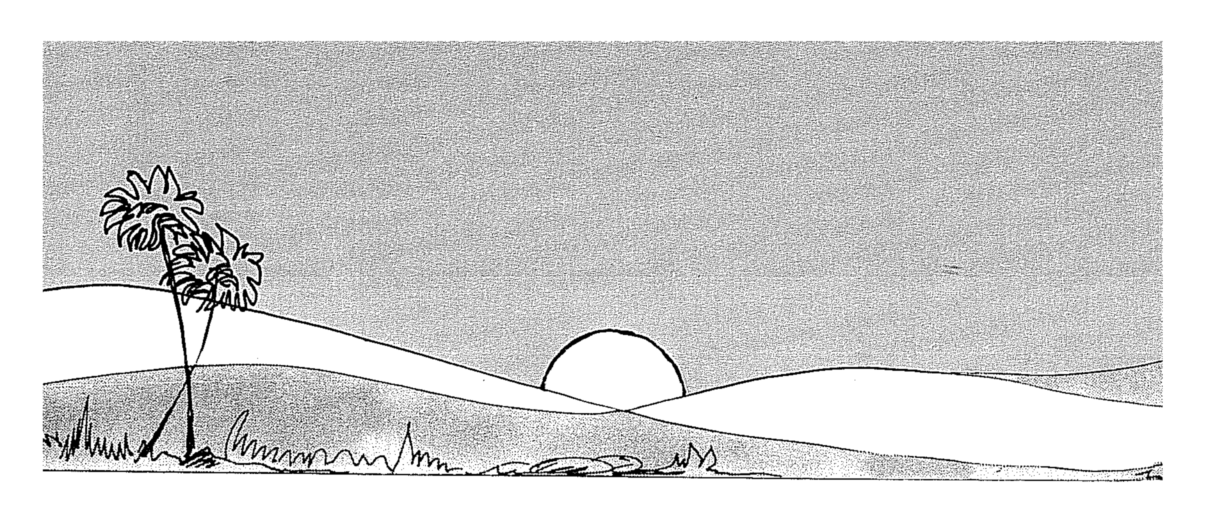
ويرجو أن يرتدع غيرهم ، ويرجع عن التآمر والغدر ، ولكن ذلك لم يكن لأن جبلتهم الغدر والخيانة وسيتضح ما كان من يهود بنى قريظة من تآمر ، ولذا كان جزاؤهم يختلف عن بنى قينقاع وبنى النضير اختلافا تاما .

أثر جلاء بني النضير : من السهل أن يقدر الإنسان قيمة نصر المسلمين واجلاء بنى النضير عن المدينة ، فضعف اليهود ، يؤدى بالتالى إلى اضعاف العنصر الثانى وهم المنافقون ويبين اهمية جلاء بنى النضير أن سورة الحشر نزلت فيما كان منهم وما حل بهم ، وفيما كان من المنافقين الذين شجعوهم على المقاومة وما كان من الفوائد التى عادت على المسلمين من جلاء قبيلة بأكملها عن المدينة ، فقد أصبحت ارضها ملكا لمن اختص به من المهاجرين وبعض الانصار الفقراء مثل أبى دجانة وسهل بن حنيف فاغتبط المهاجرون والأنصار بما أصابوا من ارض اليهود ، وسر الجميع بغنيمة السلاح الذى تركه بنو النضير بناء على شروط الجلاء .



من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حديث أم معبد رضي الله عنها الذي حدث به حبيش بن خالد رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رســـول الله صلى الله عليه وسم حين خرج من مكة مهاجرا الى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة رضى الله عنهما ، ودليلهما الليثى عبد الله بن الاريقط مروا على خيمتي-أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة ، تحتبى بفناء قبتها ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها تمرا ولحما ليشتروا منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ، وكان القوم مرملين مسنتين ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وســلم الى شاة فى كسر الخيمــة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : هل لها من لبن قالت : هى أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لى أن أحلبها ، قالت : نعم بأبى أنت وأمى ان رأيت بها حلبا فأحلبها ، فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسح بيده ضرعها ، وسمىالله تعالى ، ودعا لها فى شأنها فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا باناء يربض الرهط ، فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصــحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم ، ثم أراضوا ، ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى امتلأ الاناء ، ثم غادره عندها ، وبايعها وارتحلوا عنها ، فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يســـوق أعنزا عجافا ، تساوك هزالا ، مخاخهن قليل ، فلما رأى أبو معبـد اللبن عجب وقــال : من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشــــاء عازب حيال ، ولا حلوب فى البيت قالت : لا والله الا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا .

قال صفيه يا أم معبد قالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلة ، وسيما قسيما ، فى عينيه دعج ، وفى اشفاره وطف ، وفى عنقه سطع ، وفى صوته صحل ، وفى لحيته كثاثة ، أزج أقرن ، ان صمت فعليه الوقار ، وان تكلم سماه وعلاه البهاء ، فهو أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنهم وأجملهم من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هزر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة ، لا يأس من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ،غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، ان قال أنصتوا لقولـــه ، وان أمر تبادروا الى أمره ، محفود محشود لا عابس ولا مفند .



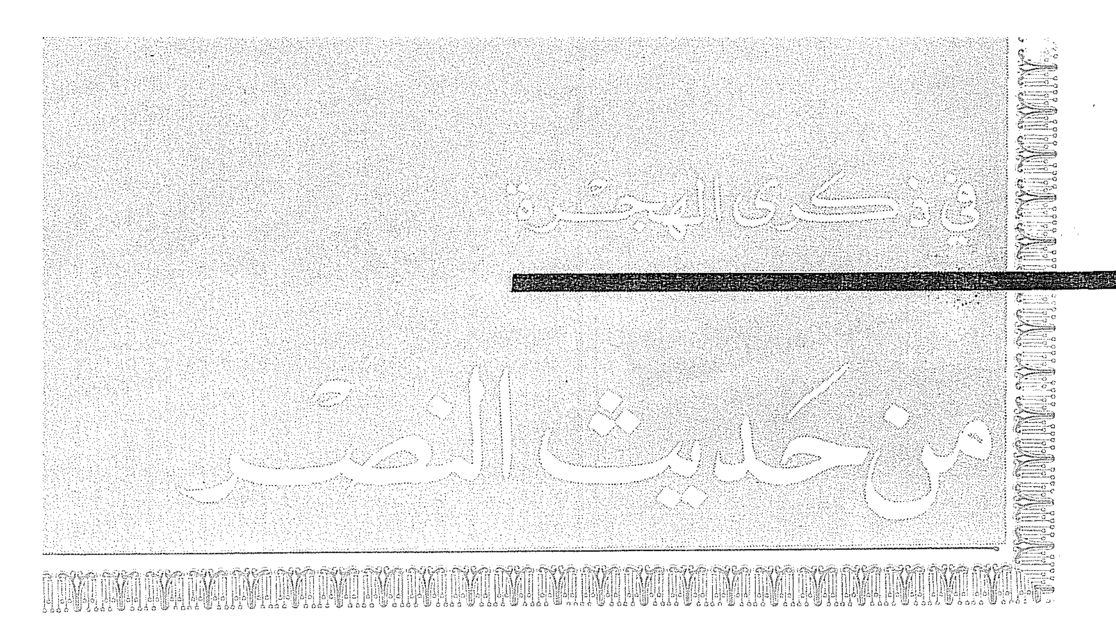
قال ابو معبد : هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من امره ما ذكر بمكة ، ولقد هممت بأن اصحبه ، ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا ، فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه — رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت به — فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيالقصى ما زوى الله عنكم — به من فخار لا يبارى وسؤدد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم — ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها — فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت — له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب — يرددها فى مصدر ثم مورد

فلما سمع بذلك حسان رضى الله عنه قال يجاوب الهاتف :

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم — وقدس من يسرى اليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم — وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم — وأرشدهم — من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا — عمى وهداة يهتدون بمهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب — ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبى يرى ما لا يرى الناس حوله — ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
وان قال فى يوم مقالة غائب — فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده — بصحبته — من يسعد الله يسعد

● ام معبد : بفتح الميم ، واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن اصوم بن حنيبيس بن حرام بن حبشية ، خزاعية ، كعبية ، صحابية ، وكانت نازلة بخباء فى طريق المدينة ، وقصتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورة مروية من طرق عديدة ، تعضدها وتصححها ، وحبيش بن خالد هو اخوها .



للدكتور محمد الدسوقى

١ ــ تذكر المعاجم اللغوية لمادة « نصر » بعض المعانى المختلفة ، ومع هذا تدور كلها فى نطاق نشر الخير ودفع الضر ، فقد جاء فى كتاب المفردات للراغب الاصفهانى : النصر: العون ، ثم قال: ونصرة الله للعبد ظاهرة ، ونصرة العبد لله هو نصرته لعباده ، والقيام بحفظ حدوده ، ورعاية عهوده ، واعتناق أحكامه واجتناب نهيه .

وقال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة : النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على اتيان خير وايتائه . ونصر الله المسلمين : آتاهم الظفر على عدوهم . وانتصر : انتقم .. والنصر : العطاء .

وورد فى لسان العرب لابن منظور : النصر : اعانة المظلوم ، والنصر : الغيث والعطاء ، والنصرة : حسن المعونة ، والتناصر : التعاون ، وانتصر الرجل : اذا امتنع من ظالمه ، قال الأزهرى : يكون الانتصار من الظالم الانتصاف والانتقام ، وفى التنزيل العزيز : والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون (١) » .

قال ابن سيده : ان قال قائل : أهم محمودون على انتصارهم أم لا ؟ قيل : من لم يسرف ولم يجاوز ما أمر الله به فهو محمود .

٢ ــ وقد تحدث القرآن الكريم عن النصر فى آيات كثيرة ، اذ وردت فى الكتاب العزيز مادة « نصر » نحو مائة وخمسين مرة ، وقد تناول ذلك الحديث بوجه عام نصر الله لعباده المؤمنين ، وأن غير الله لا يملك لأحد نصرا ولا خيرا ، وأن الذين بغوا وسعوا فى الارض فسادا انتصر الله منهم ، وكانوا عبرة لغيرهم من المتجبرين والقاسطين .

ولا مجال فى هذه الكلمة للحديث عن تلك الآيات جميعها ، فهى تحتاج الى دراسة مستفيضة ، ومن ثم أقصر حديثى الآن على آية واحدة جاءت فى سورة البقرة ــ أطول سور القرآن الكريم ــ لأنها ربطت بين النصر وأسبابه وأكدت أن الخلف

---

(١) الآية : ٣٩ فى سورة الشورى .



كالسلف يخضعون لقانــون واحد لا يتبدل ولا يتحول « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة اللـــــه تبديلا » (٢) .

وهذه الآية هى قول الله تبـــارك وتعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكـم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب » (٣)

٣ ــ وللمفسرين (٤) أقـــوال متباينة فى سبب نزول هذه الآيـــة ، منها أنها نزلت فى غزوة الخنـــدق ، حين تعرض المسلمون فى المدينـــة لحصار الاحزاب وأصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة وســوء العيش ، حتى استبد بهم الجزع والفــزع ، وبلغت القلوب الحناجر ، وظنوا بالله الظنونا .

وقيل : نزلت الآية فى غزوة أحد ، وهى الغزوة التى اضطرب فيها أمـــر المسلمين بسبب مخالفة الرماة أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلـــم ، فنالت منهم قريش ما نالت ، وسقــط منهم عدد من الشهداء كان على رأسهم حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه .

وروى أن عبد الله بن أبى قـــال للمسلمين بعد حرب أحد : الى متى تقتلون أنفسكم وترجون الباطل ، ولو كان محمد نبيا لما سلط الله عليكـــم الأسر والقتل ، فأنـــزل الله هـــذه الآية (٥) .

وقيل : نزلت الآيـــة بعد الهجـــرة تسلية للمهاجرين الذين تركوا ديارهم واموالهم ، وتحملوا العنـــت والأذى فداء لعقيدتهم وحريتهم .

٤ ــ والذى يلاحظ أن هناك قاسما مشتركا بين كل مـــا قيل فى سبـــب نزول هذه الآية ، وهو ورودها فـــى معرض الحديث عن الفتنة والابتلاء ، ومكايدة الشدائد ومجاهدة الأعداء ، وأن الفوز بنصر الله فى الدنيا ودخول الجنة فى الآخرة مناطه هذه المكايدة والمجاهدة ، ورسوخ اليقين عند الفتنة والصبر والثبات فى مواطن الابتلاء .

واذا كانت الآيـــة الكريمـــة قـــد اشارت الى أن الصراع قائم بين الحق والباطل منذ أن خلق الله الانســـان

---

(٢) الآية : ٦٢ فى سورة الأحزاب .

(٣) الآية : ٢١٤ من سورة البقرة .

(٤) انظر تفسير القرطبـى جـ ٣ ص ٣٣ ، والبحر المحيط جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٥) تفسير الفخر الرازى جـ ٥ ص ٢٠ .

في ذكرى الهجرة

فانها قد بينت فى ايجاز دقيق ، وتصوير رائع أن مشيئة الله فى خلقه اقتضت أن يكون انتصار الحق على الباطل مرتبطا بدرجة الايمان بالحق والجهاد فى سبيله ، فلا يكفى الحق انه الحق لتكون له السيادة والقيادة ، وليدفع عدوان الباطل عليه ، بل لا بد من أن يصبح الحق واقعا ماديا فى الظاهر ، بعد أن صار حقيقة كامنة فى الضمير ، وآية هذا جهاد دائب وبذل موصول وصبر كريم مهما تكن المشقات والأخطار والمصائب فى الأنفس والأموال ، وبدون ذلك لا ينتصر أصحاب الحق فى هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

٥ ــ على أن الآية فى مستهلها تخاطب أهل الصدر الأول من المؤمنين (٦) ، ولكن هذا الخطاب ليس قاصرا عليهم ، فهو موجه الى كل من ارتضى الاسلام دينا ليدرك ان مجرد الانتماء الى هذا الدين القويم لا يؤهل لنصر الله فى الداريـن ، وإنما يؤهل لهذا النصر التزام صادق بكل ما تعبد الله به خلقه « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٧) » وصبر على ما جرت به سنة الله من ابتلاء عباده المؤمنين بمختلف الوان الابتلاء ، اظهارا للمجاهدين الصابرين من المنافقين والمخادعين « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم (٨) » .

وحديث الآية عن المجاهدة والابتلاء والصبر يوضح مبلغ ما يتعرض له المؤمنون من نصب ، وما ينالهم من عنت ، ويومىء الى أن الباطل يلجأ إلى كل وسيلة تتيح له فرصة النيل من الحق ، فقوله تعالى : « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا » يدل على أن دعاة الحق ينزل بهم من الشدائد والمصائب سواء فى الأنفس والأموال ما يقض مضاجعهم ويزلزل قلوبهم ، فهم فى رعب واضطراب كأن الأرض قد مادت بهم .

وفى قوله تعالى : « حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله » ما يدل كذلك على أن ما أصاب المؤمنين من شدائد واهوال تجاوز حد الصبر عليه والثبات معه ، لأن رسل الله أسوة فى الجهاد والصبر والثبات عند المحن والفتن ، فاذا لجأ الرسول والذين آمنوا معه الى استعجال نصر الله الذى أبطأ عليهم (٩) ــ فيما يرون ــ دل ذلك على أن الأمر بلغ الغاية القصوى فى الشدة ، وان المؤمنين أمسوا فى خطب عظيم وكرب احاط بهم ولا يجدون مخرجا ينقذهم ويدرأ السوء عنهم .

٦ ــ ويذهب بعض المفسرين الى أن التعبير بصيغة المضارع « حتى يقول » فيه إشارة الى تكرر استعجال النصر ، وهو يبرز جسامة الخطر وضراوة الخوف والجزع ؟ كما أن فيه تصويرا لهذا الموقف كأنه واقع مشهود يتمثله المخاطب فيستخف بما ينزل به ازاء ما يتمثله ، ولذا يواجه الشدائد والأهوال بعزيمة الصابرين وثبات المجاهدين الصادقين .

وقد جاء ختام الآية معلنا ان نصر الله قريب ، وهو بلا جدال قريب لمن استحقه وبذل تكاليفه واضطلع بأعبائه ، وإذا كان هذا النصر يبطىء احيانا فلحكمة قد تخفى على المؤمنين،

---

(٦) انظر تفسير المنار ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٧) الآية ٧ فى سورة محمد .

(٨) الآية ٣١ فى سورة محمد .

(٩) انظر البحر المحيط ج ٣ ص ١٤١ .

وهم من ثم لا يضجرون ولا يهنون لأنهم على ثقة من أن الله لا يتخلى عنهم ، وصدق الله العظيم : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين (١٠) » .

٧ — وحاصل معنى الآية أن طريق الجنة محفوف بالمكاره ، وأن نصر الله مقرون بالتضحية والصبر ورباطة الجأش لا بالأمانى والكلمات ، وأن ما يتعرض له المؤمنون من الآلام والأخطار قليل فى جنب ما قاسى غيرهم ممن سبقهم بالإيمان والهدى (١١) ، ليتأسى اللاحق بالسابق فى المجاهدة والمصابرة وليؤمن الناس بما لا يدع مجالا للشك أن سنة الله فى عباده المؤمنين واحدة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد روى عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة — وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا : الا تستنصر لنا ، الا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون (١٢) » .

٨ — وهذا المعنى الذى تحدثت عنه آية البقرة وقررت به سنة الله فى خلقه لتقبل النفوس المؤمنة راضية مطمئنة على حمل الأمانة لا تخشى الباطل مهما أمعن فى الكيد ، ولا تزيدها المحن الا قوة فى الإيمان وصبرا فى الجلاد ، تتوقع نصر الله كلما غام الأفق وبدا أن الفجر بعيد (١٣) . — هذا المعنى تحدثت عنه عدة آيات غير تلك الآية ، منها قوله تعالى فى سورة آل عمران : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (١٤) . وفى سورة التوبة قال الله تعالى : « أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ، ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون » (١٥) . وفى سورة العنكبوت يقول الله تبارك وتعالى : « الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (١٦) . وفى سورة محمد قال الله تعالى : «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فامّا منّاً بعد وإمّا فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضهم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم » (١٧) .

وهذه الآيات كما نرى تتحدث عن فتنة المؤمنين وابتلائهم وتمحيصهم ، وتؤكد سنة الله فى خلقه ، وأن الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل وأن سبيل الفوز برضوان الله ونصره مناطه الجهاد والصبر ، ومن ظن غير ذلك فقد ضل سواء السبيل .

٩ — ومن المسلم به أن الله لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، فهو سبحانه يعلم حقيقة القلوب قبل المحنة والابتلاء ، فكيف

---

(١٠) الآية ٤٧ فى سورة الروم .
(١١) تفسير المنار جـ ٢ ص٣٠١ .
(١٢) تفسير القاسمى جـ ٣ ص ٥٣٠ .
(١٣) فى ظلال القرآن جـ ٢ ص ١٣٠ .
(١٤) الآية ١٤٢ .
(١٥) الآية ١٦ .
(١٦) الآية ١ ، ٢ ، ٣ .
(١٧) الآية : ٤ .

ورد فى بعض تلك الآيات ان الله يمتحن عباده المؤمنين ليعلم الذين جاهدوا وصبروا وصدقوا واخلصوا فى ايمانهم ؟ إن هذا يعنى ان الابتلاء والامتحان يكشف فى عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله مغيب عن علم البشر ، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من امرهم ، وهو فضل من الله من جانب ، وعدل من جانب ، وتربية للناس من جانب فلا يأخذوا أحدا إلا بما استعلن من أمره ، وبما حققه فعله ، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه (١٨) .

ومن المسلم به ايضا ان الله يدافع عن عباده المؤمنين ، ولكن دفاع الله لا يتنزل على الكسالى والمهملين والمتواكلين والذين يحسبون أن مجرد الإيمان وإقامة بعض الشعائر يحقق لهم النصر والخير ، وإنما يتفضل الله بدفاعه ونصره على الذين ابلوا فى سبيله أحسن البلاء ، وجاهدوا أصدق الجهاد ، لأنه سبحانه لا يريد لعباده أن يكون النصر لقية تهبط عليهم من السماء بلا عناء (١٩) ، ففى الجهاد والبذل والصبر فى مواطن الشدة والخوف تربية ضرورية للأمة التى اختارها الله لحمل الرسالة الخاتمة ، فلا تنوء بها أو تتقاعس عن الذود عنها ، ولهذا جاء الإذن بالقتال بعد الحديث عن دفاع الله عن المؤمنين ، وفى هذا إشارة إلى ان النصر لا يجىء الا بعد بذل وجهاد ، ولا يهبط على الذين أخلدوا إلى شهواتهم وآثروا الدنيا على الآخرة وصدق الله العظيم « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٢٠) » .

١٠ — ولنا فيما قصه القرآن من اخبار الأنبياء والمرسلين والمؤمنين المجاهدين ما يرشد الى تلك السنة الإلهية التى تحدثت عنها بعض آيات الكتاب العزيز سنة الابتلاء والامتحان قبل الحماية والدفاع والتأييد والنصر ، فهذا سيدنا ابراهيم عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فأعرضوا عنه وسخروا منه وآذوه واضطهدوه ، ولكنه لم يعبأ بسخريتهم وإيذائهم واخذ يواصل جهاده وكفاحه من اجل تبليغ دعوته وانقاذ قومه من براثن الجاهلية ، غير انهم قرروا أن يحرقوه بالنار بعد أن عجزوا عن أن يمنعوه وما يريد « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين (٢١) » ، ولم يستطع ابراهيم أن يتغلب على قومه ، وهنا منعه الله مما هو عاجز عنه ، وأيده بنصره وحمايته وأنقذه من كيد المشركين « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وارادوابهكيدا فجعلناهم الأخسرين (٢٢) » .

١١ — وفى قصة الهجرة دليل واضح على تلك السنة الخالدة ، فقد صبر المؤمنون فى مكة على الاضطهاد والتعذيب ، وضربوا أروع الأمثلة فى

---

(١٨) فى ظلال القرآن جـ ٢٠ ص ١٠٥ .

(١٩) المصدر السابق جـ ١٧ ص٩٨ .

(٢٠) الآية ٣٨ ، ٣٩ فى سورة الحج .

(٢١) الآية ٦٨ فى سورة الأنبياء .

(٢٢) الآية ٦٩ ، ٧٠ فى سورة الأنبياء .

الجهاد والفداء ، فنصرهم الله نصرا عزيزا .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اذن له ربه بالهجرة الى يثرب يفكر مليا فى هذه الرحلة الشاقة ويتخذ الأسباب التى تكفل لها النجاح مع ثقة لا حد لها فى وعد الله بالحماية والنصر .

إن الرسول كان يدرك أن قريشا قد أعدت عدتها لتنفيذ ما أطبقت عليه كلمتها فى دار الندوة ، وأن بالها لن يهدأ حتى تنفذ ما انتهت اليه وان مجرد خروجه من مكة لا يعنى نجاته من الخطر ، لأنه سيطارد . فى مخارم الجبال والأودية ، فكان عليه أن يخطط لهجرته ويحتاط لكل الاحتمالات وإن بدا ما قام به الرسول إزاء قوة قريش أمرا هينا لكنه كان لازما ، فضلا عن تأييد الله ونصره — لكى يصل الرسول الى يثرب ومعه صاحبه دون أن تنال قريش منهما ما تريد .

وتمثلت الخطة التى وضعها الرسول ليفوت على قريش هدفها فيما يلى :

أولا : سرية اللحظة التى خرج فيها من مكة ، أو بعبارة أخرى تضييق دائرة الذين يعرفون هذه اللحظة بحيث لم تشمل سوى أفراد قلائل ممن لا يشك فى اخلاصهم وصدق جهادهم (٢٣) .

ثانيا : خداع قريش والتجسس عليها للوقوف على خططها بعد أن عجزت عن النيل من الرسول وهو فى بيته حتى يأخذ حذره ويتصرف طوعا لما تدعو إليه الأحداث وتوحى به الأخبار .

لقد كانت الهجرة عملا منظما يخضع للتخطيط العلمى الدقيق ، وكان هذا من عوامل نجاحها وآية على أن التوكل الحق على الله يجب أن يصحبه العمل المخلص والسعى الممكن وأن من أخلد إلى الوهن والكسل وظن أن السماء لن تدع حقه فريسة للباطل فهو واهم .

إن قدرة الله لا يعجزها أن يأوى محمد الى فراشه ليلا فى مكة لتبزغ شمس اليوم التالى عليه وهو فى يثرب دون أن يلجأ إلى غار ودون أن يستعين بمن يأتيه بأخبار أو يدله على طريق ودون أن يتحمل ما تحمل من وعثاء السفر فى طريق طويل كله صخور ورمال ، ولكن قضت مشيئة الله أن تكون الهجرة على هذا النحو من الجهاد والتنظيم والتخطيط لتكون أروع دليل على أن تأييد الله لأوليائه منوط بما يبذله هؤلاء من جهد وعمل « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم (٢٤) » .

لقد ذاق محمد صلى الله عليه وسلم النصر بعد مرارة الصبر والكفاح والنضال ، وكان ربه قادرا على عصمته من أذى الناس الا أنه جل شأنه أراد به ذلك حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته فى خلقه ، فلا

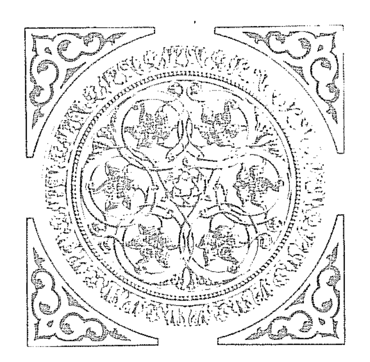
---

(٢٣) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١٢٩ .
(٢٤) الآية ٤٠ فى سورة التوبة .

يفتروا بانتسابهم الى الاسلام من غير جهاد ، أو يستسلموا الى الوهن وهم يحسبون انهم على ربهم يتوكلون .

١٢ ــ وبعد فهذا طرف من حديث النصر فى القرآن الكريم يتضح منه أن سنة الله فى عباده المؤمنين ماضية الى يوم القيامة ، وأن نصر الله لأوليائه مرتبط بما يبذله هؤلاء من المهج والاموال وما يصبرون عليه من الشدائد والمصائب ، فقد شاء الله أن يكون للنصر تكاليفه واعباؤه التى ينوء بها ضعاف الإيمان والذين يعبدون الله على حرف ، وهؤلاء أبدا لا ينصرون ، أما المؤمنون الذين صبروا وصابروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، واتخذوا كل أسباب النصر ، ولم يركنوا إلى التواكل والكسل فهم اهل لحمل تلك التكاليف والأعباء لا يفرون منها ولا يضيقون بها وإنما يقبلون عليها بنفوس مطمئنة تزيدها الشدائد مضاء واصرارا على بلوغ الغاية المقدسة ــ النصر او الشهادة ــ مهما يكن الثمن ، وهؤلاء المؤمنون الصابرون يدافع الله عنهم ، ويمنعهم مما هم عاجزون عنه ولا قبل لهم به ، ويحقق لهم دائما النصر على أعدائهم .

إن المسلم لا يرضى بالدنية فى دينه ودنياه ، وهو لهذا لا يهادن الباطل ولا يصادق الكفر والطغيان ، ويؤمن بأن الله وحده نعم المولى ونعم النصير ، وأن السبيل إلى عون الله ونصره إعداد القوة ، قوة الإيمان والأبدان والسلاح ، ثم الصدق فى الجهاد والثبات والصبر عند الشدائد والمحن ، والسعى المخلص لإعلاء كلمة الله،وصدق الله العظيم : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٢٥) » .



(٢٥) الآية : ٤٠ ، ٤١ فى سورة الحج .



للاستاذ : عبد الكريم الخطيب

١ ـ يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ، فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » (٩٠ ـ ٩٢ المائدة) .

تجىء هذه الآيات الكريمات من سورة المائدة تعقيبا على آيات جاءت قبلها فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .. وفى هذا التعقيب تحرير للطيبات ، وعزل للخبائث من المأكولات والمشروبات عن حماها ، حتى لا يدخل فى طعام المؤمن وشرابه الا ما هو طيب ، لأن المؤمن طيب طاهر ، ولن يحفظ عليه طيبه وطهره الا اجتنابه لكل رجس وخبث .

وقد كشف القرآن هنا عن وجه بعض تلك المطاعم الخبيثة ، وهى الخمر التى من شأنها أن تذهب بعقل شاربها ، وتنقله من عالم الانسان الى عالم دون عالم الحيوان ، ثم الميسر ، وهو القمار ، والمال الذى

يخاطر به فيه ، ويقع ليد كاسبيه ، وهو مال حرام ، وما جلب به من طعـــام هو خبيث محرم .. ثم الانصاب ، وهى حجارة كانت تنصب حول الاصنام ، لتذبح عليها الذبائح المقدمة قربانا لها ، فكل طعام مورده من هذا المورد ، هو خبيث بخبث ما دخل عليه من شرك بالله ، وان كان فى أصله طيبا .. ثم الازلام ، وهى قداح الميسر يلعب بها على الذبائح ، مقامرة ، فحكمها حكم الميسر فى خبث ما يرد منها ..

٢ ـ ويعنينا هنا من الكشف عن وجه هذه المنــكرات ما يدخل على المتلبس بها ، أو بواحدة منها من ضياع وخسران ، وبعد عن مواطن النجـــاح والفلاح ، لأنها من عمل الشيطان ، والشيطان لا يعمل الا الشر ، ولا يريد بأبنـــــاء آدم الا افسادهم ، والتنكب بهم عن طريق الخير والولاء لله رب العالمين ، كما يقول سبحانه : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصـــدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة » فهذا ما يريده الشــيطان من اغوائه واغرائه لمن يستجيبون له ، ويتناولون من يده هذا الرجس المهلك ..

٣ ـ ولأن الخمر هى اشأم وجوه هذا الرجس ، وأشدها فتكا بمعالم الانســـانية فى الانسان ، فقد أقامها القرآن الكريم فى تلك الآية الكريمة على رأس هذه المنكرات : « انمــا الخمر والميسر والأنصـــاب والأزلام رجس من عمل الشـــيطان » ولهذا أدرجتها الشريعة الاســــلامية مع الكبائر التى أوجبت اقامة الحد على مرتكبهـــــا ، كالقتل ، والزنا ، والسرقة .

٤ ـ وقد بينا فى أحاديث ســبق نشرها فى أعداد مضت من مجــلة (الوعى الاسلامى) موقف الشريعة الاســــلامية من القتل والزنا ، والسرقة ، وما رصدت لهـــا من عقوبات رادعة ، يتولى ولى الأمر من المسلمين انزالها بمرتكبيها ..

ونعرض فى حديثنا هذا لجريمـــة الخمر ، ونظرة الشريعة اليهـــا ، وحسابها لشاربيها .

ويقتضينا البحث هنا أن ننظر فى أمرين :

أولهما : الخمـــر ، من حيث ماهيتها ، والمـــادة أو المواد التى تتخذ منها ..

وثانيهما : الخمر ، ومكانهـــا بين المحرمات فى الشريعة الاسلامية .

أما الخمر ، من حيث ماهيتهـــا فأمرها معروف ، ولم تكن بنـــا من حاجة الى الكشف عن وجهها ، لولا أن كثر كلام الفقهاء فيها ، وتعـــددت وجوه الخلاف بينهم فى صفتها ، وفى المادة التى تصنع منها ، والطريقـــة التى تصنع بها حتى تــكون خمرا ، وحتى تأخذ صفة الخمر التى جاءت الشريعة بتحريمها ، واقامة الحد على شاربها ..

ولقد اختلف الفقهاء فى المادة التى تصنع منها الخمر ، فوقف بهـــا بعضهم عند التمر والعنب ، بمعنى أن ما صنع من غيرهما لا يعد خمرا ، وان كان له ما للخــمر من أثر فى شاربها ، وهم يســتدلون على هذا بما روى عن النبى صلى الله عليـــه وســلم من أنه قال : « الخمر من هاتين الشجرتين » وأشار الى النخلة والكرمة .. بل لقد ذهب بعضهم الى أن الخمر ما كان من العنب وحده ، مستدلا على هذا بقوله تعـــالى : « انى أرانى أعصر خمرا » (٣٦ : يوسف) ومؤولا الحديث : « الخمر من هاتين الشــجرتين » على أن المراد بالشجرتين شجرة واحدة ، هى شجرة العنب ، اذ المثنى ـ فى تقديره ـ قد يطلق على المفرد ـ كما

فهم ذلك من قوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » قائلا ان المراد بالبحرين أحدهما .. وهذا لا شك تعسف فى التأويل ، لا يراد به الا التلهى بشرع الله ، والعبث بآياته وكلماته .. والأمر فى هذا أوضح من أن يحتاج الى الكشف عن عواره ، والدلالة على اسفافه وسقوطه .. اذ كيف يشير الرسول الكريم الى شيئين بلفظ المثنى فيقول « من هاتين الشجرتين » وهو يريد واحدة ؟ .. ثم كيف يستدل بقوله تعالى : « انى أرانى أعصر خمرا » على أن الخمر لا يكون الا من العنب ، حيث هو الفاكهة التى تعصر ، وما دام صاحب يوسف فى السجن قال : « أعصر خمرا » فذلك دليل قاطع على أن الخمر لا يكون الا مما يعصر ، ولا يكون ما يعصر الا العنب . ان هذا الضرب من اللغة ، لا يصدر — كما قلنا — الا من عابث لاه ، لا يرعى للدين حرمة ، ولا يقيم لمدلول اللغة وزنا !! انه اهدار لمعانى الكلمات اللغوية ، فضلا عن الاستخفاف بدين الله ، والجرأة عليه .. !

٥ — واما القائلون بأن مادة الخمر محصورة فيما أخذ من التمر او العنب ، وهم يستدلون على هذا بقوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » (٦٧ : النحل) . القائلون بهذا القول لا يختلفون كثيرا عن القائلين بأن الخمر من العنب وحده، فكلاهما متعسف فى التأويل ، يرمى بهذه الشطحات البعيدة ليقال انه من أصحاب الرأى والنظر .. !!

والذى ينظر فى الحديث الشريف : « الخمر من هاتين الشجرتين » لا يجد فيه حصرا لمادة الخمر فى فاكهتى هاتين الشجرتين اللتين كانتا بين يدى الرسول الكريم ، والذى كان — صلوات الله وسلامه عليه — يشير اليهما بيده الكريمة ، وهو يحدث أصحابه عنهما ، وعما كان يتخذه العرب منهما من شراب الخمر ، لأن مادة الخمر الغالبة عند العرب كانت من التمر والعنب ، اذ كانت هاتان الفاكهتان أكثر الفواكه عندهم ، ولهذا جاء وصف الجنات الدنيوية والأخروية فى القرآن الكريم منوها بأشجار النخيل والاعناب ، وجعلهما اللون الغالب على اشجار الجنات وفواكهها ، فيقول سبحانه : « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل » (٣٢ : الكهف) ويقول جل شأنه : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار ، له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر ، وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت » (٢٦٦ : البقرة) وقوله تبارك اسمه فيما كان يقترحه المشركون على النبى فى مقام العناد والتحدى : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا » (٩٠ و ٩١ : الاسراء) ويقول عز من قائل عن جنات الآخرة : « فيهما فاكهة ونخل ورمان . فبأى آلاء ربكما تكذبان » (٦٨ و ٦٩ : الرحمن) .

ومن هذا يتضح انه لم يكن بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه عن الخمر ، وعن المادة التى تصنع منها الا شجرتا النخل والعنب ، وهما — كما قلنا — الشجرتان اللتان كانتا أكثر اشجار الفاكهة شيوعا عند العرب ..

ولهذا ، فانه — صلى الله عليه وسلم — حين كان يتحدث عن الخمر ، وعن المواد التى تصنع

منها ، دون أن يكون بمشـــهد منه شيء من أشجار النخيل والاعناب ــ قال : « ان من العنب خمرا ، وان من التمر خمرا ، وان من العســل خمرا ، وان من البر خمرا ، وان من الشعير خمرا » ..

ومع هذا فان حصر النبى ــ صلى الله عليه وسلم لهذه المواد الخمس ، لم يكن حصرا مطلقا لكل ما تصنع منه الخمر ، وانما كان تقريرا للواقع المعروف عنــد العرب يومئذ لمــــا يتعاطونه من خمر ، ســواء كانت مصنوعة بأيديهم ، أو واردة عليهم مما يجلبه التجار من خارج الجزيرة العربية ..

يقول الخطابى فى تعليقه على هذا الحديث : « ليس معناه ان الخمر لا تكون الا من هذه الاشياء الخمسة بأعيـــــانها ، وانما جرى ذكرها خصوصا لأنها كانت معهودة فى ذلك الزمان ، فكل ما كان فى معناها من ذرة وسلت ــ وهو الشعير ــ ولب ثمرة ، وعصارة شجر ، فحـكمه حكمها » .

وفى صحيح مسلم عن انس قال : « لقد أنزل الله الآية التى حرم فيها الخمر ، وما بالمدينـــة شراب يشرب الا من تمر » .

وفى صحيح البخــارى عن انس ايضا ، قال : « حرمت علينا الخمر حين حرمت ، وما نجد خمر الاعناب الا قليـــلا ، وعامة خمرنا البسر والتمر » .. والبسر هو ثمر النخيل قبل أن ينضج ويصير تمرا ..

وعلى هذا فمادة الخمر لا معتبر لها فى تحريمه ، وانما المعتبر فيهـــا هو أية مادة تعطى خمـــرا ، وهو الخمر الذى يستخرج منها ، والذى من شأنه أن يسكر من يتعاطاه .. فكل ما اسكر فهو خمر ، لانه يخامر العقل ويستره ، كما يستر الخمار وجه المرأة .. وفى الحديث : « ان الخمر من العصـــــير ، والزبيب ، والتمر ، والحنطة والشعير والذرة ، وانى انهاكم عن كل مســـــكر » (مختصر سنن ابى داود للمنذرى ، حديث ٣٣٢) .

٦ ــ وكما اختلف الفقهاء فى مادة الخمر ، اختلفوا أيضا فى الصفة التى تكون عليها ، والصنعة التى تصنع بها ، فقال بعضهم : الخمر ما خمر دون أن تمسه النار ، وأما ما طبخ بالنــــار فليس خمرا ولا يأخذ حكم الخمر وان اسكر ... !!

كذلك اختلفوا فى النبيذ ، وهو ما ينقع من تمر ونحوه ، فقال بعضهم : اذا تخمر وغلا ورمى بالزبد فهو خمر ، قليله وكثيره حرام ، واذا لم يتخمر ويرمى بالزبد ، فاذا اســـكر فهو مكروه ، واذا لم يسكر فلا شيء فيه ! ومن هذه المقولات قول أبى حنيفة فى النبيذ ، اذ يقول : « الانبذة كلها حلال الا أربعة أشياء : الخمر والمطبوخ اذا لم يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، ونقيع التمر فانه السكر ، ونقيع الزبيب » .

ويعــلق ابن حزم على قول ابى حنيفة هذا بقوله : « ولا خلاف أن نقيع الدوشات ــ وهو نقيع الشعير ــ حلال عند ابى حنيفة وان أسكر ، وكذلك نقيع الرب وان أسكر » والرب ــ بضم الراء المشددة ــ خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها .

وقال ابو يوسف ، صاحب ابى حنيفـــة : « كل شراب من الانبـــذة يزداد جودة على الترك فهو مكروه ، ولا اجيز بيعه ، ووقته عشرة أيام ، فاذا بقى أكثر مـــن عشرة ايام فهـــو مكروه ، فان كان فى عشرة أيام فأقل ، فلا بأس ! » .

وقال محمد بن الحسن ــ صاحب ابى حنيفة أيضا : « ما أسكر كثيره

مما عدا الخمر اكرهه ، ولا احرمه !! » .

ويعلق ابن حزم على هذه الآراء — رأى أبى حنيفة وصاحبيه — فيقول : فأول فساد هذه الاقوال انها كلها اقوال ليس فى القرآن شىء يوافقها ، ولا شىء من السنن ، ولا شىء من الروايات الضعيفة ، ولا عن احد من الصحابة رضى الله عنهم ولا عن أحد من التابعين ، ولا عن أحد من خلق الله ، قبل أبى حنيفة ، ولا احد قبل أبى يوسف فى تحديده عشرة أيام لما ينقع من الانبذة !!

ثم يقول ابن حزم فى جراة وصراحة هما طبيعة غالبة فيه — يقول : « فيا لعظم مصيبة هؤلاء القوم فى أنفسهم ، اذ يشترعون الشرائع فى الايجاب والتحريم والتحليل من ذوات أنفسهم ، ثم بأسخف قول وأبعده عن المعقول ! » (المحلى ، لابن حزم جزء / ٧ ص ٥٦٢ وما بعدها) .

وقد تتبع ابن حزم باسلوبه الحاد وصوته الجهير — تتبع جميع الأدلة والاسانيد التى استند اليها أبو حنيفة وصاحباه فى رأيهم فى النبيذ ، ففند هذه الآراء ورد ضعيفها ، أو تأولها على وجهها الذى يدعم وجهة نظره فى دفع هذه المقولات وابطالها .

ولا شك ان فى هذا الجدل بين أصحاب تلك الآراء المختلفة ، وفى التدافع بين الحجج والحجج ، والتلاطم بين الأدلة والأدلة — لا شك أن فى هذا متعة ذهنية ، ورياضة عقلية ، يشهد فيها المرء كيف تتصارع العقول وكيف تصول الافكار وتجول — ولكنها متعة تذهل الانسان عن الحقائق التى بين يديه من أمر دينه ، وتفتح لذوى القلوب المريضة طرقا كثيرة للجمع بين هذه التناقضات ، فيأخذ من كل رأى ما يرضيه ، ويوافق هواه ، فاذا دينه رقع مختلفة الالوان ، رقعة من هنا ورقعة من هناك ، وكلها — فى تقديره — من الدين .. !!

وفى هذه القضية بالذات — قضية الخمر — اخذ قوم فيها بهذا المذهب الذى يجمع بين متناقضات الآراء ، ويتبع ما يرضى هواه منها دون نظر الى حلال أو حرام ، ما دام يرجع فى هذا الى رأى من آراء هؤلاء الأئمة الاعلام .. !!

وفى هذا يقول الشاعر متهكما بهذا التضارب فى شأن الخمر ، التى ليس فيها الا قول واحد ، هو انها الخمر وانها الحرام ، قليلها وكثيرها ، ما اسكر منها وما لم يسكر .. يقول هذا الشاعر :

احل العراقى النبيذ وشربه
وقال الحرامان : المدامة والسكر
وقال الشامى النبيذ محرم
فحلت لنا من بين قوليهما الخمر !!

ويعنى الشاعر بهذا أن أبا حنيفة ومن تابعه — وهو عراقى — قد قال فى النبيذ قولا يخرجه به عن دائرة الخمر ، ويرفع عنه الحرمة المضروبة على الخمر ، وان اقصى ما يكون على شاربه انه أتى فعلا مكروها اذا شرب منه حتى سكر ، أما اذا شرب ولم يسكر فلا شىء عليه .. !

اما الحرامان عند أبى حنيفة واصحابه فهما المدامة ، أى الخمر المصنوعة من العنب ، والسكر ، وهى الخمر المصنوعة من التمر ، فما خمر من تمر أو عنب فهو خمر ، وهو الحرام قليله وكثيره ، أسكر أو لم يسكر ، أما ما خمر من غير العنب والتمر فهو نبيذ ، وقد عرفنا رأى أبى حنيفة فيه !

والشامي الذي يشير اليه الشاعر هو مالك وأصحابه .. ومالك يحرم النبيذ من أى شيء كان ، اذا أسكر كثيره فقليله حرام ، شأنه فى هذا شأن الخمر التى جاء القرآن بتحريمها .

وما كان ينبغى أن يكون فى شأن الخمر خلاف ، وقد جاء النص القرآنى قاطعا بحرمتها بوصفها خمرا ، أى تخامر العقل وتغطى على مدركاته ، دون أن ينظر الى المادة التى تتخذ منها أو الاسلوب الذى تصنع به .. ثم جاءت السنة المطهرة بعد هذامؤكدة ما نص عليه القرآن الكريم اذ يقول الرسول — صلوات الله وسلامه عليه : « كل مخمر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا » ومعنى بخست صلاته أى خف ميزانها ، فلا يؤتى صاحبها أجرها كاملا .. ويقول — صلوات الله وسلامه عليه : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

فكيف يزاغ عن هذا الحكم القاطع فى الخمر وحرمتها ، أيا كان الوجه الذى تظهر به ، وأيا كان لونها وطعمها ! ان كل مسكر خمر ، قليله وكثيره حرام ، والمؤمن مؤتمن على دينه ، فما عرف أنه يخامر عقله اذا شربه ، كان حراما عليه أن يذوق قطرة منه .

هذا هو فيصل الامر فى الخمر .. قليلها وكثيرها حرام ، يأثم شاربها ، ويقام الحد عليه اذا ثبت عليه انه شربها بشهادة شهود عدول ، أو بدلالة حاله ، كأن ظهر فى الناس وهو سكران لا يعى ما يقول .

فالعلة فى تحريم الخمر هى الاسكار ، والتأثير على العقل تأثيرا يغير من طبيعته ، ويفقده توازنه ، والعلة تدور مع المعلول وجودا وعدما .. وليست علة تحريم الخمر قلتها وكثرتها عند شاربها ، وانما علتها أنها الخمر ، وأنها رجس ، وأنها الحرام ، وليس فى الحرام قليل أو كثير ، فما حرم كثيره فقليله حرام ، سدا للذرائع ، حيث لا حجاز بين القليل والكثير الذى يسكر !!

٧ — وأما نظرة الشريعةالاسلامية الى الخمر وعدها من الآفات التى اذا تفشت فى مجتمع أفسدت عليه وجوده ، ونزعت عنه كل معانى الانسانية — هذه النظرة أوضح من أن يدل عليها ، فقد عدها القرآن الكريم رجسا من عمل الشيطان ، وأقامها على رأس الكبائر ، وجعلها اما لها ، اذ أن شارب الخمر اذا لعبت حمياها برأسه خلع عذار حيائه ، وتحلل من كل دين ، وخلق ومروءة ، وأفلت من سلطان عقله ، وهان عليه أن يأتى كل منكر ، وأن يفعل كل محرم ، مما كان يرده عنه عقله ويمنعه منه حياؤه ودينه ومروءته ، قبل أن تلعب الخمر برأسه .

روى أبو داود فى سننه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعنت الخمر على عشرة وجوه : لعنت الخمر بعينها — أى لذاتها — وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وآكل ثمنها » .

ولا نجد فيما حرم الله من كبائر كبيرة تحيط بها لعنات الله من كل جانب ، فتصيب كل من يتصل بها من بعيد أو قريب ، باللعنة ، وتنزله منازل سخط الله وغضبه مثل كبيرة الخمر !!

وقد رصد الاسلام للمجاهر بشرب الخمر عقوبة دنيوية فاضحة مخزية

له ، منزلة اياه منزل الصغار والهوان ، فلم تأخذه بعقوبة محددة كالجلد ، أو الرجم ، وانما جعلت للجماعة التى يعالن فيها احد افرادها بشرب الخمر أن ترجمه بكل ما تطوله يدها ، وأن تزجره كما يزجر الكلب العقور ، حتى يغيب عن وجهها .. هذا فضلا عن العقاب الاخروى الراصد له ..

روى انه جيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشارب خمر ، فأذن الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — لمن فى مجلسه من أصحابه أن يتولى زجره وتأديبه ، فكان منهم الذى رماه بنعله ، وكان منهم الذى ضربه بيده ، وكان منهم الذى ضربه بثوبه .. هكذا يلقى النار كل خطر يدهمهم ، انهم يدفعونه بكل ما يجدونه حاضرا بين أيديهم .

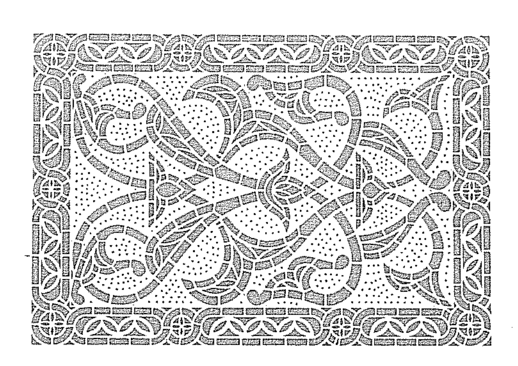
هذه صورة من صور العقاب لشارب الخمر ، ومن صور العقاب لشارب الخمر ايضا أن يجلد عددا من الجلدات غير محدد ، وانما يحدده ولى الامر حسب نظرته الى حال الشارب فقد جلد رسول الله شارب الخمر عشرين جلدة ، وجلد عمر اربعين جلدة ، وذلك بعد أن فتحت الامصار ، وكثر الداخلون فى الاسلام ، الذين خف وازع الدين عندهم عما كان عليه المسلمون ، فى عهد رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه .

٨ — واذا كانت أمم الغرب تأخذ على الاسلام موقفه من الخمر ، وأخذه بالنكير على شاربيها ، وعدها ذلك دلالة من دلالات تأخر المسلمين ، واستغلاق ملكاتهم التى من شأن الخمر ان يفتحها كما فتحها على أمم الغرب ، فسادت وعزت ، وملكت أزمة الحياة ، وقادت موكب الحضارة ، على حين بقيت دول الاسلام فى قيد العجز والتخلف — نقول اذا كانت هذه هى تهمة الغرب للاسلام والمسلمين ، فانها ليست أول فرية يفتريها الذين يضمرون العداوة للاسلام ، دون أن يعرفوا حقيقة هذا الدين . ودون أن يختبروا حقائقه ، مكتفين فى هذا بالنظر الى حال المسلمين اليوم ، وما رماهم به الاستعمار الاوربى من أدواء اغتالت معالم العزة فيهم ، واصارتهم الى ما هم فيه من تخلف فى ماديات الحياة التى كانت هى رغبة الاستعمار وطلبته من استعمار أوطانهم ، وسلب خيراتها ، حتى أقفرت من هذه الماديات التى يفخر بها الغرب ، وان لم يستطع هذا الاستعمار ان ينتزع معالم الانسانية من كيان المسلمين التى غرسها الاسلام فيهم . فحفظ هذا الدين وجودهم وما يزخر به عالمهم الداخلى من عواطف انسانية كريمة حرم العالم الغربى من كثير منها ، وتحول الناس هناك الى آلات تعمل وتنتج لكسب المال ، ولا شيء غير كسب المال .. !

٩ — ولقد عرف العالم الغربى من آثام الخمر واضرارها اكثر مما يعرف المسلمون ، وخاصة فيما تفعله الخمر فى الاجسام فضلا عن العقول ، وذلك بما كشف الطب هناك من الأدواء والعلل الجسدية التى تتركها الخمر فى شاربيها ومن يدمنون تعاطيها ، حتى لقد لجأت دول كثيرة ، ومن بينها امريكا الى سن قانون يحرم الخمر ، ويحارب الذين يتعاطونها ، ويرصد العقوبات المالية وغير المالية لمن يخالفون هذا القانون ، ولكن سلطان الخمر على الناس كان قد تمكن منهم ، فغلب على سلطان القانون وقهره ،

واضطرت الحكومات الى الغاء هذا القانون ، والعودة بالناس الى حالهم الاولى مع الخمر يعبون منه كما يشاءون ، وهى تعلم أنها تسوق الناس — مكرهة — الى أوخم العواقب .. وفى تحريم هذه الدول للخمر ، ثم قهرها ، وتخاذلها ، واستسلامها لهذا السلطان القاهر لها حجة قائمة على الذين يرون فى الخمر غير ما يرى القرآن من شناعتها وسوء عاقبتها ، وما تخلفه وراءها من ضحايا مشوهة الانسانية فى ظاهرها وباطنها .

١٠ — واذا كان الغربيون قد عجزوا أمام سلطان الخمر ، واستسلموا له صاغرين ، فان الاسلام بتدبيره الحكيم فى محاربة هذا الداء ، قد استطاع أن يعزله عن دنيا المسلمين عزلاً يكاد يكون تاما ، وخاصة عند المتدينين منهم ، ومن فى قلوبهم خشية لله ، ورعاية لحدود الله .. أما الذين لا يخشون الله منهم ، ولا يرعون ناموس المجتمع فقد رصدت الشريعة الاسلامية العقوبة الرادعة لمن يجاهرون به من أخذ الشارب منهم بالضرب المذل المهين ، أو الجلد المخزى الاليم وهذا حكم قائم فى شريعة الاسلام على شاربى الخمر ، المجاهرين بها ، ولو نفذ هذا الحكم كما أمرت الشريعة به لاختفت حانات الخمر من بلاد الاسلام ، ولما ظهرت فى المجتمع الاسلامى تلك الوجوه المنكرة لشاربيه .. فما طبقت أحكام الشريعة الاسلامية فى جريمة من الجرائم الا اختفت تلك الجريمة ، واستراح الناس منها ، والشاهد الحاضر لهذا جريمة السرقة التى اختفت فى الجزيرة العربية بعد أن اخذ السارقون بأحكام الشريعة ، وما تقضى به من قطع يد السارق اذا ثبتت عليه التهمة مستوفية جميع أركانها ، فيا ليت قومى يقيمون حدود الله على الخارجين على شرع الله .. اذن لطابت حياتهم ، وعلا فى الحياة شأنهم ، وفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض .





للأستاذ : على القاضى

التربية عملية دائمة فى حياة الفرد لتعديل خبرته وبها يكون الإنسان قادرا على النمو المتجدد الذى يجعله يحيا حياة سعيدة ويكون عضوا ايجابيا نافعا فى المجتمع .

وكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية يرسم صورة لما يريد أن يحققه فى مجتمعه ويضع الأسس لتربية أبنائه حتى يمكن أن ينشئهم على المنهج الذى يحقق الصورة التى يرسمها .

وللتربية عوامل تؤثر فى تربية أبناء المجتمع .

والإسلام دين له مثله وله أهدافه التى يريد أن يحققها فى هذه الحياة وقد وضع الاسلام الأسس السليمة لتربية ابنائه . وتناولت هذه الأسس جميع نواحى الإنسان الجسمية والنفسية والفكرية .

كما اهتم بعوامل التربية التى تحقق المثل التى تنشدها .
وعوامل التربيـــة فى الاسلام هى : الأسرة والمسجد والمدرسة والمجتمع — وسنتناول بإيجاز الكلام عن كل واحد منها .

الأســـــرة :

الأسرة هى البيئة الطبيعية لنشوء الأطفال ، وقد أثبتت تجـارب الجنس البشرى أنها أفضل نظام لتربيتهم وتزويدهم بالعوامل النفسية والثقافية اللازمة لنموهم ، وتقدمهم ، وحمايتهم — فرعاية الطفل والعنـــاية به أول ما يجب على الوالدين ، يحسنان تربيته ويقومان بتعليمه وهما مسئولان عن ذلك مسئوليـــة كاملة لا تقتصر على فترة من الفترات ، فالطفل قليل التجارب سهل التأثر لقلة خبراته ، وسهولة استهوائه ، ولذلك يجب ان يحاط بكل عنـــاية حتى لا تتأثر نفسيته بعادات وآراء غير صالحة وغير مناسبة للأغراض التربوية التى يهـدف المجتمع الى تحقيقها . فالوالدان عليهما أن يهتما بصحة الطفل وحمـــايته من الأمراض وعلاجه منها اذا أصيب بنوع منها وعليهما أن يهتما بتكوين العـــادات الصحية وحمايته من الأخطار . وعليهما أن يعنيا بالناحية العقلية لادراك العلل . كمـــا أن عليهما الاهتمام بالناحية الوجدانيـــة فيهذبا انفعالاته ويكونا العـــادات الوجدانيـــة الصالحة ويحاولا استئصال العادات الوجدانية السيئة ان وجـــدت ويعوداه السيطرة على انفعالاته كالثورة لسبب تافه مما يسبب له المتاعب الدائمة كما يسببها لمن يتعامل معه .

وقد أثبت علماء النفس ان ما يلاقيه الطفل من المعاملات فى السنوات الأولى سيستمر صداه فى نفسه طوال حياته . ففى حضن الأسرة يجد الطفل حاجته من الحنان — والعطف والرعاية — والرســـــول الكريم أوصى باظهار العطف والحنـــان للأطفـــــال .
وقد كان يعامل الحسن والحسين رضوان الله عليهما بمنتهى الرفق والحنان ، وقد أطال السجود مرة لأن الحسن كان متعلقا بكتفه فلم يحب أن يفزعه . .

وقد أوصى بالمساواة بين الأبناء فى العطف والحنان حتى لا تتأثر نفســـية الطفل فيتأثر سلوكه . . . وقد نظر الرسول الكريم الى رجل له ابنان قبّل أحدهما وترك الآخر فقال له : فهلا سويت بينهما ؟ ودخل عامل على عمر بن الخطـــاب فوجده يداعب أبناءه ويضاحكهم . فتعجب العامل وعتب عليه فقال له عمر : كيف انت مع أهلك ؟ قال : إذا دخلت سكت الناطق ! فقال عمر : (اعتزل عملنا فانك لا ترفق بأهلك فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟)

وفى ظلال العطف والحنان تكون الرعاية والتربية يقول الرســـــول الكريم :
(أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) .

وكما اهتم الاسلام بتربية الطفل اهتم بتربية الطفلة . بل لعل اهتمامه بها اكثر لما لها من اهمية فى الأسرة ومن اثر فى تربية أبنائها فى سنواتهم الأولـــى فهى ملازمة لهم قائمة على أمورهم معنية بشئونهم فهم يقتدون بها ويتشربون روحها ويأخذون من عاداتها وأخلاقها وهذا الحديث الشريف يبين لنا مقدار اهتمامه بها **(من كانت له ابنة فادبها فاحسن تاديبها وغذاها فاحسن غذاها واسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة)** بل أكثر من هذا فالاسلام لم يكتف بالتربية فى الصغر بل تعداها الى ما قبل ذلك . فقد تدخـــل لمصلحة الطفل قبل أن يولد ! فللوراثة تأثيرها العميق . تأثيرها فى الصفات

الجسمية وفى كثير من الصفات الخلقيــة فقد يرث الصغير أشــياء لا يستطيع التخلص منها وقد أثبت علم النفس الحديث أن الذكاء والقدرات الخاصة والغرائز كلها تورث . كما أثبت أن المزاج ــ وهو الذى يتوقف على حالة الجهازين العصبى والغــدى ــ يتأثر بالوراثة .

والاسلام اكتشف هذه الأشياء منذ اربعة عشر قرنا تقريبا فأوصى بملاحظتها والح فى الوصية ونبه وشدد فى التنبيــه على اختيار الأبوين اللذين لهما صفات خاصة تحقق ايجاد الجو الصالح الذى يصلح لتربية الطفل فالرسول الكريم يقول فى اختيار الزوجة :

(إياكم وخضراء الدمن ، فيسأله سائل : **وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟** فيقول : **المرأة الحسناء فى المنبت السىء)** فالمرأة اذا لم تنشأ فى بيئة طيبة ولم تربَّ تربيــة طيبة لا يمكن ان تخرج أبناءها إلا مثلها ومن هنا كان لا بد من التحذير والتحذير الشديد فضلا عن أن ابنها سيرث بعض صفاتها فان تربيتها له سيكون لها اسوأ الأثر فى حياته لما لها من المقدرة على استهوائه ولما يراه فيها من المثل الأعلى فيقتدى بها،ويبالغ الرسول فى التنبيه حين يبين الأثر الذى تنتجه الوراثة فيقول : **تخيروا لنطفكم فان العرق دساس)** ويبين الرســول الكريم أن **(المــرأة تنكح لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها)** ويقول لمن يريد أن يتزوج **(فاظفر بذات الدين تربت يداك) .**

وفى اختيار الزوج يطلب من اهل الزوجة أن يختاروه على اساس الدين وإلا فان الفساد ينتشر . يقول الرسول الكريم : **(إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) .**

المســـجد :

يمثل المسجد فى الاسلام عاملا هاما من عوامل التربية فهو مكان للعبــادة وهو مكان للتربية ايضا وما العبــادة الا جزء من رسالة المسجد ولذلك فقد كان اول شىء فعله رسول الله عليه الســلام بعد أن حط رحاله فى المدينــة أن سأل عن المربد الذى نزلت فيه ناقته قائلا : لمن المربد ؟ فأجابه معاذ بن عفراء : انه لسهل وسهيل ابنى عمرو وهمــا يتيمان ، وسيرضيهما . ورجا النبى أن يتخذه مسجدا وقبل النبى وأمر أن يبنى فى هذا المكان مسجده .

فى هذا المســجد وضع النبى الكريم اسس دعوته الاســلامية وكان يبين لأصحابه خطوطها الرئيسية وتفصيلاتها ويفهمها لهم ويربيهم عليها . ففى خطبته الثانية بالمسجد قال :

(أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . واتقوه حق تقاته ، وأصدقوا الله ما تقولون ، وتحابوا بروح الله بينكم . ان الله يغضب أن ينكث عهده) .

فالصلة الروحية بين العبــد وربه هى اول شىء يجب على المســلم فالله يُعبد وحده باخلاص ولا يشرك به فى عبادته .. وهو الذى يتقى حق تقاته . ويراعى فى كل عمل يعمله الانسان سواء كان خاصا به أم عاما لمجتمعه ووطنه وهذه خير طريقة لتربية الضمير وكان المربى الأول صلوات الله عليه يلاحظ حال تلاميذه ويخلطهم بنفسه ويتخذ خير الطرق لتربيتهم وتثبيت المعلومات فى أذهانهم وطريقته فى ذلك هى أحدث طرق التربية إذ كان يطلب من المخطىء اصلاح خطئه بنفسه فان لم يصل الى ذلك تركه الى أن يفقد توازنه ويزداد انتباهه فيكون

عنده استعداد عظيم لتلقى الصحيح منه .

صلى رجل بمسجد الرسول صلاة سريعة ثم جاء فسلم على النبى وصحابته وهم جالسون فرد النبى عليه السلام ثم قال له : (**ارجع فصل فانك لم تصل**) فعاد وصلى كما صلى من قبل وحين رد عليه مثل رده الأول قال له : والذى بعثك بالحق نبيا ما أحسن غيره فعلمنى فأخذ الرسول الكريم يعلمه كيفية الصلاة الكاملة . فالرسول صلوات الله عليه لم يعلمه فى مبدأ الأمر بل طلب منه ان يصلح خطأه بنفسه أولا . وحين لم يفعل ذلك فى المرة الأولى تركه حتى فقد توازنه وأصبح عنده الاستعداد الكافى لتلقى تعليم النبى له فى يقظة تامة وانتباه كبير فلا ينسى بعد ذلك أبدا بل ويهتم بأن يعلم غيره ما تعلمه .

ومن أساليب التربية التى اتبعها المسجدأن المسلم اذا دخله ووجد حلقة علم جلس حيث ينتهى به المجلس بلا فرق بين انسان وانسان فالجميع فى بيت الله سواء .

وكان من أهم الأشياء التى لاحظها الرسول إلا يثقل على أصحابه حتى لا يسأموا فلا يستفيدوا شيئا ، من ذلك ما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا . بل كان كثيرا ما يدخل فى دروسه عنصر التشويق حين يقص عليهم أخبار الأمم السابقة وما آلوا اليه وكان النبى يتعهد أصحابه بالرعاية والعناية يخطب فيهم ويدرس لهم ويبين لهم الجديد من التشريع ويوضح لهم ما غمض عليهم يسألهم أحيانا ليختبر ذكاءهم وانتباههم وكان يجيب على أسئلتهم التى يوجهونها اليه . واستطاع المسجد الأول بهذه الطريقة أن يخرج للاسلام علماء فى الفقه الاسلامى وفى فهم القرآن الكريم ورجالا فى كل ناحية من النواحى ، وقد كان لهم أثر بين فى نشر الثقافةالاسلامية فى انحاء العالم الاسلامى بعد امتداد رقعته واتساع سلطانه . ولم تقتصر رسالة المسجد على التعليم وحده . بل تعدته الى تقوية الروابط الاجتماعية ، وتوثيق الصلات الأخوية ، واشعار أعضاء المجتمع الاسلامى بأنهم أخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا لا فرق بين فرد وآخر . فالمسلمون يصلون خمس صلوات كل يوم فى المسجد يقفون متجاورين بدون تفريق فى صفوف منتظمة فاذا ما قضيت الصلاة لاحظوا من تخلف منهم فيسألون عنه ويبحثون عن السبب الذى تخلف من أجله .

وروح المسجد روح تكافل واتحاد . ولأهمية المساجد فى التربية الاسلامية لم يتهاون النبى فى المسجد الذى أنشأه جماعة من المنافقين وكانوا يأوون اليه ليحرفوا كلام الله عن مواضعه ويفرقوا بين المؤمنين ضرارا وهو الذى سماه القرآن الكريم ((**مسجد الضرار**)) فلم يكتف الرسول بعدم تلبيتة لدعوتهم فيرفض الصلاة فيه بل أمر باحراقه بدون هوادة لما له من أثر سيء فوجوده موضع خطر كبير على أبناء المسلمين .

واستمر المسجد يؤدى دوره التربوى والتعليم فى جميع العصور الاسلامية وحتى عصرنا الحاضر فى بعض اقسام الأزهر . واقتصر حين انتشرت المدارس على بعض نواحى التربية .

وهكذا استطاع المسجد ان يقوم بدور كبير فى تربية الأمة الاسلامية ، وان يكون ذا أثر قوى لا نزال نحس به ونرجو أن يعود الى سابق عهده فى التأثير والتربية حتى نصل الى ما وصل اليه أجدادنا من رقى وتفوق .

وحتى نحس بالهدوء الهدوء النفسى والاطمئنان القلبى ، والسعادة الحقة .

المدرســــــة :

نشأت المدرسة فى الاسلام نشوءا طبيعيا تدريجيا فكانت قليلة العدد فى بداية الأمر وما زالت تنمـــو حتى أصبحت فى صدر الدولة العباسية كثيرة منتشرة فى البلدان الاسلامية انتشارا كبيرا . وقد كانت على درجات منها الكتاتيب ومنها بيت الحكمة الذى انشىء أيام الرشيد والمدارس النظامية ببغداد ودار العـــلم بالقاهرة ، والبيئة الاجتماعية فى المدرسة أوسع من بيئة المنزل وأكثر تنويعـــــا وذلك ضرورى لتربية الطفل حتى لا ينشأ الطفل مدللا . والمدرسة توجد توازنا فى حياة الطفل من الناحية الفردية والاجتماعية ـــ فالمدرسة حلقة وسط بين البيئة المنزلية والمجتمع الحقيقى ـــ والمدرسة القديمة كان المدرسون الذين يتصــــدون للتدريس فيها يمتهنون هذه المهنة عن رغبة ـــ والمدرسة الحـــديثة تعد المدرس اعدادا خاصا لمهنـــة التربيـــة .

والمدرسة عامل هام من عوامل التربية لأنها بأسلوب التربية الذى تتبعــه تؤثر فى مفاهيم التلاميذ وفى تكوين معتقداتهم كما تؤثر فى ســــلوكهم .. وعن طريق تقليدهم لأساتذتهم واستهوائهم والايحاء اليهم يستمر التأثير فى ذلك .

وقد اخذت المدرسة بذلك جزءا كبيرا من رسالة المسجد فى التربية وهى بذلك تعتبر مكملة له بما لها من امكانيات لا توجد فى المسجد وبخاصة فى عصور العلم والتكنولوجيا او هى امتداد للمسجد ولرسالته اذا كانت التربية فيها تسير على أساس العقيـــدة الاسلامية والتعـــليم يسير على أساس تحقيـــق أهداف الاســـــلام .

المجتمــــــع :

المجتمع عامل هام من عوامل التربية لما له من تنوع واثر فهو يشمل كـــل ما فى المجتمع من أصدقاءومن صحافة واذاعة مسموعة واذاعة مرئيـــة وخيالة وهيئات دينيـــة واجتماعية وغير ذلك .

والإسلام يعطي صورة لترابط المجتمع وتأثير بعضه فى بعض فى الحديث الشريف الذى يقول : (مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذا ما استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالـــوا : أنا خرقنا فـــى نصيبنا خــــرقا ولم نؤذ من فوقنـــا ؟ فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعـــا .

ومن هنـــا فان الاسلام يضع قاعدة للمجتمـــع تجعل كل فرد فيـــه يحس بالاحساس الكامل بالمسئولية **كلكم راع ومسئول عن رعيته)** ويفرض على كـــل مسلم أن يغير المنكر الذى يراه فى حدود استطاعته **(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)** وهـــو بهذا يجعل المسلمين كالجســـد الواحد اذا اشتكى منه عضـــو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . .

وقد بين الرسول الكريم اثر الجليس الصالح وجليس السوء حتى يكون كل فرد على بينة من أمره فلا يصاحب الا الصديق الصالح (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كصاحب المسك ونافخ الكير ـــ لا يعدمك من صاحب المسك اما أن تشتريه أو تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة) ويحذر القرآن الكريم من الاطمئنان الى الظالمين **(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)** .

ولقد كان الجلوس فى الطرقات ـــ وما زال ـــ مصدرا للمشكلات الكثيرة فى المجتمع ومحكا لمستوى الأخلاق فى الأمة . ولقد نهى الرسول الكريم أصحابه عن الجلوس فى الطرقات فلما قالوا له : ان ذلك غير ممكن طلب منهم أن يؤدوا حق الطريق بحيث لايترتب على الجلوس فى الطريق أى مشكلة اجتماعية ، بل بحيث تظهر منها فوائد اجتماعية (اياكم والجلوس فى الطرقات قالوا : يا رسول الله مالنا بدمن الجلوس فيها . انما هى مجالسنا نتحدث فيها قال : فان أبيتـم الا الجلوس فيها فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

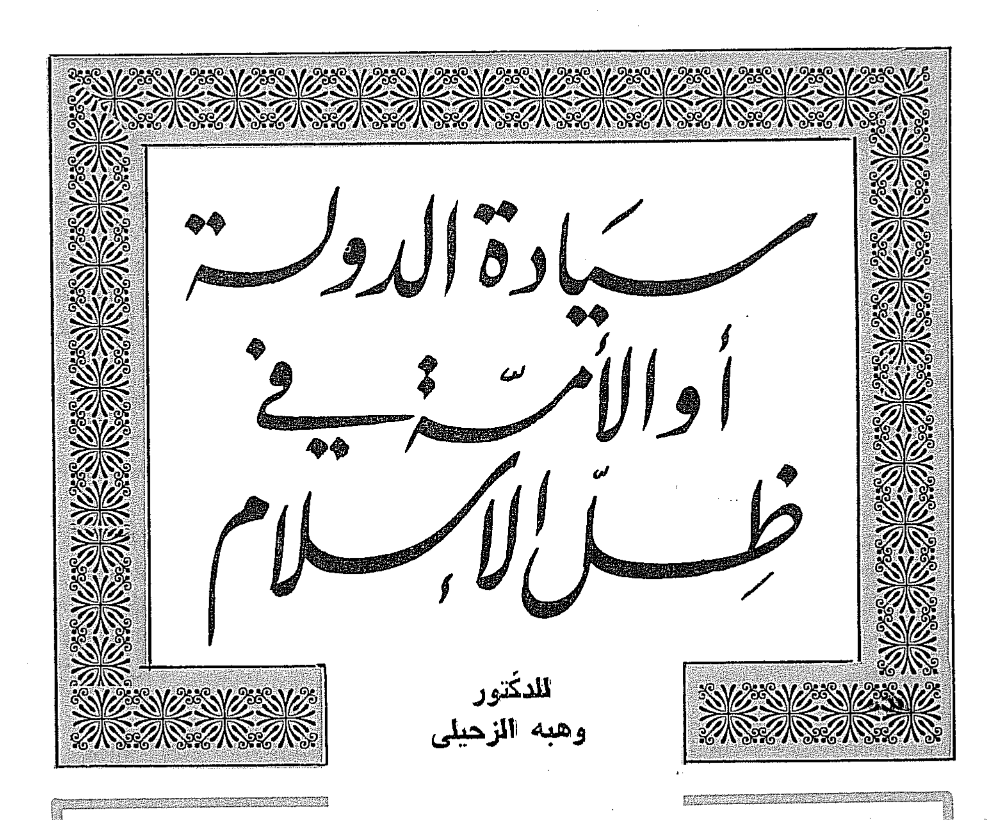
والحوادث التى يراها الأطفال فى الخيالة وفى الاذاعة المرئية تظل فـــى ذاكرتهم مدة أطول من تلك التى يرونها عن طريق آخر ـــ وانهم يضعون فيها ثقة اكبر مما يضعون فى المعلومات التى يحصلون عليها من طرق أخرى . وان أكثر الحقائق تذكرا تلك التى تقترن بصفة وجدانية .

ولقد كان للخيالة اثر كبير فى رفع نسبة جرائم الأطفال حين اتجهت الأفلام الى الاكثار من المناظر التى تتحدث عن الجرائم ومثل ذلك الاذاعة والصحافة فان لذلك كله أثرا كبيرا فى تربية الصغار والكبار أيضا .

هذه الأشياء التى تحدث آثارها فى المجتمع تعتبر عاملا هاما من عـــوامل التربية وعلى المجتمع أن يحيطها بالضمانات التى تكفل التأثير الحسن فى نفوس الأطفال والشباب ، وتكون عاملا طيبا من عوامل التربية فى الاسلام .

خاتمـــــــة :

وبعد فهذه هى عوامل التربية فى الاسلام وينبغى أن تسير كلها فى الطريق الذى رسمه لها الاسلام تحقق مثله وتنشر أفكاره وتطبقها على نفسها وتكون قدوة للناس جميعـــا فبذلك يسعد الفرد ويسعد المجتمع الاسلامى ويسير على هـــذا النهج من يريد أن يسعد من المجتمعات الأخرى .



فى غرة شهر الله الحرام المحرم من كل عام إذ يسدل الستار على عام قد مضى ، وتبدأ صفحة جديدة لعام آخر من عمر الزمان قد بقى ، لا يشعر المسلم بأية حال باهتزاز فى قيم الإسلام ومبادئه وأحكامه التشريعية ، وانما يرى أنها فى نداوتها وجدتها وحيويتها ربيع يتدفق شبابه بالحيوية ، أو سلسبيل يفيض عذوبة ، أو مولود بكر يتخايل ويملأ الأفق بهجة وانتعاشا وفرحا ونضـــــارة .

فالقدم لا يزرع فى رأسه الشيب ، ولا تعرض له الشيخوخة والهرم والعدم، ولكنه يزداد بهاء وقدسية واحتراما ، واستمساكا بتلابيبه ، والتزاما لتعاليمه .
ويظل هو السيد المطاع الذى يحتكم إليه ، والميزان الحساس الدقيق الذى تقيَّم به الأعمال صغيرها وكبيرها ، فيحاول المرء العيش فى ظله ، ويعاهـــد الله على ألا يحيد عن حدوده ، ويشحن النفس بطاقة قويـــة ليكون الغـــد أو المستقبل أفضل من الماضى ، ويزداد الشعور بضرورة الالتزام الصارم كلمـــا انحدر عمر الانسان ، واتجه نحو النهاية الحتمية بيقين الصادقين ، وعزيمـــة المجاهدين الصابرين ، وتوبة الأطهار الأصفياء من عباد الله الصالحين .

إذا فتقادم الزمن لا يؤثر ولا يغير قيد أنملة فى طبيعة التشريع السماوى الخالد الذى ضمه القرآن المجيد وأبانته السنة المطهرة ، مما هو مقطوع به ،

أو له صفة الديمومة والخلود ، أو الواضع لمبدأ ثابت لا يقبل التغير والتطور في ناموس الحياة السوية . ومن هنا ينبع احترام تشريع الإسلام ، ويزداد اعتباره ، ويقوى الاهتمام به كلما ذر شارق ، وغرب غارب ، وتوالت الشهور ، وتتابعت الأعوام ، وطلعت الحياة بأنظمة ينقض بعضها بعضا ، أو تهدم نظرية علمية ما استقر في الأذهان .

ولكن لنا أن نتساءل في العصر الحديث حيث ازداد تدخل الدولة في كل شيء تشريعا وتنفيذا وتخطيطا ، وأصبحت القيادة وقفا عليها ، وفتن الناس ببريق المدنية ومعطيات الديمقراطية ، وبأسطورة حق « الشعب » وكونه « مصدر السلطات » ، في هذه الظروف الحاسمة وجب أن نتساءل : ما مدى حرية الدولة أو الأمة التي تمثلها الحكومة في ممارسة سلطاتها على الناس ، أو بعبارة أخرى : ما هي حدود أو قيود سيادة الدولة في ظل الإسلام ، وهل يعني قيامها بالتشريع انفرادها بهذه السلطة ، وصم الآذان عن نداءات السماء ، وتشريعات القرآن الذي تقرع آياته صباح مساء سمع الشعوب الإسلامية ؟

إن كلمة « السيادة » اصطلاح حديث نسبيا وجد مع وجود فكرة الدولة الحديثة ، وهي صفة أو خاصية تنفرد بها السلطة السياسية في الدولة بعد أن تكتمل أركانها الثلاثة من شعب وإقليم وهيئة حاكمة (تنظيم) ، وقد برزت فكرة السيادة بادئ ذي بدء لتسويغ إطلاق سلطة الدولة ، فلا يحد سلطانها شيء ، ثم تعرضت نظرية السيادة المطلقة في العصر الحديث لنقد قوي جوهري مقتضاه أنها لم تعد تتفق مع الظروف الحالية للمجتمع الدولي وحقوق وحريات الأفراد وتضامن الجماعة وتعاونها في تحقيق حاجاتها المشتركة .

وأدت هذه الانتقادات الى ضرورة تقييد السيادة في الداخل والخارج ، ومن مظاهر السيادة في داخل الدولة : الحرية في اختيار النظام السياسي والاقتصادي وسن التشريعات الملائمة لفرضها على المواطنين . ومن مظاهر السيادة خارج الدولة : الحق في إعلان الحرب وعقد المعاهدات والاستقلال السياسي .

وقد تمتعت الدولة الإسلامية منذ بدء تكوينها في المدينة المنورة بكل مظاهر السيادة الداخلية والخارجية ضمن قيود محددة ، فكان لها سمو السلطان في الداخل ، والاستقلال الكامل عن غيرها ، وأساس هذا الاستقلال ظاهر في القرآن الكريم في قوله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » وفي قوله عز وجل : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . وتجمع آية أخرى مظهري السيادة معا ضمن القيود المعقولة وهي : « محمد

رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم » .

أما عن قيود السيادة فى ظل الإسلام ، فمن الخطأ الشائع إطلاق القول بأن « الأمة مصدر السلطات » إذ أن حق التشريع بالمعنى الدقيق إنما هو للشارع الحكيم وهو الله سبحانه وتعالى ، فليس لأى فرد أو جماعة سلطة التشريع أى إنشاء أحكام مبتداة أصيلة فى الدولة ، وإنما يكون الاجتهاد ، ومنه إجماع الأمة محصورا فى نطاق استلهام روح الشرع ، واستمداد الحكم المناسب لضرورات الزمان المتجددة من فحوى التشريع السماوى ، أى أن التشريع لله وليس للأمة بدليل قوله تعالى : « إن الحكم إلا لله » ، وما على الأمة إلا إطاعة أوامر الله والرسول : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » . وقد أثنى الله على الطائعين الملتزمين فقال سبحانه : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » وقد حذر القرآن من التفكير فى الحيدة عن الوحى الإلهى ، فقال عز وجل : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » . وقد أذعن المسلمون الأوائل لوحى السماء إذعانا كليا ، فكانوا كما حكى القرآن عنهم : « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » .

وتشدد القرآن فى هذه القضية ـــ قضية طاعة الوحى ، فأنذر بالعذاب « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » وأعلن تجرد المتنكرين لهذه الطاعة من صفة الإيمان مخاطبا من له صفة السلطة أولا : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » « فأولئك هم الظالمون » « فأولئك هم الفاسقون » (المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧) .

وفى مجال القضاء طولبت السلطة القضائية إحدى سلطات الدولة بتطبيق شرعة الله ، وخوطب الأنبياء أولا بذلك ليكونوا القدوة المتبعة لغيرهم : « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهدى فيضلك عن سبيل الله » وأمر الرسول محمد أيضا بالطاعة : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » « فاحكم بينهم بالقسط » « إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس » « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » .

وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصاياه لأمته مبدأ سيادة التشريع الإلهى مجردا عن كل لبس أو غموض : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » .

وأوضح النبى أيضا للأمة حدود طاعة أولى الأمر فيما يكفل سيادة التشريع ، فقال عليه السلام : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصيته ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » « إنما تجب الطاعة فى المعروف » وصارت القاعدة المقررة : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

وعلى هذا فالأمة مصدر السلطات فى التنفيذ واختيار الحكام ومراقبتهم ، لا فى التشريع المبتدأ ، والسيادة بهذه الحدود أو القيود تكون لمجموع الأمة أو الأفراد ، وما الحكام إلا وكلاء عن مجموع الشعب ، فهم الذين يختارون الحاكم، ولهم حق عزله من منصبه إذا خالف الشرع ، وعليهم مراقبة تصرفاته ، وهو مسئول أمام الله ، وأمام الأمة : « الإمام راع ومسئول عن رعيته » . ولا تختلف المسئولية أيا كانت صورة نظام الحكم خلافيا أم ملكيا دستوريا أم نيابيا أم رئاسيا عسكريا أو مدنيا ، والسيادة تكون مقيدة إذن بحدود الشريعة ، والدولة تتصرف ضمن مخطط التشريع الالهى ، وكل القوانين والدساتير والأنظمة الصادرة عنها ينبغى أن تكون فى إطار الشريعة ، لأن الأمة أو الدولة التى تمثلها مستخلفة عن الله فى التطبيق والتنفيذ واستلهام روح التشريع السماوى . أما معالجة الأمور الجديدة الطارئة التى لم تكن وقت نزول الوحى، فتكون بواسطة اجتهاد أولى العلم والخبرة والاختصاص وكل من تتوفر فيه أهلية الاستنباط دون اقتصار على فئة أو طبقة معينة ، وانما المطلوب توفر المقدرة والكفاءة العلمية . وتستعين الدولة بهؤلاء الذين يستنبطون الحكم الشرعى من مصادره الإلهية ، ووفق روحه التشريعية العامة ، ومراعاة وجه المصلحة والأعراف والعادات الزمنية التى لا تكون مصادمة لنص أو مبدأ تشريعى . والاجتهاد حق للأمة بل واجب مفروض عليها ، إذ به يتحقق خلود الشريعة ، وتتوفر صلاحيتها المقررة لكل زمان ومكان . ومن المستبعد أو غير المقبول أن تكون مجالس الأمة أو الشعب القائمة فى دول الإسلام الحالية قادرة على الاجتهاد أو محققة له ، وإن توفر فيها بعض الأفراد المتخصصين ، لأن العبرة فى النهاية للتصويت بأغلبية الأصوات ، بقطع النظر عن كون الصوت أو الرأى نابعا من شريعة الله أو منسجما مع احكام الإسلام .

ويمكن تجلية كيفية ممارسة الدولة لسيادتها فى ظل الشريعة بالأمثلة الآتية : إن إعلان الحرب على العدو وعقد الاتفاقيات ومعاهدات الصلح أو السلام معه ينبغى أن يتجسد فيه كل مبادىء القرآن والسنة والسيرة النبوية ،

حتى يكون ذلك مشروعا . وليس العدو الذى تطبق عليــه قوانين الحرب أو القتال ، والسلم أو الصلح هو الذى اغتصب أرضا أو مقدسـات إسـلامية ، وإنما هو الجاثم فى بلاده الأصلية ، ويبدأ المسلمين بالعدوان . لهذا يخطـىء الكثيرون الذين يطبقون الآيات القرآنية الداعية الى قبول السلام على الصهاينة المحتلين لأراضينا بظروف دولية معينة ، مثل قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وكذلك القوانين الوضعية التى تجيز التعامل بالفائدة وان قلت نسبتها ، أو التى تحرم الفائدة أو الربا فى القطاع الخاص بين الأفراد ، وتجيز التعامل به فى القطاع العام أى أن الدولة لها حرية المراباة من جانبها ، عمـلا ببعض الاجتهادات الحديثة المنحرفة ، هذه القوانين كلها غير مشروعة لمصادمتهـا النصوص القرآنية القطعية التى تحرم الربا مهما كان قليلا ، فليس ذلك إذن من أعمال سيادة الدولة .

وعقد التأمين وإن اعتبر صحيحا لأنه يعتمد على دراسات اجتماعية دقيقة يقل معها احتمال الغرر أو المقامرة ، يظل غير مشروع بالنسبة للعوض المدفوع عند وقوع الضرر ، لأنه من كسب خبيث قائم على الربا .

ومظاهر الحياة الحديثـة التى تجيزها الدول المعـاصرة من مسـارح وتمثيليات وغناء ورقص واختلاط ودور عرض الأفلام ، مهما قيل في تسويغها من الحكومات ، تظل غالبة الضرر ، ومنافية لأخلاقية الشعب الذى ينبغى أن يتربى على الخشونة ومعرفة أسباب وفنون الحرب ، لـدفع مختلف أوجـه الاعتداء التى تتعرض لها الأمة الإسلامية من جميع أعدائها .

ومهما قيل بأن للحاكم تقييد المباح وتقييد الحريات من أجل الصالح العام، لا يجوز له بأية حال تعطيل واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بحجـة الحفاظ على وجود الدولة والدفاع عنها .

وإذا جاز للقاضى الحكم بالظاهر دفعا للحرج ، وقطعا للخصومة وإنهاء النزاع ، فإن حكم القاضى لا يحل الحرام ، ولا يحرم الحلال ، أى أن الاعتبار الديانى يظل سائغ العمل به مع الاعتبار القضائى . وفى ذلك مراعاة لمظهـر سيادة الدولة الداخلية وسيادة الشريعة أيضا ، كل فى نطاقه الخاص به دون تصادم ولا تعارض .

وإجماع الأمة أو التضامن الاجتماعى الـذى يقوم عليه أساس تحديـد السيادة في الاسلام ، والذي يتفق مع أمثل النظريات القانونية فى هذا الشأن

لتقييد سيادة الدولة ، لا يعني الخروج عن سيادة الشريعة ، وانما ينبغي أن يتم اتفاق الجماعة معها ، فللشريعة الحاكمية المطلقة على تصرفات الأفراد والجماعة ، وهي التي تحدد سلفا ما يجوز من تصرفات تتفق مع فكرة التضامن الاجتماعي ، وما يتعارض معها ، وليس الأمر متروكا لمجرد شعور الجماعة أو رد الفعل الحادث في المجتمع للحكم على تصرفات الدولة صحة أو بطلانا .

والخلاصة أن الدولة بمختلف سلطاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية لا تملك بمقتضى خاصية السيادة المتصفة بها الخروج على أحكام الشريعة المقررة في القرآن أو السنة الصحيحة الثابتة ، وإنما هي مقيدة بها ، وعملها قاصر على تنفيذ تلك الأحكام البينة ، وعلى الاجتهاد فيما يطرأ على المجتمع من وقائع وحوادث تتطلب حلا وفقا لمبادىء الشريعة وأحكامها العامة ومقاصدها التشريعية .

وأما الأسباب التي تجعلنا نصبر على تقييد سيادة الدولة بالقيود التي فرضتها الشريعة ذات السيادة الحقيقية والخلود ، فهي كثيرة متنوعة منها :

١ ـ إقامة التشريعات التنظيمية الصادرة من الدولة على أساس متين من الأخلاق والعقيدة والعدل والحق والمساواة بين الأفراد ، وبين الحاكمين والمحكومين على السواء .

٢ ـ تحقيق وحدة التشريع بين دول الإسلام أو أقاليمه ، والوحدة التشريعية التي يحلم بها رجال القانون والتي هي أساس الوحدة السياسية والاقتصادية لا يتوصل إليها بغير طريق شريعة الإسلام السماوية الأصل .

٣ ـ الاطمئنان الى سلامة المنطلقات التشريعية والثقة بواضعيها ، والمبادرة الى تنفيذها باعتقاد ذاتي ورقابة شخصية .

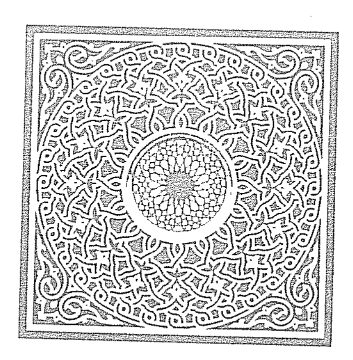
٤ ـ نشدان الكمال وتجنب أوجه النقص والعجز والقصور التي قد نجدها في القوانين الوضعية .

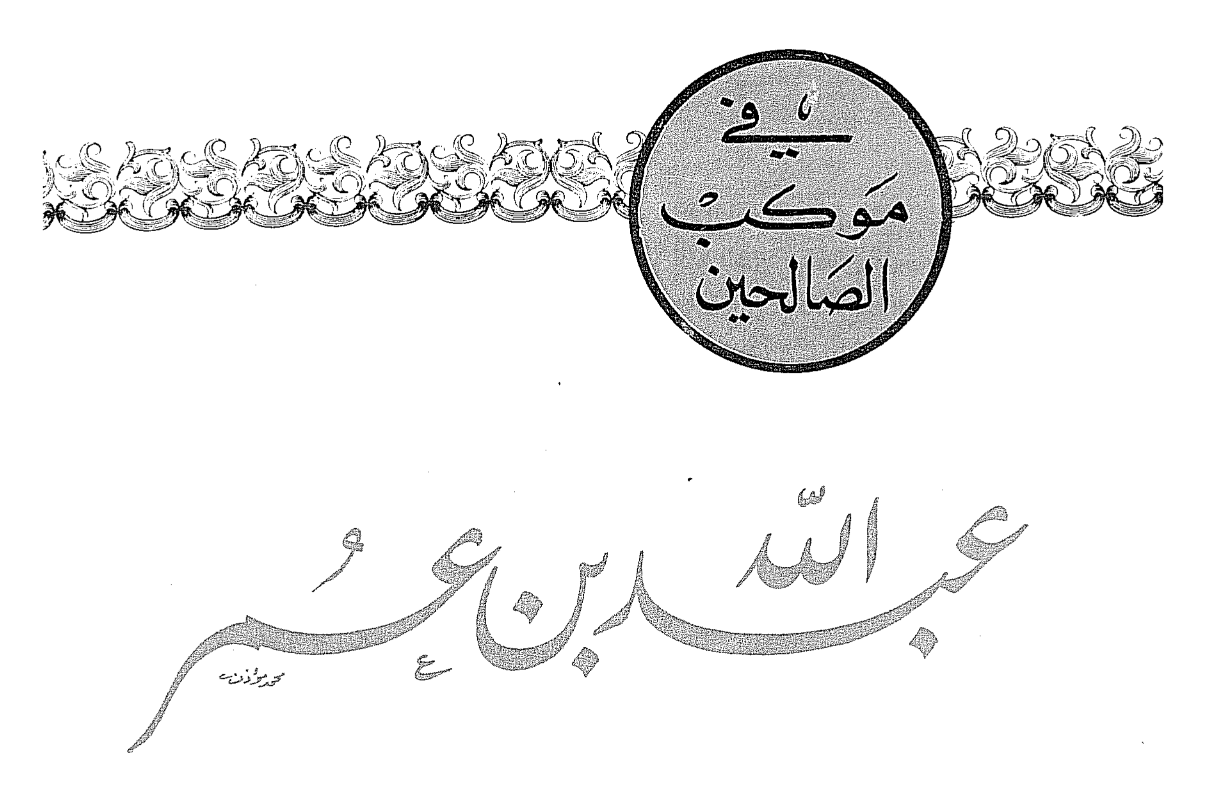
٥ ـ شمول نواحي الحياة السلبية والإيجابية من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، حتى تسير الحياة سيرا صحيحا غير متعثر ، ويتم بعدها تحقيق المجتمع الفاضل . وذلك بعكس ما تقتصر عليه القوانين الوضعية من معالجة العلاقات الاجتماعية القائمة ومحاولة إقرارها ، وإن خالفت مبادىء الدين والأخلاق .

٦ ــ وفوق كل ذلك الفوز برضا الإله وبنعيم الآخرة ، وضرورة الشعور بمراقبة الله فى كل تصرف ، وخوفا من عقاب الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، وإن تم الإفلات من العقوبات الدنيوية المادية التى تمارس تنفيذها السلطات القضائية وأعوانها من رجال السلطة التنفيذية .

٧ ــ تحقيق الاستقرار التشريعى فى أصول الحياة ، ومراعاة واقع التطور والتبدل الحادث فى مصالح الناس وتهيئة كل عوامل التقدم والرقى ، ونبذ كل أوجه العجز والتخلف والركود ، إذ أن مرجع كل ما مر بالمسلمين من انحطاط وانهزام آفته الجهل بمعانى أحكام الشريعة الحقة ، ثم محاولة إلصاق الاتهام ظلما بأنها سبب هذا التخلف ، ليتم فعلا ايجاد الهوة السحيقة والفجوة البعيدة بين المسلمين ومصدر تقدمهم الفعال ، والدافع الى الحركية الدائمة التى تلحقهم بمن سبقهم الى النهضة أو تفوقهم أحيانا .

ونكرر أخيرا ما يقوله علماء الإسلام : إن على الدول الاسلامية أن تعود الى التزام شرعة الله دستورا ونظاما وقانونا وحياة اجتماعية ، فهو الشرط الأساسى والسلاح المعنوى الذى ينقصهم فى حروبهم المستمرة مع الأعداء ، فقد خاضت الدول العربية حروبا أربعة مع اسرائيل ولم يحققوا نصرا بسبب فقدانهم شرط النصر المطلوب منهم ، وإن فقده عدوهم ، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم .





للأستاذ محمد شوكت التوني

شجرة مباركة كانت بعض جذورها مباركة فى الجاهلية وسمق من جذعها أصل ثابت كان دعامة من الدعامات التى قامت عليها رسالة الاسلام حتى ليقال بحق إن سيدنا عمر بن الخطاب كان جزءا من الرسالة المحمدية .

انها عائلة الخطاب بن نفيل التى طابت نبتا وعظمت فروعا وصوح لها عطر ما تزال الاجواء تحمل طيبه وتتحدث عنه الاقلام والالسن ولهم فى الجنة غرفات ومقاعد صدق واكرام عند مليك مقتدر « ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .

كان الخطاب رجلا مهابا موهوبا فى الجاهلية ولئن وصفه المؤرخون ، ومنه ما أجروه على لسان سيدنا عمر من أنه كان فظا غليظا الا أن المفكر اليوم ليجزم أن صفاتا حميدة كثيرة قد انتقلت من صلبه فى دم أولاده وأحفاده وحفظت الصفات الحميدة الطيبة التى كانت من عناصر السمو الانسانى والتفوق البشرى . واهم هذه الصفات هى الشدة فى الحق حين دخل الايمان فى قلوبهم والعنف حين كانوا على جاهليتهم ، والطيبة التى جعلت منهم البكائين الرحماء . فان ما أثر عن سيدنا عمر من قوة حزم وشدة فى الحق وتمسك بأوامر الله وفناء لا نظير له فى اقامة ميزان العدل حتى لقد قتل ولديه عبد



الرحمن قطعا وعبيدالله فى رواية كما سنلمح من بعد لأقل بكثير عن مواقف خشوعه وجزعه ورحمة قلبه ، حتى لتسيل دموعه من الاشفاق على نفسه من مظنة جور أو على الناس من وطأة الفقر أو الجوع أو الظلم . والذى بدا من بعد فى عبد الله عمر وظل يتسرب من جيل لبطن حتى أنار وأضاء من شجرة مباركة زيتونة تضىء بنور الله فى قلب عمر بن عبدالعزيز سبط أمير المؤمنين سيدنا عمر .

ان هذه الشجرة الطيبة الميمونة فيها من الغصون اليانعة التى آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا ما من شأنه وعظمة قدره أن يزين أى راية وأى دين وأية ملة .

ان منها زيد بن نفيل وهو من أوائل الذين كفروا بالأصنام وآمنوا بالله وكان ذلك فى عهد الجاهلية . وما أدراك ما الجاهلية ظلام وظلم وجهل وعمى وتأخر الى حد عبادة الأصنام وقد كان أحد أربعة أدرك منهم الاسلام ورقة بن نوفل الذى طمأن الرسول الكريم حين نزل عليه الوحى ووعده بمؤازرته .

أما زيد فانه لم يلحق الاسلام ولكنه هاجر من مكة الى الشام وتنصر معرفة بالله وكانت هجرته الى الشام لا هربا من تعذيب أخيه الخطاب بن نفيل ولكن هروبا الى بقاع يعبد فيها الله ويعرف فيها الله ويذكر فيها الله .

وأن قصته مع أخيه الخطاب لتدل على مقدار صلابته فى الحق وقوة احتماله للعذاب فى سبيل العقيدة فقد كان دائم المجاهرة بكفرانه بالاصنام والاوثان ، عازفا عن عبادتها باحثا عن دين قويم ، وكان أخوه الخطاب متحمسا لدين آبائه واجداده متحزبا لعقيدة الكفر ويعتبر أن صبأ أخيه معرة لعائلته وقبيلته فكان دائم الايذاء والتعذيب له ولكن زيدا كان على التصميم والعزم أن لا يعبد الاوثان ولا يؤله الأصنام ولا يقارف الميتة والدم والذبائح التى تذبح عن الأوثان ويقول دائما : « أعبد رب ابراهيم » وقد جاء فى القصص أن زيد بن نفيل كان اذا ما تخلص من عذاب أخيه الخطاب لجأ الى الكعبة وأسند ظهره الى جدارها وهو يقول « يا معشر قريش والذى نفس زيد بن عمر بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيرى » ثم يقول « اللهم لو انى أعلم اى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه » .

ويقول ابن اسحاق أن سيدنا عمر ابن الخطاب وسعيد بن زيد قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أنستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال « نعم . انه ليبعث أمة وحده » .

ثم يجىء الى رحابة صدر الايمان والاسلام زيد بن الخطاب وهو شقيق سيدنا عمر ولكنه كان أسبق منه الى الايمان بالله وبرسوله ورسالته بل انه كان من أوائل الاحاد الذين آمنوا

برسول الله ومن أوائل الذين هاجروا الى المدينة قبل هجرة الرسول اليهـا وبأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم حضر جميع الوقائع مع الرسول وكان من أعمق المسلمين ايمانا وأثبتهم على الحق جنانا ومن أعف الناس لسانا وأصدقهم اخلاصا .

وقد سبق سيدنا عمر من دوحة الخطاب سيدة من أوليات المسلمات هى فاطمة بنت الخطاب أخت سيدنا عمر أسلمت هى وزوجها سعيد بن زيد بن نفيل وكان اسلام سيدنا عمر فى دارهما التى بقى من آثارها ما يستدبره المسلمون كل يوم وهم يهرولون بين الصفا والمروة وهى مبتدأ الصفا .

وفى دار فاطمة سمع سيدنا عمر سورة طه يرتلها العبد المؤمن الصابر الصامد الذى بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة خبـاب بن الأرت ..

ومع سيدنا عمر واسلامه الذى اهتزت له أرجاء مكة وتنادت به رمال الصحراء وريحها وأنواؤها .. وصك آذان قريش واصطكت من هوله فرائص أهل الكفر يسلم ابنه الاكبر عبد الله بن عمر وكان صبيا .

أما الحديث عن سيدنا عمر الذى اعز الله به الاسلام ، وكان تشهده مؤذنا بارتفاع الأذان من صوت بلال قد تعالى إعلاما نورانيا سماويا يعلن أن جاء الحق وزهق الباطل لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، الله اكبر ، الله أكبر .

أما الحديث عن سيدنا عمر الذى يتمثل فيه التطبيق العملى لشريعة الاسلام وعدله والذى كان فى الحق أقسى ما يكون حتى ليصبح مضرب الأمثال وموضع إعجاب القادة والساسة من جميع الأجناس على اختلاف العصور والأجيال .

أما الحديث عن سيدنا عمر الذى خلد باسم العدل وخلد العدل مقترنا باسمه والذى قال فيه رسول ملك الروم القولة التى سارت على الايام كلما قدم عليها الزمان تجلى ضوؤها وبهر نورها تلك قولته « حكمت فعدلت فأمنت ياعمر » ومنها نقش على جبين الحياة أن الحكم لا يرضى الله الا اذا كان عدلا فاذا كان الحاكم عادلا فقد عاش آمنا من غوائل المعتدين وأمن معه المحكومون فان الحياة بلا أمن أشد سعيرا من جهنم فاذا أمن الحاكم وأمنت الرعية فقد حق للحاكم أن ينام فى العراء بلا حراس ولا حجاب فان عين العادل الاعظم تكلؤه وحق للمحكومين أن يمتعوا بنوم لا بغى فيه عليهم ولا عدوان .

أما الحديث عن سيدنا عمر فان الصحائف ولو كانت عدتها بالآلاف ما أحاطت بشمول شخصيته ولقد صنف المصنفون والف العاكفون على التسطير والتحبير وسيكتب الكاتبون وسوف يسطر الكاتبون ويفنى الزمان ولا تزال بقية تقال فى سيدنا عمر .

وانما نحن بصدد الحديث عن ولده عبد الله بن عمر ، ولا شك أنه كان طرازا آخر من دوحة الخطاب . وكان غصنا قويا مخضدا من الشوك صافيا للحق .

لم يكن فيه عنف الخطاب بن نفيل ولكن فيه ايمان زيد الكبير وزيد الصغير وصلابتهما فى الحق . ولم يكن فيه شدة أبيه على نفسه وآله وعلى الناس أجمعين فى تمكين الاسلام ورد المظالم وتحقيق العدالة والحكم بالقسطاس المبين . ولكن كان فيه رحمة قلب أبيه العظيم الذى كان يبكيه صياح طفل جائع . والذى قال معبرا عن شعوره بمسؤوليته كأمير

للمؤمنين فاذا قوله يصير دستورا لكل حاكم ومسؤول عن الرعية « والله لو ضاع عقال بعير فى أرض السواد (أى العراق) لسألنى الله عنه » وقوله : « والله لو عثرت شاة بأرض الفرات لسئلت عن عثرتها يوم القيامة » .

كان عبد الله بن عمر قد بلغ الثامنة من عمره عندما أسلم أبوه فأسلم هو الآخر ولزم باب رسول الله واجتاز عتبات الجامعة الكبرى جامعة محمد عليه السلام فاذا به ينمو والعلم اللدنى يزكو معه فى قلبه وروحه ونفسه وهاجر مع أبيه وهو فى العاشرة من عمره ولزم قرب النبى عليه أزكى الصلاة والسلام وحضر المواقع بعد أحد .

ويروى عن اسلامه واسلام أبيه قال رضى الله عنه (لما أسلم عمر لم تعلم قريش باسلامه فقال أى أهل مكة أنقل للحديث ؟ قيل له جميل بن معمر الحجى فخرج اليه وأنا معه أتبع أثره — ولعله كان يدرى أنه انما يتبع النور ويمشى فى طريق النجاة ويسلك سبيل الفائزين بالجنة ثم يتابع قوله — وكنت غلاما أعقل ما أرى وما أسمع فأتى جميل بن معمر فقال : يا جميل انى أسلمت ، فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام يجر رداءه وتبعه عمر واتبعت أبى حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : « يا معشر قريش » وكانوا فى أنديتهم وسوامرهم حول الكعبة « الا ان عمر بن الخطاب قد صبأ » .

وكان عمر يقول من خلفه بصوت أعلى من صوته :

« كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله » فثاروا عليه فوثب عمر على عتبة بن ربيعة فبرك عليه وجعل يضربه وأدخل اصبعيه فى عينيه فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس عنه فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد الا أخذ شريف من دنا منه حتى أحجم الناس عنه » .

وفى هذه اللحظة ولد عبد الله المسلم المؤمن ودلف الى قربة رسول الله يغترف من علمه وقد فتح الله بصيرته للايمان ومشى نور الايمان بين يديه .

وظل ملازما لسيد الخلق ، والمعلم الاول والآخير يتلقى عنه العلم ويحفظ عنه الحديث وأصدق الاقوال فمن ثبت الثقاة أن عبد الله بن عمر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ألفا وستمائة وثلاثين حديثا ولم يزد عنه فى رواية الحديث الا أبو هريرة وعبد الله بن مسعود .

ومن المسلم بين المحدثين ورواة الحديث ومدونيه وباحثيه ان الحديث اذا انتهى الى عبد الله بن عمر فقد صلح سنده واحتج به .

ولقد وصفه أبو جعفر فيما روى صاحب الطبقات (ابن سعد) انه قال (لم يكن أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أحذر الا يزيد فيه قولا ولا ينقص منه ولا « من عبد الله بن عمر بن الخطاب » .

وظل على حاله من تتبع الدرر المحكمات التى هى من الوحى تنثر من فم الرسول الامين الذى وصفه ربه بأنه « ما ينطق عن الهوى » فاذا أذن الزمان يتلقفها فينثرها بدوره على الخلق وعلى الاجيال حتى يرث الله الارض ومن عليها نورا يهدى الى الحق ويضمن سعادة الدارين ويؤلف بين الخلق ويساوى الناس لا يتفاوتون الا بالتقوى يضمن الحرية والعدل والمساواة والايمان وينهى عن الظلم والعبودية والتعالى والتعاظم ويؤسس على الرحمة والمودة المجتمع فالدول فالانسانية .

وكان من حظ عبد الله عند الخالق ان جعله من خزنة نور النبوة ومن رواة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد قوله وما أوتى من الناس مثل هذا الحظ الا القليل « وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

وبعد أن قبض الرسول ولحق بالرفيق الأعلى لم يتجه عبد الله بن عمر الى أية ناحية من نواحي النشاط السياسى أو الحربى أو الدينى كالفتيا أو القضاء ولم تدفعه نفسه الى اكتساب الرزق عن طريق المتاجرة ، ولكنه آثر أن يعيش مع النبى محمد عليه صلوات الله يضرب فى الارض حيث كانت تطأ قدما محمد عليه السلام وحيث بقى عبير انفاسه المحملة بأطهر النفحات اللدنية المحملة بأنقى العطور الالهية .. كان يرتاد الوديان والبطاح التى شرفت برسول الله الامين ويصلى حيث سار الحبيب ويركع حيث وقف ويسجد حيث رقد وكلما ذكر شجرة استراح تحتها الرسول الكريم وأظله منها ظل وارف وهو المحمى بظل الله موقى من كل شر بأستار العرش وعنايته وكلاءته هام عبد الله فى هذه الشجرة يصلى تحت غصونها وفوق ترابها الذى حال مسكا من أثر الرسول أياما وليالى .

وهو فى بيوت الله وفى سامر المؤمنين يحدث السامعين بأحاديث الرسول وهو لا يعلم وقتئذ انه إنما يسمع القرون والاجيال والآباء وهو كما وصفه أبو جعفر أكثر الناس حرصا على أن لا يزيد أو ينقص من قول سمعه من فم الطاهر المطهر . وانزوى عبد الله فى أيام أبيه فهو لا يبدو نور الكتب والمؤرخين الا حين يكون الورع والجد وتنفيذ شرع الله .

فها هو عمر أمير المؤمنين ومن وهبه الله بسطة من الهيبة حتى لقد كان يفزع منه ومن شدته وبطشه كبراء أهل الشرك ويخافه المؤمنون ــ اخوته فى الله وأحباؤه فى دين الله ــ وهو الذى يدخل على سيد الخلق فاذا امهات المؤمنين يتصايحن طمعا فى لين الرسول الكريم ورحمته وعذوبة شيمه وسجاياه حتى اذا ما ابصرن بعمر امسكن عن الصياح .. فزجرهن وهو يكاد يبطش بهن وهو يصيح : الا تخافن رسول الله وتخشينني ؟ ... والله انها لكبيرة .

وهو المسلم الوحيد الذى جاهر بهجرته عندما اعتزمها متقدما رسول الله وصاحبه الى المدينة فقد خرج متشحا سيفه ورمحه وطاف بالبيت مجاهرا بالهجرة وكانت عند المشركين جريمة يقتص من صاحبها فما نبت شفة ولا رفعت يد باشارة استنكار الا رفعها بسيف أو رمح .

ها هو عمر وهذا حاله الذى عرفه عنه القاصى والدانى منذ فجر الاسلام الى يوم الدينونة يقف فى المسجد خطيبا فيعترضه أعرابى وهو يقول : « مالك علينا طاعة يا عمر » .

ويفزع عمر من قولة الاعرابى الأشعث الأغبر الذى لا حول له ولا طول الا خشية الله ويسأله عما جعله يخلع عنه طاعة أمير المؤمنين فيرد عليه الأعرابى بشجاعة المسلم المؤمن الذى لا يخاف الا الله والذى يواجه بقوله الحق أمير المؤمنين وهو يوقن « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار » .

« لقد أعطيت كلا منا ثوبا وجعلت لنفسك ثوبين » .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يضع على جسده الكريم الذى بشر بالجنة وطوق بورودها ورياضها وزحزح من أول يوم فى اسلامه عن النار ولهبها ولظاها المستعر ــ كان سيدنا عمر بالفعل يضع ثوبين .

وكان يكفى أن ينطق سيدنا عمر بكلمة فيصدقه الخلق جميعا فما عهد

الناس فيه الا الصدق وشجاعة الرأى ولكنه أشهد على نفسه فنادى عبد الله بن عمر وهو يصيح :

« تكلم يا عبد الله بن عمر »

وقام عبد الله الورع التقى وهو مشفق من حال أبيه والاعرابى يسائله عن النصفة والعدل يقول :

« لقد رأيت القميص الذى ناله أبى قصيرا فأعطيته قميصى يسبل عليه » .

وصمت عبد الله لكى يتحدث التاريخ فلا يسمع فى علو صوت التاريخ قولة الاعرابى :

« الآن وجبت علينا طاعتك »

نعم لقد رأى الابن المطيع الشفوق اباه أمير المؤمنين وقد وقع فى نصيبه — دون انتقاء ولا اختيار — قميص قصير يشمر عن ساقيه ولا يكاد يغطى ركبتيه فلم يعجب من زهد أبيه وعدله فانه قد ربى فى حجر الرسول أمين العدل والزهد وسيد العادلين الزاهدين ولكنه ارتجف اشفاقا من حال أبيه وهو يرأس القوم ويقابل رسل الملوك والاباطرة فضحى من اجله بثوبه .

وتغفو عين التاريخ عن عبد الله ثم ترفع جفونها عنه وقد رأى سيدنا عمر أن أمير مصر سيدنا عمرو ابن العاص قد جامله فى حق الله فاصطنع الحد على ابنه عبد الرحمن ابن عمر حين اعترف له بشرب الخمر فسخط على سيدنا عمرو وبعث يستقدم ابنه على قتب أى مقيد على راحلة ولم يأتمن على تنفيذ أمره الا عبد الله بن عمر فأرسله برسالته واستقدمه بأخيه وبقدر ما عانى امير المؤمنين من اشفاق على ابنه وهو يقيم عليه الحد والناس يتصايحون من حوله « انك يا عمر تقيم عليه حدين » وهو يصيح فيهم « ومن يجيرنى من عقاب الله » قاسى عبد الله وهو يعود — بأخيه من مصر الى أرض الحجاز مقيدا موثوق القدمين وموثوق النفس عن الضراعة والتشفع وأخوه الاكبر العطوف الرقيق لا يفكر فى مخالفة الأمر لا أمر أبيه ولكن أمر الله بالحد . وهو لا يخشى أمير المؤمنين وانما يخشى الله ، ولكنه لا جدال قد اصطرع حسه وشعوره مع يقينه على طول الطريق .

ثم تبطىء انباؤه عن التاريخ حتى يظهر عند فاجعة مصرع أبيه العظيم وقد ناله مجوسى بطعنات قاتلات واذا بعبد الله فى جوار الجريح العادل الخالد يأمره بما يصنع به وبقاتله وبالناس فيطيع وينفذ وهو أرضى ما يكون نفسا بقضاء الله وأهدأ ما يكون جنانا بقدر الله شره كخيره بينما ثار أخوه عبيد الله بن عمر وسار فى المدينة يقتل فى الاغراب من الفرس والمجوس فقتل الهرمزان وجفنية وابنة صغيرة لأبى لؤلؤة ولولا أن اجتمع عليه المهاجرون والانصار لفتك بهم فتكا ذريعا .

أما عبد الله فقد لازم اباه يستحضر له المداوين والدواء ثم يسأله سيدنا عمر عن الكتفة التى كتب فيها اجتهاده فى توريث الجد ليمحو ما كتب ويسارع اليه بها .

ثم اذا جاء موعد الشورى وقد استخلص أمير المؤمنين ستة من صحابة الرسول وهناك رواية تروى عن رفض سيدنا عمر أن يجعل بينهم عبد الله وهناك رواية تروى أن عبد الله قد رفض الخلافة بعد أبيه وكلا الروايتين تدلان على مقدار عظمة عبد الله ونظرة المسلمين له حتى يرغب بعضهم فى استخلافه وحده أو كواحد من ستة ولكن المقطوع به أن سيدنا عمر لكى يطمئن على حسن سير الشورى بين الستة الكبار الصالحين أمر أن يدخل معهم عبدالله ولا يكون له فيها إلا حق الرأى

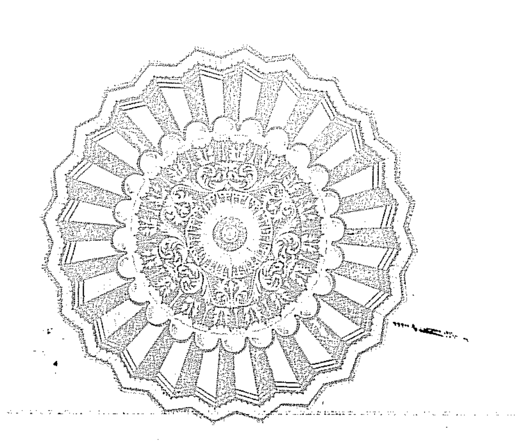
وليس له الترشيح .
وعندما تاقت نفس الراحل العظيم إلى أن يدفن بجوار سيده وسيد خلق الله وجوار صديقه وصديق النبي وصديق المسلمين حتى تقوم الساعة بعث بعبد الله الى أم المؤمنين السيدة عائشة وجاء بردها الى أبيه مبشرا .

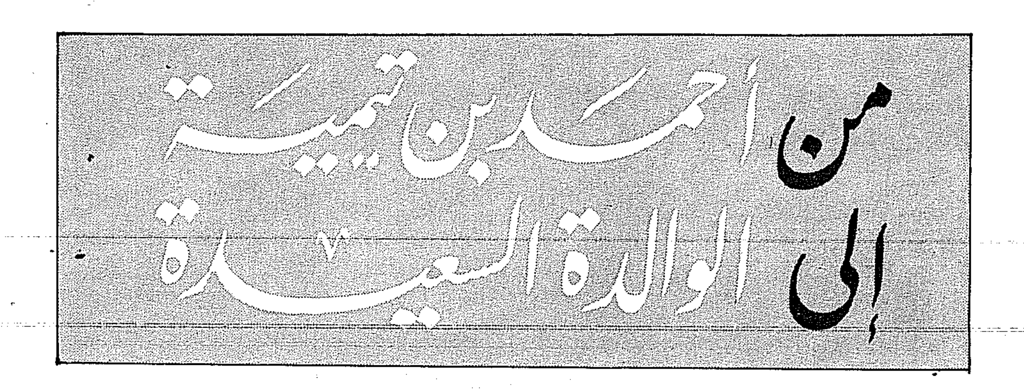
والقى إليه القول عندما أراد أمير المؤمنين أن يستن للموتى فقال له موصيا (اقصدوا فى كفنى فانه ان يكن لى عند الله خير ابدلنى خيرا منه وان كنت على غير ذلك سلبنى فأسرع سلبى واقصدوا فى حفرتى ولا تخرجن معى امرأة ولا تزكونى بما ليس فى فان الله هو أعلم بى واذا خرجتم بى فاسرعوا فى المشى فانه ان يكن لى عندالله خير قدمتمونى الى ما هو خير لى وان كنت على غير ذلك كنتم قد القيتم عن رقابكم شرا تحملونه » .
وكان عبد الله يوسد رأس ابيه فخذه فقال له سيدنا عمر « ضع خدى على الأرض ... ويلى وويل أمى ان لم يغفر الله لى » .

. . . .

هذا هو عبد الله بن عمر واحد من دوحة الخطاب التى شرفت بعمر وبحفصة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وزيد بن الخطاب وفاطمة بنت الخطاب ثم سار عنصرها الطيب فأخرج بعد حين خامس الخلفاء الراشدين « عمر بن عبد العزيز » .

لقد أسدلت عظمة سيدنا عمر سترا ان لم يكن كثيفا فهو ثقيل على آل الخطاب وانهم لسادة وقدوة ومصابيح هدى ... رضى الله عنهم وأرضاهم ونفعنا ببركاتهم — آمين .





(كان الإمام ابن تيمية سجينا في مصر وقد أرسل الى والدته فى الشام هذه الرسالة

(من احمد بن تيمية الى الوالدة السعيدة اقر الله عينها بنعمه ، وأسبغ عليها جزيل كرمه ، وجعلها من خيار إمائه وخدمه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته — فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله الا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شىء قدير . ونسأله أن يصلى على خاتم النبيين وامام المتقين ، محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما .

كتابى اليكم عن نعم من الله عظيمة ، ومنن كريمة ، وآلاء جسيمة ، نشكر الله عليها ونسأله المزيد من فضله . ونعم الله كلما جاءت فى نمو وازدياد ، وأياديه جلت عن التعداد . وتعلمون أن مقامنا الساعة فى هذه البلاد إنما هو لأمور ضرورية متى اهملناها فسد علينا امر الدين والدنيا . ولسنا والله مختارين للبعد عنكم ، ولو حملتنا الطيور لسرنا اليكم ، ولكن الغائب عذره معه ، وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور فانكم — ولله الحمد — ما تختارون الساعة الا ذلك ، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا ، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم، وادعو لنا بالخيرة . فنسأل الله العظيم أن يخير لنا ولكم وللمسلمين ما فيه الخيرة فى خير وعافية .

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة والهداية والبركة ما لم يكن يخطر بالبال ولا يدور فى الخيال ، ونحن فى كل وقت مهمومون بالسفر ، مستخيرون الله سبحانه وتعالى ، فلا يظن الظان انا نؤثر على قربكم شيئا من أمور الدنيا قط ، بل ولا نؤثرمن أمور الدين ما يكون قربكم أرجح منه ، ولكن ثم أمور كبار نخاف للضرر الخاص والعام من إهمالها ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب .

والمطلوب كثرة الدعاء بالخيرة ، فان الله يعلم ولا نعلم ، ويقدر ولا نقدر ، وهو علام الغيوب . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (من سعادة ابن آدم استخارته الله ورضاه بما يقسم الله له ، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما يقسم الله له) ، والتاجر يكون مسافرا فيخاف ضياع بعض ماله فيحتاج ان يقيم حتى يستوفيه . وما نحن فيه أمر يجل عن الوصف ولا حول ولا قوة الا بالله ، والسلام عليكم ورحمةالله وبركاته كثيرا كثيرا ، وعلى سائر من البيت من الكبار والصغار ، وسائر الجيران والأهل والأصحاب واحدا واحدا ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

مائدة القارئ

((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين))
(قرآن كريم)

(من أعطى الذلة من نفسه طائعاغير مكره فليس منا) .

رواه الطبراني

فلسطين صح
الشرق الأوسط خطا

حرص أعداء العرب ، على طمس اسم فلسطين فى كل ما ينشر ويذاع ، ويكتب ويقرأ ، وهـدتهم حيلتهم الشيطانية ، الى تسمية هذه المشكلة التعسة باسم مشكلة الشرق الأوسط فتجرعنا سمومهم ، برضا نفس ، وطواعية فاختفى اسم فلسطين من الخطب الرنانة والاذاعات التى تصابح الناس وتماسيهم فى حين بقيت جميع مشكلات العالم باسمها ، فيتنام ، وحربها تسمى فيتنام ، ومشكلة برلين تسمى باسمها ، ومشكلة أرلندا تسمى باسمها ، حتى مشكلة ايسلندا والصراع على السمك حملت اسم الدولة الصغيرة التى تكافح من أجل رزقها ورزق أولادها .

العمل سر الحياة

حكى احد العلماء عن نفسه قال : كنت مغرما فى طفولتى بجمع شرانق الفراش ومراقبة خروج الفراشة منها فى الربيع ، وكان جهادها فى التخلص من سجنها يثير عطفى دائما ، واتى والدى بمقص واعمله فى غلاف الحرير المطبق على الفراشة وساعدها على الخلاص ، ولكنها ما لبثت قليلا حتى ماتت ، عندئذ قال ابى : يا بنى الجهد الذى تبذله الفراشة لتخرج من الشرنقة يخرج السم من جسمها ، واذا لم يخرج هذا السم ماتت الفراشة .

وكذلك الناس اذا جهدوا فى الحياة زادوا قوة وعزما .

وشهد شاهد

وراء كل حجر ثعبان يهودى .
تحت كل شجرة دودة يهودية .
وراء كل طريق عود كبريت يهودى
وراء كل مرض ميكروب يهودى
انهم المرض والدمار لكل البشرية .

الفيلسوف الالمانى
تريتشكه

الأنبياء والرسـل

فى القرآن الكريم

ذكر الله عز وجل فى كتابه طائفة من الأنبياء ، ولم يذكر جميع الأنبياء والمرسلين . قال تعالى : « ورسلا قد قصصنا عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » .

وهؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم الله فى كتابه خمسة وعشرون نبيا : منهم ثمانية عشر فى أربع آيات متتالية من سورة الأنعام وهى قوله تعالى : « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء أن ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » .

والسبعة الآخرون هم آدم وادريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين .

حقوق المرأة

جاءت اسماء بنت يزيد الانصارية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت :

بأبى أنت وأمى يا رسول الله . أنا وافدة النساء اليك . ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبالهك . انا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وافضل ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم اموالكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم افنشاركم فى هذا الأجر والخير ؟

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه كله ثم قال :

هل سمعتم مسألة امرأة قط احسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه ؟

فقالوا : يا رسول الله .. ما ظننا أن امرأة تهتدى الى مثل هذا .

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم اليها فقال لها :

افهمى أيتها المرأة ، واعلمى من خلفك من النساء ، أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله .

قصة

الركب

للأستاذ
محمد المجذوب

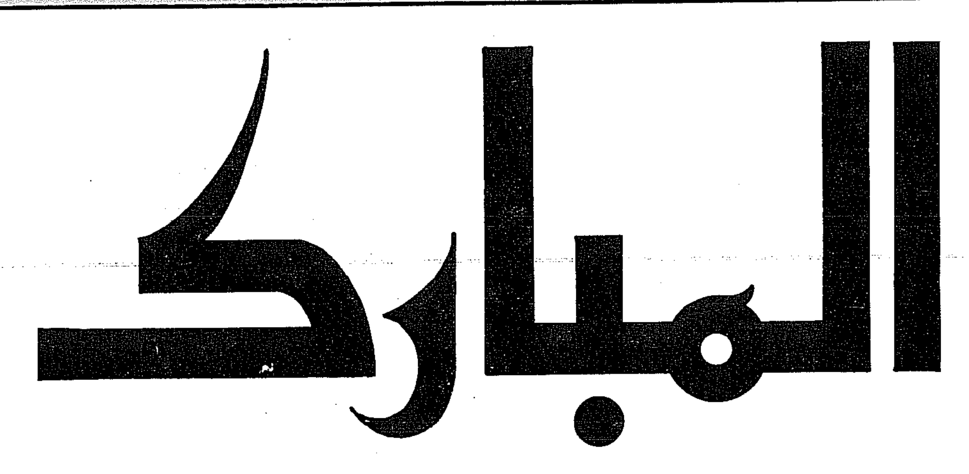
كان ابو سفيان بن مالك بن جعشم على ثقة من أنه في الطريق الذى وصف له ، فهو يتلفت يمنة ويسرة ، ويصعد بصره ويصوبه ، ويرسله بعيدا في ثنايا الغبار ، والذى تقذف به الصحراء من خلال الجبال الذاهبة الى الاعالى في حركة شبه لولبية ، وحينا ينحدر عن فرسه الكميت في رشاقة النمر ، لينعم النظر في آثار المناسم التى طبعتها الابل على صفحة الرمل .. كأنه يستنطقها عن ضالة وقف نفسه على نشدانها ، ثم لا يلبث أن يقفز الى قربوسه مستأنفا مسيرته اللغوب ..

ويغيب الفارس الاسمر أثناء ذلك في تصورات غير محدودة تشد بخياله الى آفاق لا يرغب في فراقها ، ولا

يريد أن ييأس من ملاقاتها على صعيد الواقع .. أنه ليردد على نفسه خبر الجائزة الكبرى التى اعلنتها قريش لكل من يرد عليها غريمها وصديقه حيين أو ميتين .. مئتى ناقة .. أجل مئتى ناقة . وانها لثروة تتجاوز نطاق الاحلام فى هذه البادية التى تكاد تكون عارية ، آلا قليلا من طوائف النخيل منثورة هنا وهناك تخضر حينا وتيبس أحيانا ، والا نتفا موزعة خلال الاودية- من أشجار الضال والسلم ، تنتابها غرائب الابل ، وهزالى المعزى ، تتغذى من اطرافها أو تستظل بها فى حمارة القيظ المحرق مع رعاياتها من الصبيان والصبيات ، على مشارف الاحياء العابرة ، أو القريات المستقرة .. ويالها ثروة لن تكلفه — اذا قدرت له — سوى اليسير من الجهد ، الذى هو أبدا على أتم الاهبة للقيام باضعافه فى الاغارات القبلية ، التى لا تخلو منها أيام الناس ولياليهم فى هذه الصحراء الرهيبة ..

وأنه ليتذكر ، وهو يطلق بصره الحاد فى ثنايا العجاج ، ويشد جانب خماره على نصف وجهه الاسفل ، ليقى فمه وأنفه دفقات الغبار .. يتذكر تلك اللحظة التى وافى بها نسيبه الدلجى نادى قومه بكرة اليوم، ليقص عليهم خبر الركب الذى لمحه فى هذه البقعة من أرجاء (قديد) متوقعا أن يكونا هم الضالة التى تنشدها قريش . ويعز على ابن مالك أن يشركه بهذه الغنيمة أحد ، بعد أن قضى الأيام ، وهو يتنسم أخبارها ... فيومىء لابن عمه بعينيه أن اسكت ، ثم عقب على خبره بقوله : إنما هم بنو فلان يبتغون ضائعة لهم .. ثم لم يكد يطمئن الى انصراف أذهان الحضور عن بغيته حتى نهض متثائبا ليمضى الى سرادقه ، فيامر بسلاحه فيخرج له من مؤخر حجرته ، ثم يلبس عدة القتال وياخذ سهامه التى يستنبئها عن الغيب ، فيستقسم بها يريد استطلاع حظه قبل الانطلاق .. ولكن الطالع لم يكن على ما يريد ، اذ خرج له السهم الذى لا يبشر بالنجاح .. وكان عليه أن يعدل عن خطته لو أطاع أعراف الناس ، ولكن الشره الى النياق قد حفزه على خلافها ... ومن أجل ذلك يواصل سبيله مغذا المسير ، لا يلوى على شواغله القلبية التى لا تنفك تهيب به أن يعود ..

وفجاة عثر الكميت بفارسه الأسمر ، فلم يستطع التماسك فوقه ، فاذا هو ينزلق من على رقبته فيكاد



يكب على وجهه ، لولا دفعه الأرض بيديه .. وعاد الى قداحه يستوضحها السر ، فاذا السهم الزاجر نفسه يواجه عينيه بما يكره .. ومع ذلك لم يجد لديه القدرة على استجابته ، وألفى نفسه عائدا الى صهوة فرسه هامزا إياه ، يريد منه مزيدا من السير يشغله عن أوامر السهم الزاجر ..

بيد أنه سرعان ما عوجل بعثرة ثانية قذفت به الى الثرى بأشد من المرة السابقة . وراح يغالط نفسه ، ويحاول اقناعها بكل تفسير يصرفها عن الواقع . وفي عفوية صرفة تمتد يده الى جراب القداح ، فيخرجها ثم يستخرج أحدها ، فاذا هو هو ذلك النذير الكريه !. ويرد القدح الى مكانه ثم يعلو متن فرسه ويهمز جانبيه بعصبية ، فيندفع على وجهه مهتديا بظل الرمح المحتد بين أذنيه ، وهو يضرب الحصى بحوافره فتتطاير في كل اتجاه ، ويرسل الزفير من منخريه الواسعين ، يحمل هدير جوفه كضوضاء القربة الكبيرة حين يضطرب بها ظهر البعير ..

ويستأنف الفارس الأسمر تصوراته دون ارادة منه .. ويكاد يذهل عما حوله .. وبغتة يرى نفسه غارقا في شأن الرجل الذي هو في طلبه .. ويسأل نفسه : أليست مغامرة جنونية أن أتبعهم وحدي ، وكان في وسعي أن أستعين ببضعة رجال من خاصة أهلي !؟ حقا .. ان مثلي لا يبالي كثرة العدو ، ولكن .. هؤلاء المهاجرون وطنهم وأهليهم نجاة بأنفسهم وحريتهم ليسوا كأولئك الذين نلقاهم في غزواتنا الأخرى .. انهم أبعد من أن يستسلموا دون قتال تشيب من هوله نواصي الأطفال .. وتتفتق ذاكرته عن روائع الأنباء التي تتناقلها البادية عن محمد وصحبه .. هذا القرشي المطارد .. أليس هو صفوة قريش كلها .. فلِمَ يغادرُ مكة فرارا من إيذائها ؟؟ ان ألسنة الرواة لتجمع على أن الرجل أعجوبة البشر في سمو الأخلاق ، وفي صدق المعاملة .. وفي التزام جانب البر .. فعلام كل هذا التنكر له .. وفيم يستبيح قومه العدوان عليه ؟. ويتذكر بدقة ما يقوله أولئك الرواة من البدو المترددين على مكة .. انهم يؤكدون فضائله ، ويلحون على التنويه بمناقبه التي لا يملك أعداؤه جحودا لها ، حتى ليسمونه فيما بينهم الصادق والأمين .. وكل ذنبه أنه يدعوهم الى مثل فضائله ، فلا يعدو قوي على ضعيف ، ولا يطغى غني على فقير . وأنهم ليسمعون بعض هذا في مواعظ أولئك الحنفاء ، الذين هجروا تقاليد الجاهلية ، وراحوا يضربون في الأرض بحثا عن ملة ابراهيم ، فلا يناكرونهم ، ولا يتنكرون لهم ، بل يصغون اليهم في أناة وتقدير .. فلم يخصون هذا القريشي وحده بالجفاء والعنف والمطاردة والايذاء ؟..

ويرجع الفكر في آخر ما تلقاه عن دعوة الرجل .. فيتذكر أنه يدعو الى دين من شأنه — لو استجيب له — أن يغير حياة قريش ، بل حياة الناس كلهم في هذه الجزيرة .. دين يسفه أحلامهم ، ويحطم أوثانهم ، ويهبط بصناديد قريش وذوائب مضر الى مستوى عبدانهم ، حتى لا يرتفع أحد على آخر الا بقدر التزامه لمعالم هذا الدين .. وليس هذا فحسب .. بل انه ليجتذب اليه الانصار من كل ضعيف ومظلوم وذي تطلع الى تغيير الواقع الجاهلي ، فيتفانون في حبه ، ويعرِّضون نحورهم لكل ألوان العذاب في طاعته .. حتى أن أحدهم — رجلا أو امرأة — ليتقبل الموت مبتسما ما دام ذلك مؤديا الى مرضاته ..

أفيكون ذلك هو السبب المباشر لكل هذا العداء الرهيب !.. وخيل للفارس الأسمر أنه قد وجد في هذا التعليل ما تسوّغ به قريش مطاردتها لصاحبها ، وتصميمها على وقف دعوته ، ما دام هذا هو السبيل الوحيدة لاستبقاء سيادتهم على المجتمع المكي ، والحفاظ على مصالحهم التي تهددها دعوة محمد !. غير أنه لم يلبث أن هز رأسه بقوة ، كأنما يريد أن يطرد منه ذلك الضرب من التفكير الذي لم يزاول مثله من قبل .. وراح يهمس لنفسه : مالي وللتنقيب عن أسرار الناس .. وحسبي من الأمر هذه الثروة الكبيرة التي رصدتها قريش تمناً لغريمها .. انها مئتا ناقة ... مئتا ناقة !.. وانها لتستحق مني القيام بأكثر من هذه المغامرة ..

ودق جانبي الفرس بمؤخر قدميه ، فراح يسبح فوق الرمل بأقصى ما تمكّن له طبيعة الأرض الهشة من الإسراع .. وفي الوقت نفسه تحرك عدد من الزوابع الترابية ، متجها الى الاعالي وهو يلملم الحصى والهشيم وفتات السلم ، ليقذفها بوجهه ووجه فرسه ...

وتتتالى صفعات الزوابع على محيا الفارس شديدة مدوية دون أن يستطيع اتقاءها بغير هذا اللثام الذي أحاط به وجهه وغطى ببعضه احدى عينيه ، اللتين شحنتا بالأتربة .. ثم لم يلبث أن جمد بفرسه مضطرا ، وهبط عنه ليلوذ بجانبه ريثما تهدأ العواصف ...

وفرك مقلتيه مليا ، ثم أطلق بصره يتبين موضعه ، فاذا هو براحلتين يرفعهما السراب في أقصى الشعاب وقد علاهما عدد من الشخوص لم يستطع احصاءهم أول الأمر ، ثم اتضح له أنهم أربعة رجال .. فلم يتردد في الحكم بأنهم مطلوبه الذي خرج له . وبأقصى قوته تسلق متن الفرس ، وجعل يخزه ليضاعف من قدرة انطلاقه .. وما هي الا لحظات حتى كان على مرمى السهم من الركب، وقد أمسك برمحه يهزه ليستوثق من صلاحيته ، وأعد نفسه لكل احتمال .. غير أنه سرعان ما وجد نفسه مطروحا على وجهه ، اذ ذهبت يدا فرسه في الأرض ، ثم ما لبث أن انتزعهما بعد لأي ، فاذا الغبار يتصاعد وراءهما كأنه سحابة من الدخان يضربها الأعصار ...

ولبث أبو سفيان هنيهة ينفض وجهه ويديه وثيابه ، ويتلمس جسمه كأنه يبغي التيقن من سلامته .. ثم أطرق يفكر ..

لم يمد يده هذه المرة الى جراب الأزلام ، لأنه فرغ من الحاجة اليها ، وخمدت سورة المطامع في صدره ، فلم يعد راغبا في التطلع نحوها .. لقد رجع الى نفسه يتأمل ويتمتم : حتام تغالب يا سراقة القدر !.. ألم يكن لك أن تدرك أن الرجل محفوظ .. وألا سبيل لبشر عليه ! ..

وفي استسلام عميق الى الواقع جعل ينادي : أنا سراقة بن جعشم . انظروني أكلمكم ، فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه ..

ويقف الركب ، ويسمع سراقة صوت أحدهم يقول لرفيق له على الراحلة الأخرى ، دون أن يصرف نظره عن وجهته : قل له : وما تبغي منا ؟..

ولم تخطىء فراسة الفارس المدلجي ، اذ أدرك لفوره أنه أمام

الرجل الذى ملأ نبؤه العظيم أرجاء هذه الجزيرة ، وانتشر فتاكها ينفضون هذه البقاع بحثا عن آثاره .. وشعر بقوة خفية لاذة تشده الى صاحب ذلك الصوت ، الذى حرك كل طاقة حية من عقله وقلبه ، ومد بصره الى وجهه ، يريد أن يستشف الأسرار التى بها استطاع أن يزلزل كبرياء قريش ، فيدفعها الى التذرع بكل الوسائل الممكنة للقضاء عليه ، ولوقف تأثيره العجيب على القلوب .. وكأن مهابة محمد قد كسرت بصره فلم يطق مواجهتها ، ومضى يتكلم وهو نصف مطرق : أن قومك قد جعلوا فى كل منك ومن رفيقك مئة ناقة لمن يردكما عليها .. وقد انبعثت ذئاب البادية تنشد أثركما فى كل مكان رغبة فى نوال الديتين .. ولكنى أيقنت أن الله مانعك وناصرك ، فلكم على أن أحفظ غيبكم وأرد عنكم الطلب .. وأن أزودكم بما يعوزكم فى هذه الرحلة ، فاكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك .. ومرنى بما شئت.

وسر رسول الله بما سمع من سراقة فدعا له بخير ، ولم يرزأه شيئا ، والتفت الى صديقه يقول : اكتب له يا أبا بكر ..

وتناول الفارس المدلجى المعظم المكتوب بكلتا يديه ، وفى حرص كبير دسه فى أعماق كنانته ، ثم عاد أدراجه ليكف الطلب عن الركب ، فلا يلقى باغيا له الا رده قائلا : لقد كفيتكم هذا الجانب ، فانشدوا غرضكم فى سواه .

ويتذكر سراقة طاغوت مكة أبا الحكم ابن هشام وهو يحرضه على ملاحقة محمد .. ثم يتصوره وهو يتلقاه باللوم على تهاونه فى شأنه بعد لقائه ، فلا يتمالك أن يرد على لومه من وراء الصحراء بذلك الحداء ، الذى ما لبث أن مازج نفس فرسه فراح يتراقص تحته فى نشاط يترجم عن مشاركة عاطفية لا يعرف كيف يصفها :

أبا حكم . والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه !
عليك بكف القوم عنه فاننى
أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم
بأن جميع الناس طرا يسالمه

وتموج البادية بأنباء الأحداث الجديدة ، التى فجرتها دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وتتتبع القبائل أخبار الوقائع التى تكاد تغير وجه الجزيرة وتغير معه حياتهم نفسها بين يوم ويوم ! ..

لقد حققت هذه الدعوة من القوة خلال سنوات ثمان ما لم يخطر فى بال أحد من سكان هذه البادية .. فانتصار فى بدر يستأصل سدنة الوثنية فى مكة بل فى جزيرة العرب كلها ، وصمود فى أحد يحطم آمال الخصوم فى صد السيل الدافق من روافد هذا الدين الذى لا يقهر ، وتضعضع رهيب فى صفوف الأحزاب من قريش وغطفان ، يقضى على كل تفكير بغزو يثرب فى المستقبل ، بعد الاخفاق الذى أصابهم يوم الخندق .. وفوق ذلك تدمير لقوة يهود جميعا لا فى المدينة وحدها فحسب ، بل فى كل بقعة يحتلها هؤلاء الدخلاء فى خيبر ووادى القرى وتيماء ..

وكانت ذروة الأحداث خضوع مكة نفسها لسلطان محمد ، إذ انكسرت بفتحها شوكة كل معارضة لدعوته فى هذه الجزيرة ...

ولقد كانت القبائل ، حتى قبيل فتح مكة ، تتردد متتبعةً حركة الصراع بينها وبين المدينة ، أما الآن ، وقد أعلنت قريش كلها اسلامها وبيعتها لهذا الصادق الأمين ، فلم يبق أمام هذه القبائل سوى الدخول فى ما دخلت فيه قريش ، أو القيام يدا واحدة للدفاع عن بقية الوثنية التى لا تربطهم بها وشيجة سوى تقليد الآباء ، الذين أورثوهم تقديس هذه الحجارة ، دون أن يسمحوا لأنفسهم بالتفكير فى قيمتها ..

ولا جرم أن اتفاق القبائل فى ما بينها على حماية الوثنية أحد المحالات التى لا سبيل الى تصورها فضلا عن تحققها .. فلم يبق الا الطريق الأول .. وهو الذى قد شرع فى سلوكه الكثير من وفود القبائل .. واذا كان ذلك هو الاتجاه السليم بالنسبة الى كل أولئك المتربصين فى هذه البادية ، فهو بالنسبة الى سراقة ابن جعشم أكثر سلامة وأحكم خطة ... لأنه قد أتيح له أن يرى ويلمس من براهين الله فى ذلك الداعى الأمين ما لم يقيض لغيره .. ومع ذلك فقد انتظر أكثر مما يجب أن ينتظر ، وتحقق من الأحداث خلال هذا الانتظار أكثر مما كان يتوقع .. فإلام هذا التردد .. والى متى يمتد هذا الانتظار ؟ ..

ويرف الشعور القديم فى قلب سراقة .. فتعاوده أطياف اللحظات السعيدة ، التى عاشها ساعة واجه الركب المبارك فى أطراف (قديد) ويتذكر ما لم يكن قد نسيه قط من روعة ذلك الموقف ، وكانه يلمح من جديد تلك الطلعة المشرقة ويسبح كرة أخرى فى جو تلك المهابة التى لا يثبت أمامها القلب ولا البصر ...

وكأن يدا خفية انتزعته من فراشه ثم دفعته دفعا الى متاعه وفرسه ، ثم مضت به تسوقه فى رضى عميق نحو الجهة التى يشير اليها قلبه ، الذى كان يخفق بقوة تحت كنانته الأثيرة ..
وبعد أيام من السير الذى كاد أن يتصل ، وافى سراقة كتائب المصطفى فى صعيد (الجعرانة) وهى عائدة بالنصر من معركة (حنين) ..

واستل الفارس المدلجى من كنانته ذلك الكتف الذى طالما حرص عليه ، ورفع به يده ، ثم مضى يشق سبيله خلال كتيبة من خيل الانصار .
ويتلقى سراقة قوارع الرماح من هنا وهنا ، وينهال عليه الزجر والسؤال : اليك .. اليك .. ماذا تريد ؟!. ولكنه يصبر نفسه ، ويواصل خطاه حتى يقابل نبى الله وهو يقول : يا رسول الله .. أنا سراقة بن جعشم .. وهذا كتابك لى ...

ويقبل نبى الله بوجهه على سراقة، لا يصرفه عنه شىء من مشاغل ذلك الموقف ، وفى نبرة آسرة يقول له : يوم وفاء وبر . آدنه .

وكان ذلك كافيا ليفسح له الطريق، فمضى حتى اذا كان بين يديه ، ضم بكفيه راحته وأعلن اسلامه وبيعته ..

وثارت فى صدر الفارس المدلجى شئون لا يستطيع حصرها ، ويود لو يسأل بها كلها رسول الله ، لتطول وقفته معه ، وليتزود منه بما ينفعه وينفع به .. الا انه لم يجد قدرة على ترجمتها ، فقد أرتج عليه فما يدرى بماذا يتكلم ... حتى ثاب اليه بعض مراده فقال : يارسول الله الضالة من الإبل تغشى حياضى ، وقد ملأتها لأبلي ، هل لى من أجر فى أن أسقيها ؟ .. وجاءه الجواب الحكيم

يهز نياط قلبه : نعم . فى كل ذات كبد حرى أجر ! .. وقبل أن يودع نبى الله ليعود الى أهله ، فيطبق هناك ما رأى وما سمع هنا من حقائق الاسلام ، سمع رسول الله يقول له : كيف بك — يا سراقة — اذا لبست سوارى كسرى !. ولم يدر سراقة باى شىء يجيب على هذا النبأ العجيب .. ولو هو سمع هذه الكلمة من غير رسول الله لما كان لها عنده من جواب سوى السيف ، لأنها اذ ذاك لا تعدو أن تكون سخرية منه وهزؤا .. بيد أنها من الرسول صلى الله عليه وسلم نبأ من الغيب لا مندوحة من تحقيقه على وجه من الوجوه .. ولكن .. كيف .. وأين ... ومتى ؟!..

وانطلق سراقة باتجاه أهله ، وقد تبدلت مشاعره ، وشَفَّتْ روحه ، وخف جسده حتى ليخيل اليه أنه على وشك أن يطير عن ظهر فرسه . ولم يستطع أن يفصل ذهنه عن آخر كلمات الرسول ، فهو يقلب كفيه ويردد على نفسه فى مثل الذهول : سوارى كسرى .. ومن أين لمثل سراقة بن مالك بن جعشم بسوارى كسرى !!..

× × ×

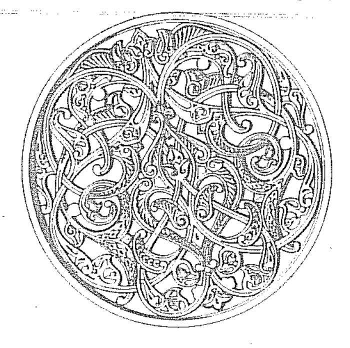
وسرعان ما استحالت أرض العرب فى ظل الاسلام حَرَماً كبيرا ، لا تخاف المرأة السالكة فيه الا الله والذئب على غنمها .. بعد أن كانت مظنة الضياع والهلاك ، لا يطمع فيها ضعيف بأمن، ولا يأمن فيها سار أو سائر الا أن يكون له مجير من جباريها ..

وخرج أمير المؤمنين الفاروق لاستقبال ذلك الوفد ، وحوله بقية الصحابة الذين استبقاهم لمعونته فى عاصمة الاسلام ..

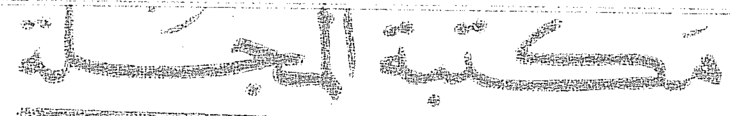
وعلى مشهد من الحشود ، التى تجمعت لتسقط أخبار المجاهدين أخذ أمير المؤمنين فى عرض هاتيك التحف التى حملها الوفد .. ولما نظر الى نفائس كسرى الخاصة دعا بسراقة ، وألبسه السوارين اللذين بشره بهما رسول الله ، ثم قال له : ارفع يديك — حتى يراهما الناس — وقل : الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الأعرابى .

ورفع سراقة يديه ، وجعل يحركهما ليكتشف شعرهما الكثيف عن السوارين ، وهو يردد فى لهجة تفيض بالفرح والخشوع والايمان : (الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الأعرابى..)

وترتفع أصوات المؤمنين من حوله : (الحمد لله .. الحمد لله ...) .







اعداد الاستاذ عبد الستار فيض

حيـــاة يوســـف

منهج جديد فى معالجة قصة سيدنا يوسف عليه السلام كما وردت فـى القرآن الكريم . تلك القصة الوحيدة التى قصها الله تعالى فى سورة وحيدة من اولها الى آخرها وسلك فى سردها التسلسل التاريخى فكانت أعجوبة وأعجازا فى التفصيل والاجمال ، ومن اجل ان الله تعالى تولى تسجيلها كاملة . فى سورة كاملة من كتابه الكريم ، ومن أجل الحفاظ على اشاعات انوارها كما رتبها تبارك وتعالى سلك المؤلف الاستاذ محمود شلبى مسلكا جديدا فقدم للناس (حيـــاة يوسف) كما قدمها كتاب الله تعالى مع الآيات تبيينا وتفسيرا فى أسلوب جميـــل والفاظ سلسلة جميلة وعبارات منسقة .

والكتاب يقع في (٢٣٢) صفحة ومن نشر مكتبة القاهرة ــ شارع الصناديقية ــ بميدان الأزهر بمصر .

مسند الإمام أحمد بن حنبل

من اعظم الموسوعات في علم الحديث كما أنه مرجع من أدق المراجع لعلماء السنة ومنهل لكل مسلم يريد أن يرتوى من حديث النبى صلى الله عليه وسـلم ويقف على أحكام دينه من أقوال نبى المسلمين وأفعاله .

قضى مؤلف هذا الكتاب الاستاذ أحمد عبد الرحمن البنا زمنا فى اعداده وابداعه وتبويبه على أبواب الفقه وشرحه وخرج احاديثه واستنبط الأحكـــام الشرعية منها وقد أسماه (الفتح الربانى) فى ترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل مع مختصر شرحه (بلوغ الامانى) .

وكل جزء من أجزائه الاثنين والعشرين يقع فى قرابة ٤٠٠ صفحة ومن نشر دار الحديث ٥ عطفـــة الرسام بالغورية بالقاهرة .



حكم المصاب بسلس البول

السؤال :

شخص يكثر خروج البول منه ، وخاصة فى فصل الشتاء بغير إرادته ، فهل ينتقض وضوءه بذلك ؟ وهل يجب عليه تطهير ثوبه كلما أصابه البول فى هذه الحالة ؟

الجواب :

خروج البول ولو قطرة واحدة ناقض للوضوء لحديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » غير أنه إذا دام خروجه واسترسل ولم يستطع منعه « وهو المعروف باسم سلس البول » كان ذلك عذرا يبيح الترخص بقدره ، والضرورات تبيح المحظورات ، والمشقة تجلب التيسير .

وحكم من ابتلى بهذا العذر ونحوه كاستطلاق بطن ، أو انفلات ريح ، أو رعاف دائم ، أو جرح لا يرقأ — حكم المستحاضة (وهى ذات دم نقص عن أقل مدة الحيض أو زاد على أكثره أو زاد على أكثر مدة النفاس ، أو زاد على عادتها فى أقل مدة الحيض والنفاس ، وتجاوز أكثرهما ، أو حبلى أو آيسة) .

وقد نص الحنفية على أنها تتوضأ لوقت كل فرض ، لا لكل فرض ولا لكل نفل ، وتصلى به ما شاءت من الفرائض والنوافل فى الوقت . ويبطل وضوءها بخروجه عند أبى حنيفة ومحمد . ويجب أن تستأنف الوضوء للوقت الآخر ، وكذلك من به سلس البول ونحوه .

ويشترط لثبوت العذر ابتداء أن يستوعب وقتا كاملا من أوقات الصلاة بحيث لا ينقطع زمنا يسع الوضوء والصلاة ، والانقطاع اليسير فى حكم العدم ، وشرط بقائه ودوامه بعد ذلك أن يوجد ولو مرة واحدة فى كل وقت كامل من أوقات الصلاة ، ولا يعد منقطعا الا إذا زال وقتا كاملا .

• • •

وأما الثوب الذى تصيبه نجاسة العذر فقيل لا يجب غسله ، لأن قليل النجاسة يعفى عنه ، وقدر فى النجاسة المائعة بقدر مقعر الكف فألحق به الكثير للضرورة ، ولأن العذر غير ناقض للوضوء فلم يكن نجسا حكما ، وقيل يجب غسل الزائد عن القدر المعفو عنه إذا أفاد الغسل بأن كان لا يصيبه مرة بعد أخرى . وإلا لا يجب ما دام العذر قائما . واختاره مشايخ الحنفية وصححه فى البدائع .

وقال ابن قدامة الحنبلى فى شرحه الكبير على المغنى : « إن المستحاضة تغسل فرجها وتعصبه وتتوضأ لوقت كل صلاة ، وتصلى ما شاءت من الصلوات ، وكذلك من به سلس البول ، والمذى ، والريح ، والجرح الذى لا يرقأ دمه ، والرعاف الدائم ، ويجوز لهؤلاء الجمع بين الصلاتين ، وقضاء الفوائت والتنفل الى خروج الوقت . وتتقيد الطهارة بالوقت إذ هى طهارة ضرورة ، فإذا توضأ قبل الوقت وخرج منه شىء من الحدث بطل وضوءه ، وإذا توضأ بعد دخول الوقت

صح وارتفع الحدث ولم يؤثر فى الوضوء ما يتجدد من الحدث الذى لا يمكن التحرز منه ، وإذا خرج الوقت بطل الوضوء » أ هـ ملخصا .

وذهب الشافعية كما فى المجموع وشرح المنهاج إلى ان المدار فى ثبـــوت العذر على الاستمرار والدوام غالبا ، ويجب فى الاستحاضة وما الحق بها غسل النجاسة ، وشد المحل بنحو عصابة عقب الغسل . والوضوء لكل فريضة عقب الشد فى وقت الصلاة لا قبله لأنها طهارة ضرورة فتتقيد به كالتيمم ، والمبـــادرة بالصلاة عقب الوضوء ، الا لمصلحة تتعلق بالصلاة كانتظار الجماعة ، ويصلـــى به الفريضة والنوافل القبلية والبعدية ، ولا يصلى به فريضة أخرى حتى يتوضـــأ لها . ولا يبطل الوضوء والصلاة بتجدد الحدث أثناءهما . أ هـ بتلخيص .

وفى مذهب المالكية « كما فى شرح متن الخليـــل » طريقتـــان : إحداهما ان العذر لا ينقض الوضوء مطلقا ولا تبطل به الصلاة ، غير انه يستحب لمن ابتلى به ان يتوضأ لكل صلاة الا ان يؤذيه البرد .

والأخرى : وهى التى شهرها ابن رشد انه لا ينقض الوضـــوء ولا تبطـــل الصلاة اذا لازم نصف وقت الصلاة على الأقل ، إلا انه يستحب الوضوء إذا لازم نصف الوقت أو اكثره لا إن لازم كل الوقت . وينتقض الوضوء إذا لازم أقل مـــن نصف الوقت فيتوضأ لكل صلاة ، أ هـ .

• • •

وذهب الظاهرية وابن حزم (كما فى المحلى) الى ان من غلب عليه خـــروج البول « وهو من به سلس البول » ويسميه ابن حزم « المستنكح » بمعنى من غلب عليه ، يجب عليه بعد غسل الموضع حسب الطاقة بدون حرج ومشقة ، الوضوء لكل صلاة فرضا أو نافلة ، فيتوضأ للفريضة ، ويتوضأ وضوء آخر للنافلة ، ثم لا شىء عليه فيما خرج منه بعد ذلك فى الصلاة أو فيما بين الوضوء والصلاة ، ولا بد أن يكون الوضوء أقرب ما يمكن من الصلاة . أ هـ ملخصا .

• • •

وجملة القول أن جمهور الفقهاء قاسوا ارباب الأعذار على المستحاضـــــة لورود النص فيها ، فالحنفية والحنابلة ذهبوا الى انها مأمورة بالوضوء لوقت كل صلاة . والشافعية ذهبوا الى أنها مأمورة بالوضوء لكل فريضة ، والمالكية لـــم يوجبوا عليها الوضوء مطلقا فى الطريقتين ، فذهبوا فى أرباب الأعذار الى ما بيناه بطريق القياس .

• • •

ويعلم من هذا ان مجرد خروج البول بكثرة كما فى السؤال لا يعد عـــــذرا مبيحا للترخص المذكور ، وانما يكون كذلك إذا دام واستمر على النحـــو الذى بيناه فى المذاهب ، ولعل الأرفق بأرباب الأعذار مذهب الحنفية والحنابلة ، وللعامى ان يقلده ولو كان من مقلدة المذاهب الأخرى ، والله أعلم .

• • •

الوفاء بالحج المنذور

الســـؤال :

نذر إنسان لله تعالى أن يحج الى بيته الحرام إن شفاه الله من مرضـــه ، وكان قد أدى فريضة الحج قبل ذلك . فشفاه الله وتيسرت له أسباب الحج من جهة المال ، فعزم على الوفاء بالنذر فى هذا العام ، غير أن الأطباء قرروا أنه وهو

فى الحادية والسبعين من عمره ، لا يمكن أن يتحمل حرارة الجو بالأقطار الحجازية فى هذا العام ، فماذا يصنع للوفاء بهذا النذر ؟ وهل يكفى التصدق بالمال الذى أعده للحج ؟

الاجابـــة :

مذهب الحنفية أن من نذر طاعة لله تعالى كالحج مثلا ، وجب عليه الوفاء بهذه القربة التى التزمها فى الحال ، إن كان النذر مطلقا مثل « لله على حجة » أو عند تحقق الشرط إن كان النذر معلقا مثل : « إن شفانى الله فعلى لله حجة » لقوله تعالى : « وليوفوا نذورهم » وقوله : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » .

والنذر نوع عهد من الناذر مع الله عز وجل فيلزمه الوفاء بعهده ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » .. ولا تجزىء عنه الكفارة سواء أكان الشرط المعلق عليه مما يقصد الناذر حصوله كالمثال المذكور أولا ، نحو « إن دخلت هذه الدار فلله على حجة » .

وقال فى (البدائع) ـــ ثم الوفاء بالمنذور به نفسه حقيقة إنما يجب عند الإمكان ، فأما عند التعذر فإنما يجب الوفاء به تقديرا بخلفه ، لأن الخلف يقوم مقام الأصل كأنه هو ، كالتراب حال عدم الماء ، وكالأشهر حال عدم الأقراء (جمع قرء وهو الحيض) حتى لو نذر الشيخ الفانى الصوم يصح نذره وتلزمه الفدية ، لأنه عاجز عن الوفاء بالصوم حقيقة فيلزمه الوفاء به تقديرا بخلفه ، ويصير كأن صام . أ هـ .

والفدية خلف عن الصوم عند العجز عنه بالنص .

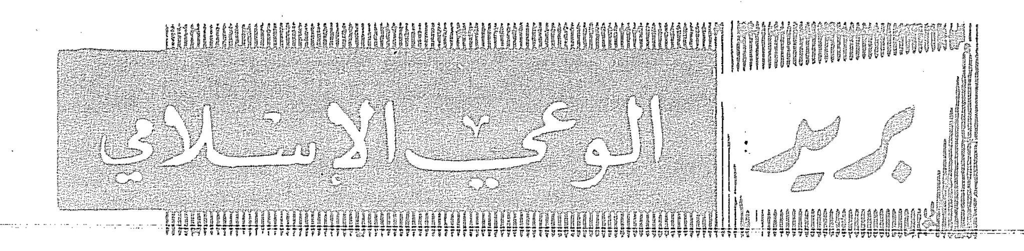
فإذا نذر إنسان الحج وجب عليه الوفاء به فى الحال إن كان النذر مطلقا ، وعند تحقق الشرط إن كان معلقا ، وكل ذلك عند الإمكان . فإذا عجز عن ذلك لعذر كالمرض مثلا ، تقبل النيابة عنه فى الحج ويسقط عنه الفرض بحجة النائب إذا كان العذر لا يرجى زواله ، كالعمى ، والزمانة ، والكبر الذى لا يستمسك معه الإنسان على الراحلة ، ولا إعادة عليه مطلقا ، سواء استمر به ذلك العذر أم لا .

وأما إذا كان العذر مما يرجى زواله فيشترط لجواز النيابة عنه فى الحج دوام العجز الى الموت حتى يستوعب العجز بقية العمر ، ويقع به اليأس عن الأداء بالبدن ، وينبنى على ذلك أنه إذا زال العذر وجب عليه أداء الحج بنفسه ، ولم تعتبر حجة النائب عنه ، وإذا لم يزل العذر حتى مات ظهر أن حج الغير عنه وقع صحيحا مجزيا ، وخرج به عن عهدة النذر .

ولجواز حج الغير عن العاجز شروط مذكورة فى بابه : منها أن يكون للعاجز عن الحج ببدنه مال ينفق منه على النائب عنه فى الحج ، فاذا لم يكن له مال لم يجب عليه الحج بنفسه ، فلا يقبل منه أن ينيب عنه غيره فيما لم يجب عليه ، وقد نصوا على أن العذر يجب أن يكون قائما قبل إنابة الغير عنه . وعلى أن تكون نفقة النائب على الآمر بالحج من مصاريف السفر ذهابا وإيابا وإقامة الى آخر ما ذكر من الشروط .

أما التصدق بالمال ممن عجز عن الحج بنفسه فلم يشرع خلفا للحجة المفروضة أو المنذورة ، فلا يخرج به عن عهدة الفرض أو النذر ، ولا تسقط به عنه هذه الحجة .

وظاهر أن الشيخوخة وحرارة الجو مجتمعتين لا تعدان عذرا مانعا من الوفاء بالحجة المنذورة بالنفس ، الا إذا غلب على الظن بمعونة رأى الأطباء المسلمين الحاذقين ، أو التجربة الصادقة ، حدوث ضرر معه من أداء الحج بالنفس ، كما نصوا عليه فى باب الصوم . والله أعلم .



اعداد : عبد الحميد رياض

الايمان بالغيب

ما هو الايمان بالغيب وهل صعود الانسان الى القمر يعتبر معرفة للغيب بالنسبة للانسان .. ؟

محمد مطلق الحساوى ـ السعودية

الايمان بالغيب قولا واعتقادا وعملا هو الايمان بالله فذات الله بالنسبة للانسان غيب ، والمؤمنون بالله يؤمنون بغيب يجدون آثار فعله ولا يدركون ذاته ولا كيفيات أفعاله .

والايمان بالآخرة ايمان بغيب فقيام الساعة من الامور الغيبية والمحجوب معرفة ما يكون فيها من بعث وحساب وثواب وعقاب ، والمؤمن يعتقد بحتمية وقوعها تصديقا لأخبار الله بذلك .

والايمان بوجود الملائكة وهم أجسام نورانية تنفذ اوامر الله بالنسبة للكون وما فيه من مخلوقات ، وهى كذلك غيب لا يعرف عنها الانسان شيئا الا ما أخبر الله به عن صفاتهم بالقدر الذى يتحمله عقله وطاقته ، فهم خلق الله الذين يدينون له بالعبودية والطاعة المطلقة ، وهم يحملون عرش الرحمن ويحفون به « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به » وهم خزنة الجنة والنار وقد بلغوا الوحى الى رسل الله ، ويرسلون لتأييد الحق فى الارض مقاتلين فى صفوف المؤمنين « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » وهذه الوظائف الخاصة بالملائكة والتى يكلفهم الله بها انما هى من الامور الغيبية التى يجب الايمان بها ولا تدرك بالحس .

والايمان بالقدر خيره وشره فهو غيب كذلك حتى يقع للانسان كما جاء فى الحديث النبوى الشريف « ... وان تؤمن بالقدر خيره وشره » ومتى آمن الانسان بالغيب فانه يصون فكره المحدود عن التمزق والانشغال بما لم يخلق له وما لم يوهب القدرة للاحاطة به وعندها يعلم أن المحدود لا يدرك المطلق ، وعلى هذا يكون الايمان بالغيب هو تلقى العلم بشأنه عن الله .

والايمان بالغيب هو الصفة الاولى من صفات المتقين يقول الله تبارك وتعالى : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

والغيب يحيط بالانسان من كل جانب وليس معنى صعود الانسان للقمر يعد من معرفة الغيب وانما هو معرفة بآيات الله ضمن القدر الذى يسمح به الله

للانسان اذ يقول سبحانه وتعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

فقد صدق الله وعده فكشف للانسان عن بعض آياته فى الآفاق المغيبة عنه حتى يعرف أن الارض التى يعيش عليها ما هى الا ذرة صـــــغيرة تابعة للمجموعة الشمسية والشمس كذلك يقابلها مجموعة ضخمة على شاكلتها أو تختلف فى هذا الكون الفسيح وما هو الا اهتداء لمعرفة ما فى الـــــكون من عجائب فى حدود المسموح به من الخالق المبدع المفهوم من الآية الـــــكريمة السابقة ولا يعد ذلك معرفة للغيب بقدر ما هو اثبات وحجة على من عرف عظمة من خلق هذه النواميس ولم يؤمن به والمولى سبحانه وتعالى يقول : « حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

الســـــنة النبوية
محفوظة ومخـــدومة

نشرت احدى الصحف : أن دراسة صحيح البخارى متنا وسندا كاد أن ينقرض ، وقد عقب على هذا الخبر فضيلة الشيخ عبد الله بن حميد الرئيس العام للاشراف الدينى على المسجد الحرام بقوله :

ان مثل هذا الاعلان اجحاف وتجن على علماء المسلمين عامة والمسجد الحرام خاصة سيما وهو يضم بين جوانحه نخبة كبيرة من علماء المســـلمين يدرسون الحديث بجميع أقسامه ومتونه على مختلف كتبه الصحاح والسنن والمسانيد ، وان الذين يدرسون صحيح البخارى فى الوقت الراهن بالمسجـــد الحرام تسعة من افاضل العلماء .. فالمسجد الحرام بخير والحديث منتشر فيه بحمد الله ، وأما بالنسبة للعالم الاسلامى والعربى فلا يخفى ما يوجد فيه من جهابذة الرجال وأكابر العلماء الذين يدرسون الحديث ويخدمونه تأليفا ونشرا كالباكستان والهند ومصر وســـوريا والمغرب والجزائر ، وغيرها من البلدان الاسلامية ، فالسنة النبوية محفوظة ومخدومة ولا زالت بخير والحمد لله .

أرتيريا ..

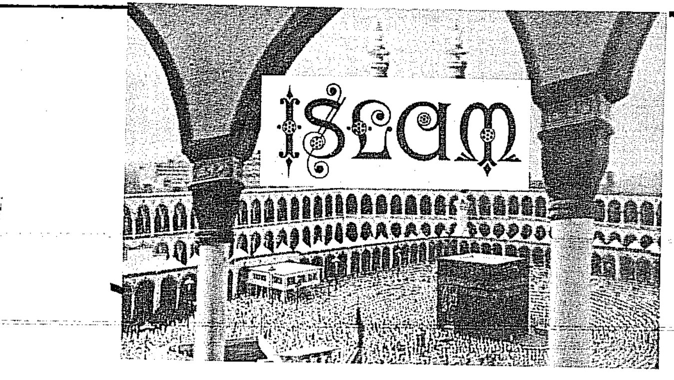
خطأ وقع على العدد (١٠٧) فى صفحة ١٠٥ من مجلة الوعى الاسلامى وذلك فى خريطة الدول الافريقية أو خارطة افريقيا ، التى ضمت فيها أرتيريا مع الحبشة دون اى حدود فاصلة ، هذا مع العلم ان قضية الشعب الارتيرى وثورته الثائرة من أجل احقاق الحق وازهاق الباطل لم تعد خفية على أحد .

وان أرتيريا كما هو معروف لديكم لم ترتبط بالـــــكيان الحبشى الا بعد الاتحاد الفدرالى المزيف الذى توج بمباركة الامبريالية العالمية ضد رغبــــة الشعب الارتيرى ، ولا أود الاسهاب على قضية هذا الشعب البرىء لأنها لم تتعد حدود ١+١=٢ ورجائى الوحيد ونحن بصدد الوعى الاسلامى هو أن لا يخيب ظنى وأن ينشر هذا التنبيه .

أحمد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

VOLUME 1 • Rabi' I, 1394
March, 1974 • NUMBER 1



An Independent Journal Expressing the Islamic Point of View

PUBLISHED QUARTERLY *by*
Islamic Productions International, Inc.

اول مجلة اسـلامية على المستوى الجامعى فى أمريكا

يسعدنا احاطتكم علما بصدور اول مجلة اسلامية على المستوى الجامعى فى أمريكا ومرفق مع هذه الرسالة غلاف المجلة التى سيصدر عددها الأول باذن الله فى ربيع الأول القادم (مارس ٧٤) وأيضا جميع المعلومات المتعلقة بهذه المجلة التى تحتاجها أمريكا أشد الحاجة ..

وانا اكتب اليكم راجيا التعاون معنا فى سبيل الله وفى سبيل اعلاء كلمة الحق والدين .. فنحن نرى أن ٦ مليون يهودى قد امتلكوا امريكا .. وليس هناك سبيل الى نصرنا وهزيمة اسرائيل سوى نشر الاسـلام بين المواطنين الامريكيين ..

١ — فنرجو ارسال مجلتكم الغراء (الوعى الاسلامى) الى العنوان الموضح اعلاه .. وكذلك منشوراتكم الاسلامية ..

٢ — نرجو ارسال اذن منكم بترجمة بعض المقالات المختارة من مجلة (الوعى الاسلامى) ..

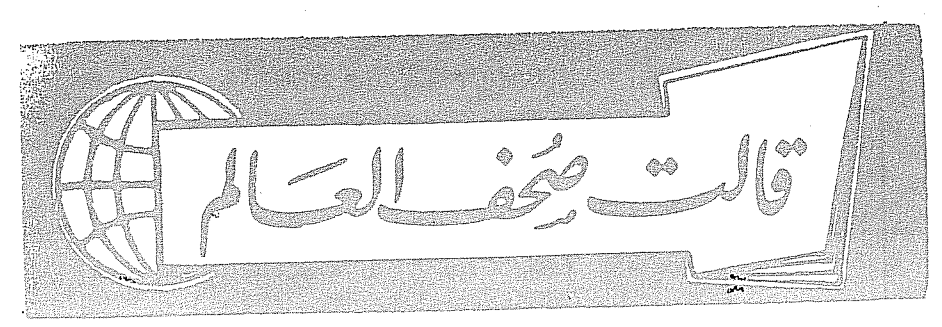
٣ — يا حبذا لو نشرتم عنوان كل كاتب يكتب فى مجلة (الوعى الاسلامى) حتى يستطيع القراء أن يراسلوه مباشرة ..

٤ — نأمل أن يصلنا منكم قائمة بأسماء كبار الكتاب فى مجلة (الوعى الاسلامى) وعناوينهم حتى نستطيع أن نكتب لهم ..

٥ — هل يمكنكم مساعدتنا ماليا .. ؟ وما هى السبيل الى الحصـول على معونتكم .. ؟ اذ أننى لست بحاجة لأن أشرح لكم العقبات التى توضع فى سبيلنا .. وموجة التضاد اليهودية لعرقلة مساعينا ..

وفقنا الله واياكم لخدمة الاسلام والمسلمين . والسلام عليكم ورحمة الله .

دكتور رشاد خليفة
رئيس التحرير



هذا المصحف .. (مزور)

استطاعت اسرائيل اخيرا ان تسرب الى بعض الدول العربية مجموعة من المصاحف المزورة .. وفرت لها من حيث المظهر والشـــكل الخارجي كل الوسائل التى تبعدها عن مجال الشبهة .. نسبت طباعة المصحف الى وزارة التربية والتعليم الاردنية ، واتضح ان الوزارة لا علم لها به .. !

.. وذكرت اسم مكتبة فى عمان قالت إنها تعهدت بطبعه ، وتبين الا وجود أصلا لهذه المكتبة لا فى عمان ولا فى غيرها .. ثم — لمزيد من الاغراء — اصدرته فى طبعة فاخرة تغرى على الشراء .. ! وهذه هى القصة كاملة :

.. بالصدفة وحدها وقعت فى يد الشيخ عبد الرشيد صقر امام مسجد الزمالك نسخة من هذا المصحف فى اثناء وجوده فى (دبى) مبعوثا من وزارة الاوقاف ولقد اكتشف المبعوث المصرى على الفور أن المصحف خال تماما من خمس سور كاملة هى : (النساء و (الاعراف) و (المائدة) و (الانعـــام) و (الانفال) وان صفحات عدة غير موجودة فى مواضع كثيرة من المصحف .

الأردن تنفى :

وعلى الفور — والكلام هنا لإمام مسجد الزمالك — « اتصلت بوزير العمل والشئون الاجتماعية لدولة الاتحاد والمشرف على الشـــئون الدينية فيها ، وأطلعته على النسخة ، فقام من جانبه باتصال سريع بالشيخ عبد الحميد السايح كبير علماء الاردن ، لمعرفة حقيقة هذا المصحف ، وكيف صدر فى الاردن بهذه الطريقة ثم كيف خرج منها الى البلاد الاسلامية .. وجاءت الاجابة بعد البحث الدقيق تقول أن ليس فى الاردن أى نسخ مشابهة لهذا المصحف ، فضلا عن عدم صدوره أصلا فى الاردن .. فوزارة التربية والتعليم الاردنية لم تطبعه ، ولا وجود اطلاقا للمكتبة التى أشير اليها » .

وابلغ الامر لأمير دولة الاتحاد فأصدر قراره بجمع كل النسخ واحراقها فورا .. ثم ارسال مذكرة عن طريق مبعوث وزارة الأوقاف المصرية الى كل من الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر لمخاطبة الدول الاسلامية بشأن هذا المصحف .

لماذا اسرائيل .. ؟

وقبل توجيه الاتهام مباشرة الى اسرائيل ، تم التأكد من :

● أولا : عدم وجود الآيات التى تدين اليهود صراحة مثل قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » وقوله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » .

● ثانيا : تسرب هذا المصـــــحف الى دولة الامارات عن غير الطريق الشرعى لدخول المطبوعات ، وعدم بيعه داخل المكتبات بالطريق العلنى .
واذا أضفنا الى هذا :
ـــ تجارب اسرائيل السابقة فى تسريب العديد من المصاحف المزورة الى الدول الافريقية ، والدول الاسلامية .
ـــ التأكد من أن كل البيانات التى ذكرت على الصفحة الاولى من المصحف غير صحيحة ..
يصبح من البديهى أن احدا غير اسرائيل لا يمكن ان يقدم على هذا العمل الذى يشكك على المدى الطويل ـــ فى كتاب مقدس عندما يجد بعض الناس بين أيديهم مصاحف تضم ١٠٩ سورة فقط ، ومصاحف أخرى تضم ١١٤ سورة .
ولتفادى هذا المخطط الصهيونى نحو تزوير كتاب الله ، تبرز الدعوة مرة أخرى ـــ وربما بصورة ملحة هذه المرة ـــ بضرورة توحيد جهة طبع واصدار المصحف الشريف على مستوى العالم الاسلامى كله ، والاتفـــاق على علامة مميزة يصعب تزويرها ـــ تتصدر ـــ على الأقل الصفحة الاولى من المصاحف .
(عن جريدة الاهرام القاهرية)

يجب تعديل مناهج الدراسة بكلية الحقوق فورا
دعوة من شيخ الأزهر وعمداء كلية الحقوق ورجال القانون

فى رمضان الاسبق ١٣٩٢ هـ دعى الدكتور عبد الحليم محمود ـــ وكان وقتئذ وزير الاوقاف ـــ الى طنطا لالقاء محاضرة فى نقابة المحـــامين بالغربية وكان مما قاله فضيلته أنه دعى مرة الى القائه محاضرة فى كلية حقوق جامعة عين شمس ، فسأل عميد الكلية وأساتذتها ما نصيب الشريعة الاسلامية من المحاضرات التى تلقى على الطلبة كل أسبوع ، وما نسبتها الى محاضرات باقى المواد . فكانت الاجابة أن محاضرات الشريعة لا تتجاوز محاضرتين أو ثلاثا كل أسبوع ، بينما باقى المواد نحو خمس عشرة أو ثمانى عشرة محاضرة .
وقال فضيلته يومئذ : ان العكس هو الواجب ، يجب أن تكون محاضرات الشريعة الاسلامية خمسة عشر أو ثمانية عشر ، بينما تقتصر محاضرات باقى المواد على محاضرتين او ثلاث محاضرات ..
وهذا الذى قاله فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ، لا يليق بنا ان نمر به مرورا عابرا ، بل يجب أن ندرسه ، ونضعه موضع الاعتبار والتطبيق .
وهو نداء ردده من قبل الكثيرون من الصادقين ، ولا يزال يردده الكثيرون من الدعاة المخلصين .
قال الدكتور جمال العطيفى فى مقاله الذى نشرته (الأهرام) فى ٤ اكتوبر ١٩٧٣ « ان ما نحتاج اليه قبل كل شيء آخر هو خلق جيل من رجال القانون ، يجمع الى جانب الثقافة القانونية الوضعية ثقافة شرعية واسعة .
وان هذا يلقى علينا واجبا آخر نحو اعادة النظر فى برامج الدراسات فى كليات الحقوق ، وهو موضوع سبق أن اثير على نطاق واســـع فى ندوة عمداء كليات الحقوق العربية فى أبريل من هذا العـــام (١٩٧٣) ودعت هذه الندوة الى أن تكون دراسة القانون مقارنة بأحكام الشريعة الاسلامية كخطوة

أولى نحو اقامة فقه قانونى ، على أصول الشريعة ومبادئها » .

والمشرع المصرى حين وضع القانون المدنى ، أراد أن يربط رجال القانون بالشريعة فنص فى المادة الاولى من القانون المدنى على أنه :

١ ــ تسرى النصوص التشريعية على جميع المسائل التى تتناولها هذه النصوص فى لفظها أو فى فحواها .

٢ ــ فاذا لم يوجد نص تشريعي يمكن تطبيقه ، حكم القاضي بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية ، فاذا لم يوجد ، فبمقتضى مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة .

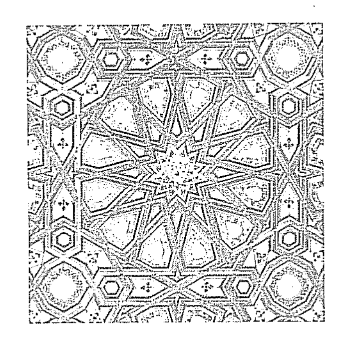
وكتب الدكتور عبد الرزاق السنهورى ــ واضع القانون المدنى المذكور ــ معلقا على هذه المادة فى كتابه « الوسيط فى شرح القانون المدنى » فقال :

« جعل الشريعة الاسلامية هى الاساس الأول الذى يبنى عليه تشريعنا لا يزال أمنية من اعز الإمانى التى تختلج بها الصدور ، وتنطوى عليها الجوانح . ولكن قبل أن تصبح هذه الامنية حقيقة واقعة ، ينبغى أن تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الاسلامية فى ضوء القانون المقارن ، ونرجو أن يكون من وراء جعل الاسلام مصدرا من المصادر الرسمية للقانون الجديد ما يعاون على هذه النهضة » .

والقى السيد ابو الاعلى المودودى امير الجماعة الاسلامية بباكستان محاضرة فى ١٩٤٨/٢/٩ فى كلية الحقوق بلاهور (باكستان) بناء على دعوة من أساتذتها وطلابها ، وقد حضرها عدد غير يسير من المحامين .

قال سيادته فى هذه المحاضرة والتى نشرت ضمن رسالة بعنوان « القانون الاسلامى وطرق تنفيذه » قال « ان التعليم الذى يناله الطلبة اليوم فى كلياتنا الحقوقية لا طائل تحته ، ولا يكاد يغنى من جوع بوجهة نظرنا لإن الذين يتخرجون فى هذه الكليات ، يجهلون الاسلام وقانونه جهلا تاما ، ولا يكون لهم أدنى اتصال به ، بل تتبدل عقليتهم وتصطبغ بصبغة الافكار والنظريات غير الاسلامية ، ولا يتربون الا على صفات هى أنفع ما يكون لتنفيذ القوانين الغربية ، وأردأ ما يكون لتنفيذ القانون الاسلامى ، ولا يدخلون معركة الحياة العملية الا بها فما دمنا لا نغير هذا الوضع المزرى ، ولا نهتم بأن نخرج فى كلياتنا الحقوقية فقهاء حسب ميزاننا ومقياسنا ، لا يمكن أن يوجد عندنا رجال يجدرون بأن تناط بهم وظائف القضاء والافتاء فى محاكم الدولة الاسلامية » .

(عن الاعتصام القاهرية)





المراة والهجرة

اشرك الاسلام المراة فى حياة الرجل وجهاده لتكـون له سندا وركيزة ، فكانت خير رفيق ونعم شريك وسند للحق وشاركت فى الهجرات الآتية :

هجرة الحبشة :

رقية بنت الرسول أولى المهاجرات صحبت زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنهما .

أم سلمة بنت ابىأمية بن المغيرة رافقت زوجها أبا سلمة بن عبد الأسد بن هــلال .

ليلى بنت ابى حتمة شاركت زوجها عامر بن ربيعة .

بيعة العقبة الثانية :

كانت صحبة وفد الأنصار من يثرب الى المدينة والبالغ عدده ٧٣ امراتان هاجرتا لتبايعا الرسول عليه السلام وهن :

نسيبت بنت كعب أم عمارة من بنى مازن النجار .

اسماء بنت مروام منيع من بنى سلمة .

الهجرة الكبرى الى المدينة :

تأزمت الأمور وزاد الطغيان عن حده حتى وصل الى حد التآمر واغتيال الرسول فأتى أمر السماء بالهجرة الكبرى من مكة الى يثرب مدينة الرسول .

ويكفى دور المراة أن تقوم أسماء بنت أبى بكر بدور التموين والمخـــابرات للمهاجرين الكريمين الرسول عليه السلام وأبى بكر رضى الله عنه فى غـــار حراء .

وقد اضطرت أسماء يوما أن تعلق الزاد بالرحل فلم تجد ما تربطـــه بــه فنزعت نطاقها فشقته وربطت بنصفه الزاد وانتطقت بالثانى فلقبها الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام بذات النطاقين .

محمد لطفى عيسى ـــ القــاهرة

الخدمة فى المناطق النائية

هى واجب اسلامى ووطنى ولكن هل يعفى الواجب من النظام والعـدل والمساواة بين الناس واختيار القواعد التى تؤدى الأهداف السابقة .

ومن هذه القواعد العمل فى بداية الوظيفة حين يكون الموظف خفيف الظل ، فاذا انتهت المـدة المفروضة عليه كان من حقه أن يذهب الى حيث يرغب .

ويليه من لم يقض مدة اغتراب من قبل فى المناطق النائية .

ويليه من يريد السفر الى الخارج فى الدول التى يتهافت الناس عليها ولا يتم أخراج العدد المطلوب الا بامتحان . . ليتهم يشترطون عليه (قبل أن يخرج) مدة مماثلة فى منطقة نائية بدلا من هذا الامتحان .

العظم شرط فى نيل اللحم والجمرة مع التمرة ـــ أو يؤخذ اليها أقرب الناس مكانا ليؤدى المدة ثم يعود . . أو يلجأون الى نظام المأموريات والانتدابات .

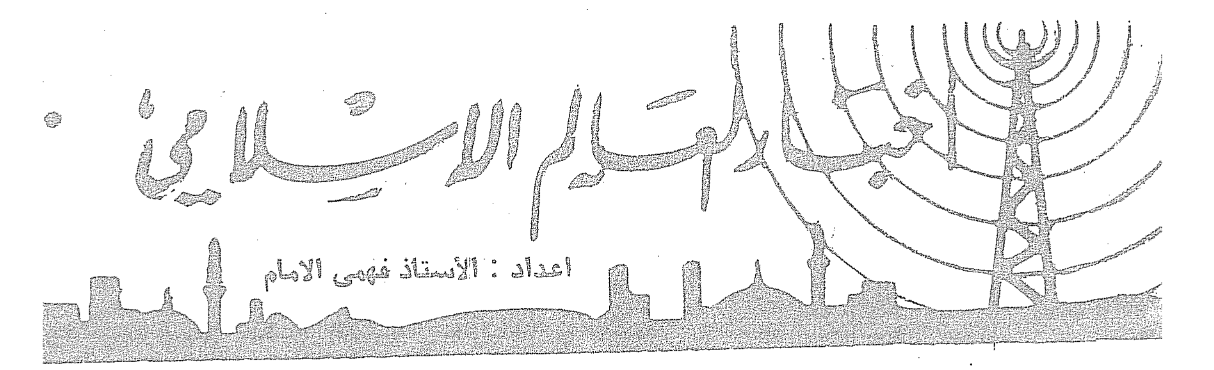
ويعفى من تجاوز سن الخمسين .
والمهم أن ينفذ العدل وان تطبق القوانين فوق راس الجميع وان يستوى الناس فى الخضوع لها فلا تكون هناك طبقة محظوظة تستطيع الهرب فى اللحظة المناسبة من المشقات التى يتعرض لها السواد الأعظم بالتماس واسطة أو طلب شفاعة أو دفع رشوة فهذه معرة كانت فى الأمم السابقة وأهلكتها كما ورد فى الحديث الشريف المروى عن عائشة وفيه أن اسامة شفع لامرأة مخزومية سارقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها « متفق عليه » .
فالشرائع والقوانين لا بد لها من حراس أشداء يدافعون عن الفضائل ويحمون الأمة والمجتمع من عوامل الحقد بين الناس وعدم الثقة فى القوانين وفيمن يطبقونها ويبقون الايمان بالمثل العليا حيا فى الأفئدة والقلوب بدلا من أن تنتقل الى متحف التاريخ ..

عبد الرحمن احمد شادى

من المتعصبون

رغم كل المحاولات التى بذلت طوال السنوات الماضية من اجل صرف الناس عن دينهم وامانته فى صدورهم ، فوجىء العالم اجمع أن المقاتل العربى وهو يجتاز خط الهزيمة يرفع صوته بصرخة (الله أكبر) ولقد كانت هذه الكلمة تعلو على ازيز الطائرات على حد تعبير احدى الوكالات الأجنبية — ولقد أدرك الجيش الاسرائيلى المقهور أنه أمام مقاتل عربى جديد ، غير ذلك الذى عرفه هاربا من ميدان القتال .
وحقا لقد كانت كلمة الله اكبر تعلو على هدير المدافع ورددتها أصداء الصحراء ، واننا لنرجو أن ترتفع هذه الكلمة عمليا على كل ربوع العالم الاسلامى وأن يعود هذا العالم الى الله باخلاص وصدق .
ومن العجيب أن بعض الوكالات الأجنبية ادعت أن رفع شعار الله اكبر فى المعركة الأخيرة يدل على التعصب الدينى لدى الجموع المقاتلة ، ومن الأعجب أن نرى بعض الكتاب يحاول أن ينفى هذه الصفة وكأنما يشفق ويخاف من أن يقال إن العرب متعصبون للحق وعاملون على استرداده ، فيقول إن كلمة الله أكبر رددها المسلم والمسيحى فأين التعصب الدينى ؟ ! ثم يضيف على صفحات مجلته التى يرأس تحريرها « نحن حتى لا نحارب المعتدى الصهيونى باسم الدين — وهو قوام الكيان الصهيونى — ولكن فى سبيل تحرير أرضنا المغتصبة » .
فهو يقر أن اسرائيل قائمة على التعصب الدينى ، ومع ذلك فلا نرى صحيفة واحدة فى العالم تقول ان اسرائيل دولة متعصبة دينيا ، اما نحن اذا رفعنا شعار الله اكبر وهى مجرد كلمة نرجو أن تتحقق الى واقع عملى ، رمينا بالتعصب وقيل لنا إننا متعصبون .
ان الكيان الصهيونى لا يستهدف مصر وحدها ولا حتى العالم العربى بأجمعه بل إنه يعمل على تدمير العالم الاسلامى كله وتحطيم العقيدة الاسلامية فى نفوس أبنائه ويجب الاعداد لسحق اسرائيل المعتدية كلية ، ولن يتم القضاء على اسرائيل الا بعد أن نعد انفسنا بمثل ما تقيم عليه اسرائيل دولتها .

خليل محارب السويركى



الكويت : ادى سمو أمير البلاد المعظم صلاة عيد الأضحى المبارك بمسجد السوق الكبير .

● بعث سمو أمير البلاد ببرقيتى تهنئة بالعيد الى رجال القوات المسلحة الكويتية المرابطين على خط النار فى سورية ومصر .. وقد أذاع نص البرقيتين راديو الكويت .

● أدلى وزير الداخلية والدفاع بتصريح جاء فيه : اننا عندما أقدمنا على اتخاذ قرار وقف الضخ أخذنا بالحسبان كل الاحتمالات المرتقبة وقال : ان التهديدات ما كانت يوما لتخيف العرب فنحن أمة جبلت على الشجاعة .

● بحث وزير الأوقاف والاعلام الباكستانى مع المسئولين مراحل الاستعداد لمؤتمر القمة الاسلامى المتوقع عقده فى باكستان فى الشهر القادم .

● زار البلاد وفد من كينيا برئاسة نائب وزير المالية ورئيس الجالية الاسلامية فى كينيا ، ومما يذكر أن كينيا قطعت علاقتها باسرائيل مؤازرة للعرب .

● نظمت ادارة النشاط الثقافى بوزارة التربية مسابقات لطلاب وطالبات المدارس الثانوية وما فى مستواها ومن موضوعات المسابقة التضامن العربى خلال عام ١٩٧٣ ودور الكويت فيه .

● زار الكويت الرئيس الصومالى محمد زيادى برى بعد أن أدى فريضة الحج هذا العام .

القاهرة : قررت لجنة السنة النبوية برئاسة فضيلة شيخ الأزهر اصدار موسوعة للأحاديث النبوية مع شرحها وبيان الأحاديث المنسوبة للرسول خطأ .

● عرض فضيلة شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود على سمو أمير دولة قطر مشروعا بانشاء كلية للشريعة الاسلامية فى قطر .. وقد وافق سمو الأمير على المشروع .

● قرر مجمع البحوث الاسلامية اصدار دائرة معارف قرآنية ومعانيه اللغوية المبسطة مع معجم تاريخى وجغرافى مبسط يشمل خرائط رصد الأماكن والمعالم الأثرية الواردة فى القرآن الكريم .

□□□□

السعودية : أكد جلالة الملك فيصل فى حديث أذاعه راديو الرياض أنه ليس لليهود أية علاقة أو حق بأن يكون لهم وجود أو سلطة أو تصرف فى مدينة القدس . ولا صحة لما يدعيه اليهود من وجود هيكل سليمان فى مدينة القدس لان الرومان عندما استولوا على المدينة نقلوا الهيكل منها .

● بلغ عدد الحجاج الذين وقفوا بعرفات هذا العام مليونا ومائة وثلاثة وعشرين حاجا تقريبا .

● عقد بالسعودية مؤتمر وزراء مالية الدول الاسلامية ، واتخذ المؤتمر قراره بانشاء بنك اسلامى للتنمية يكون مقره جدة ، وتشكلت لجنة

تحضيرية لانشاء البنك برئاسة السيد تنكو عبد الرحمن .

ووافق المؤتمرون على عقد مؤتمر سنوى لوزراء مالية الدول الاسلامية

● وزعت وزارة المعارف مجموعة كبيرة من الكتب الدراسية للمرحلة الثانوية والمتوسطة والابتدائية على رابطة معلمى اللغة العربية والاتحاد الاسلامى بداكار بالسينغال .. وذلك مساهمة منها فى نشر الدين الاسلامى واللغة العربية فى أفريقيا .

□□□□

ابو ظبى : قرر مجلس وزراء « ابو ظبى » المساهمة فى انشاء المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم بمبلغ مليون جنيه .

□□□□

الأردن : قررت الأردن المشاركة فى رأسمال البنك الاسلامى للتنمية بمبلغ ٢٩٠ الف جنيه .

● بلغ عدد الخريجين من دار القرآن فى « عين جنة » بلواء عجلون ٦٠ طالبا وقد وزع وكيل وزارة الأوقاف الشهادات على الخريجين .

□□□□

الجزائر : أعلنت وزارة التعليم الأصلى والشئون الدينية أن الملتقى الثامن للفكر الاسلامى سينعقد فى « بجاية » من الفاتح الى الثانى عشر من ربيع الأول ١٣٩٤هـ .

□□□□

المغرب : افتتح وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والثقافة مسجدا جديدا فى « بنى كرار » .

● قررت وزارة التربية الوطنية تعريب كلية الآداب والعلوم الانسانية فى جميع أقسام العلوم الانسانية .

● صدر العدد الأول من مجلة « التضامن » .. ومن أهداف المجلة مواصلة الدعوة الى فكرة التضامن الاسلامى ، وابراز شئون العالم الاسلامى ، والدعوة الى الرجوع للنبع الصافى من كتاب الله وسنة رسوله .

● أخبار متفرقة ●

باكستان : أعلنت باكستان أنها تستعد لعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فى مدينة «لاهور» .

● قال السيد ذو الفقار على بوتو رئيس وزراء باكستان : ان هناك اليوم من المغرب على المحيط الأطلسى الى أندونيسيا على المحيط الهادى رغبة متجددة ومعززة لتحرير العالم الاسلامى من ربقة السيطرة السياسية والاقتصادية الأجنبية .

● أعلن وزير الحج والأوقاف والاعلام الباكستانى أن (٦٠٠٠٠) باكستانى أدوا فريضة الحج هذا العام .

□□□□

أندونيسيا : بلغ عدد المصاحف التى طبعت فى أندونيسيا خلال السنوات الثلاث الماضية حوالى ١١ مليونا ونصف مليون مصحف الى جانب ٣٠٠ كتاب اسلامى باللغة الأندونيسية .

□□□□

نيجيريا : ستقام بنيجيريا محطة اذاعة إسلامية ، وهى أول اذاعة اسلامية تقام فى جنوب الصحارى بأفريقيا .

● تكونت الرابطة الاسلامية بنيجيريا لتنسيق وتدعيم النشاط الذى يقوم به الهلال الأحمر ، وجعله متمشيا مع العقيدة الاسلامية وفى خدمة الدعوة الاسلامية .

□□□□

غينيا : قررت غينيا تدريس اللغة العربية فى مختلف مراحل التعليم بنفس القدر الذى تدرس به اللغة الغينية المحلية ، وذلك خدمة للغة القرآن حتى يتمكن المسلمون من تفهم دينهم .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	محرم ١٣٩٤	يناير ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الخميس	١	٢٤	٥ ٩	٦ ٤١	١٢٠٠	٣ ٥٨	٥ ١٨	٦ ٣٩	١١٥٢	١ ٢٣	٦ ٤٢	٩ ٤٠	١ ٢١
الجمعة	٢	٢٥	٩	٤١	٠٠	٥٨	١٨	٣٩	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
السبت	٣	٢٦	٩	٤٠	٠٠	٥٩	١٩	٤٠	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
الاحد	٤	٢٧	٩	٤٠	٠٠	٠٣	٢٠	٤١	٤٨	١٩	٤٠	٤٠	٢١
الاثنين	٥	٢٨	٨	٣٩	٠٠	٠٠	٢١	٤٢	٤٧	١٨	٣٩	٣٩	٢١
الثلاثاء	٦	٢٩	٨	٣٩	١	١	٢٢	٤٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الاربعاء	٧	٣٠	٨	٣٨	١	٢	٢٣	٤٣	٤٥	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الخميس	٨	٣١	٧	٣٨	١	٣	٢٤	٤٤	٤٤	١٤	٣٧	٣٩	٢٠
الجمعة	٩	فبراير	٧	٣٧	١	٣	٢٤	٤٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
السبت	١٠	٢	٧	٣٧	١	٤	٢٥	٤٥	٤٢	١٢	٣٦	٣٩	٢٠
الاحد	١١	٣	٦	٣٦	١	٥	٢٦	٤٦	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
الاثنين	١٢	٤	٦	٣٦	٢	٥	٢٧	٤٧	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
الثلاثاء	١٣	٥	٥	٣٥	٢	٦	٢٨	٤٨	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الاربعاء	١٤	٦	٥	٣٥	٢	٧	٢٩	٤٨	٣٦	٦	٣٣	٣٨	٢٠
الخميس	١٥	٧	٤	٣١	٢	٧	٣٠	٤٩	٣٤	٤	٣٢	٣٨	٢٠
الجمعة	١٦	٨	٣	٣٣	٢	٨	٣٠	٥٠	٣٣	٣	٣٢	٣٧	١٩
السبت	١٧	٩	٢	٣٢	٢	٨	٣١	٥٠	٣١	١	٣١	٣٧	١٩
الاحد	١٨	١٠	٢	٣٢	٢	٩	٣٢	٥١	٣٠	٠٠	٣٠	٣٧	١٩
الاثنين	١٩	١١	١	٣١	٢	١٠	٣٣	٥٢	٢٨	١٢٥٨	٢٩	٣٧	١٩
الثلاثاء	٢٠	١٢	٠٠	٣١	٢	١٠	٣٤	٥٣	٢٧	٥٧	٢٩	٣٧	١٩
الاربعاء	٢١	١٣	٥٩	٣٠٤	٢	١١	٣٤	٥٣	٢٥	٥٥	٢٨	٣٦	١٩
الخميس	٢٢	١٤	٥٨	٢٩	٢	١١	٣٥	٥٤	٢٣	٥٣	٢٧	٣٦	١٩
الجمعة	٢٣	١٥	٥٨	٢٨	٢	١٢	٣٦	٥٥	٢٢	٥٢	٢٦	٣٦	١٩
السبت	٢٤	١٦	٥٧	٢٧	٢	١٣	٣٧	٥٦	٢٠	٥٠	٢٥	٣٦	١٩
الاحد	٢٥	١٧	٥٦	٢٦	٢	١٣	٣٨	٥٧	١٨	٤٨	٢٥	٣٥	١٩
الاثنين	٢٦	١٨	٥٥	٢٥	٢	١٤	٣٨	٥٧	١٧	٤٧	٢٤	٣٥	١٨
الثلاثاء	٢٧	١٩	٥٤	٢٤	٢	١٤	٣٩	٥٨	١٥	٤٥	٢٣	٣٥	١٨
الاربعاء	٢٨	٢٠	٥٣	٢٣	٢	١٥	٤٠	٥٨	١٣	٤٣	٢٢	٣٥	١٨
الخميس	٢٩	٢١	٥٢	٢٢	٢	١٥	٤١	٥٩	١١	٤١	٢١	٣٤	١٨
الجمعة	٣٠	٢٢	٥١	٢١	١	١٦	٤١	٥٩	١٠	٤٠	٢٠	٣٤	١٨

الأم الأولى للمؤمنين :

السيدة خديجـــة

- **الأم الأولى للمؤمنين هى السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد القرشيـــة الأسدية من أكرم عقائل قريش وأرفع بيوتاتها ، وكان لقبها فى الجاهلية ((الطاهـــرة)) .**

- تزوجت من أبى هالة بن زراة التميمى ، وبعده اقترنت بعتيق بن عائـــذ المخزومى .

- كانت غنية تستثمر أموالها فى التجارة ، وتستعين بمن تثق من الرجـــال فى تجارتها ، استعانت (بمحمد) صلى الله عليه وسلم ، وارسلت برفقته خادمها ميسرة ، ولما عاد أسرع الى سيدته واخبرها بما حققه محمد من ربح عظيم ، وبما رآه من صدقه وأمانته ، فبعثت اليه تعرض عليه الزواج منها .

- تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها أربعون سنة ، وكان فى سن الخامسة والعشرين ، وأقامت معه خمسا وعشرين سنة ، وواسته بنفسها ومالها ، وكانت أول من آمن به ، فلم ير زوجان أسعد بيتا ولا أصدق وفاء من محمد رسول الله وزوجه خديجة أم المؤمنين ، انجبت له كل أولاده الا ابراهيم ، وكانوا ستة هم ، القاسم ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة وعبد الله ، وكلهم توفى قبله إلا فاطمة فانها انتقلت الى جوار ربها بعده بستة أشهر .

- وارتحلت خديجة الى الرفيق الأعلى وهى فى الخامسة والستين ، ودفنت بالحجون ، ونزل النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرتها وحزن عليها حزنا شديدا ، ولم ينس لها وفاءها وإخلاصها طول حياته . رضى الله عنهـــا وأرضاها وجزاها عنا خير الجزاء .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
المغـــرب	:	الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .
أبو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت